عقائد مابعد الموت

في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة

نائل حنون


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

نائل حنون

عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

العنوان العراق ـ بغداد ـ اعظمية ص ب ٤٠٣٢ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

الطبعة الثانية ـ ١٩٨٦.

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق ـ بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الاهـداء

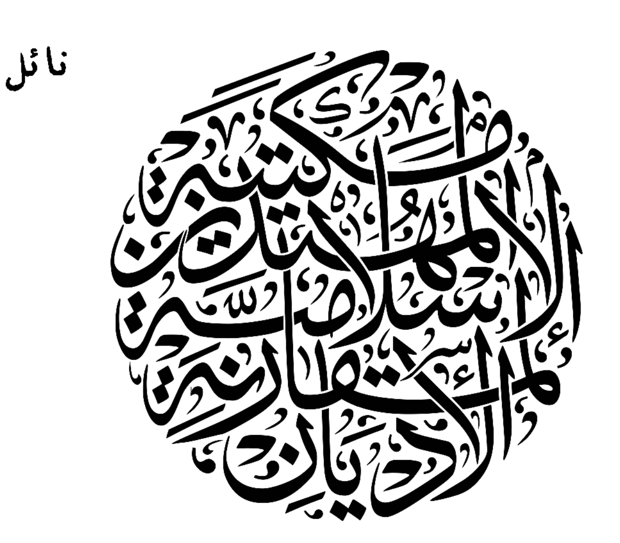
رغم الموت ورغم السنين ..

لم تزل قيم" اعليتها بمهجة القلب .. اغلى
واكرم ما املك ...

ولم يزل صوتك الحاني يملأ ايامي دفئاً ومحبة..

فتحية لذكراك العطرة ووفاءاً لما بذلت ؛
اتقدم بهذا الجهد ...

نائل



تقـديم

لعلني لا ابالغ اذا قلت ان موضوع « عقائد ما بعد الموت في حضـارة وادي الرافدين » وما يتصل بها من عقائد في الخلود والسـلوك ـ وهـو الموضوع الذي اختـاره السيد نائل حنـون لبحث رسالته التي حصـل بها على درجة الماجستير بتقدير جيدا جدا في قسم الآثار ، بكلية الآداب (شباط ١٩٨٦) ـ ياتي في مقدمة الموضوعات والبحوث المهمة التي تلقـي اضواء كاشفة في درس حضارة وادي الرافدين وفهمهـا الفهـم الصحيح والوقوف على تطورها واوجهها ومقـوماتها المختلفة • وعندي ان اهميـة الموضوع لا تقتصر على فهم حضارة وادي الرافدين بل انها تتعدى الى الكثير من الحضارات القديمة والحديثة ، ذلك لأن عقائد ما بعد الموت ، شـانها في ذلك شان الكثير من العناصر والمقومات الحضارية الأخرى ، قد انتقلت الى الحضارات اللاحقة فدخلت في عقائدها وشعائرها الدينية ، على ما اجمع عليه جمهور الباحثين • فمن البديهيات التي يعرفهـا دارسو الحضارات ان عقائد ما بعد الموت وما نتج عنها من آراء وافكار دينية كانت في راس العوامل المؤثرة التي طبعت المجتمعات القديمة بل حتى الحديثة في سلوكها في الحياة على الصعيد الاجتماعي والفردي• والآثاريون يعرفون ان مايجدونه من بقايا الحضارات القديمة لا يمكن تفسيرها وفهمها على الوجه الصحيح الا في ضوء تلك المعتقدات ، حتى ان بعض الحضارات القديمة العريقة ، مثل

حضارة وادي النيل ، لايمكن فهم آثارها الباقية مطلقا الابالرجوع الى عقائدها فيما بعد الموت لانها طغت على سائر معتقداتها الأخرى ووجهت تلك الحضارة في نشاطها الفني والاجتماعي ، بحيث ان معظم آثارها التي كشفت عنها التنقيبات انما عثر عليها في القبور ، سواء كان ذلك قبور الافراد العاديين ام قبور الحكام والملوك ، والمثال على ذلك الاهرامات الشهيرة التي استنزفت جهود المجتمع في تشييدها لتكون قبوراً للفراعنة .

ان هذا وغيره هو الذي دفعني الى تشجيع السيد نائل على اختيار موضوع رسالته التي اشرفت عليها . على ان الحقيقة والانصاف يقتضيان مني ان اؤكد ان السيد نائل اظهر في اثناء اعداد رسالته صفات الباحث الدؤوب المجد والمبدع ، تشهد على ذلك النتائج التي اودعها في بحثه القيم الذي يسرني ان اقدمه للقراء . واشهد انني كنت مشرفا بالاسم فانه اضطلع بنفسه بجميع مراحل الاعداد للبحث واقتصر الأمر علي اني كنت مشرفا وموجها ، وكنت المستفيد منه في كثير من الأمور . وكانت جهودا جادة محمودة اثمرت هذا البحث الذي جاء شاملا جامعا ومتكاملا بحيث انني لا اتحرج اذا قلت انه اول بحث من نوعه في هذا الموضوع المهم، ليس في اللغة العربية حسب بل في اللغات الاجنبية . اجل ، مع ان باحثين كثيرين من المختصين الغربين تناولوا موضوع عقائد مابعد الموت في حضارة وادي الرافدين بيد ان السيد نائل تفرد في بحثه بالشمولية والتقصي واستنزاف معظم المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع ، كما تشير الى ذلك المراجع الكثيرة التي اثبتها في هوامش البحث والمراجع التي جمعها في ثبت خاص ، ناهيك عن النصوص الاصلية المسمارية المتعلقة بالموضوع ، فانه رجع الى تلك النصوص في مظانها الاصلية واعتمد بالدرجة الاولى على فهمه

الشخصي لها وتحليل الدلالات الواردة فيها واستخراج النتائج التي توصل اليها وقد ترجم اهم النصوص المسمارية المتعلقة بالموضوع واثبت هذه الترجمات في ملاحق خاصة وقد اظهر في الكثير من هذه الاستنتاجات استقلالاً في البحث ، واصالة الدارس الواقف على اسرار تلك النصوص . واعجبني منه بعض المواقف التي انتهجها في بحثه ، تلك هي انه لم يسر على مجرد النقل والتقليد الاعمى مخالفا بذلك معظم الدارسين المبتدئين بما يصطلح عليه « تقليد الحجة » (وبالمصطلح اللاتيني (ipse dixit) وكثيرا ما اوقع تقليد الحجة المبتدئين في مزالق الزلل . وخير ما يوضح لنا هذا الاستقلال المحمود في البحث انه تفرد في تفسير بعض النصوص وخالف في استنتاجاته فيها بعض مشاهير الباحثين ، واذكر على سبيل المثال تلك المسالة التاريخية التي شغلت وما تزال تشغل نقاش الباحثين، الا وهي قضية تموز وبقائه في عالم ما بعد الموت دائما اوانه يخرج منه الى عالم الاحياء مدة نصف عام (انظر الصفحات ٥٧ـ٦٨ من الرسالة) ، وهذا يشير الى صفة اصيلة في الباحث ارجو ان ينميها السيد نائل في بحوثه المقبلة لانها تنم عن الابداع والاصالة اللذين هما من مستلزمات الاسهام في المعرفة .؟

واختتم هذا التقديم في التنويه ببعض المزايا التي تضفي اهمية خاصة لهذا البحث بالنسبة الى قارئه ، تلك هي انه بالاضافة الى تناوله الجوانب التفصيلية الخاصة بعقائد ما بعد الموت عند العراقيين القدماء فان السيد نائل استطاع أن يعرض مادة البحث ، وهي ذات الطبيعة الاختصاصية ، عرضا منهجيا وباسلوب سلس مستساغ بعيد عن التعقيد الفني ، بحيث انني لا اشك في ان القراء المختصين منهم وغير المختصين ،

سيجدون في قراءتهم للبحث قدرا كبيرا من الجاذبية والمتعة ، كما انه لا شك عندي ايضا في انهم سيجدون فيه مصدرا موثوقا ومشوقا يغني القارىء مشقة الرجوع الى عشرات بل مئات البحوث المدفونة في المجلات والنشرات الاختصاصية الغفيرة ، وبذلك يكون المؤلف قد وفق في الاسهام بدرس موضوع مهم ورئيسي من مواضيع درس تراثنا وحضارتنا القديمة ، وان هذه الدراسة ستكون اضافة مهمة جديرة بالتقدير والاعتزاز الى المكتبة العربيـة ؟

وختاما ارجو لطالبي العزيز ان يستمر في نشاطه وجهوده في البحث وعليه وعلى امثاله من جيل الباحثين الجدد نعلق آمالنا في متابعة الاسهام بدرس تراثنا الحضاري فارجو ان يحالفه التوفيق في حياته العلمية ومن الله التوفيق .

طه باقر

استاذ الآثار في قسم الآثار

جامعة بغداد

والعضو العامل في المجمع العلمي العراقي

بغداد ١٩٧٧/٦/٢١

مقدمة المؤلف

لقد كان للموت ، ومنذ اقدم العصور في تاريخ الانسان ، أهمية خاصة في الفكر الانساني منبعها امران ، الاول كون الموت حقيقة مطلقة لا خلاص لأى كان من ملاقاتها ، والثاني يتمثل في الغموض الذي يكتنفه باعتباره انتقالا للمجهول الذي لا يعرف شيء عنه . ومع اولى الممارسات الواعية التي يوجهها العقل بدأ الفكر الانساني يتشبث باصرار في محاولة الخروج من دوامة العجز والارتباك تجاه الموت مغيرا وسائله في كل مرحلة من مراحل تطوره بدءا بالسحر مرورا بالاسطورة والدين وانتهاءا بالعلم ، الا أنه كان يقف في كل تلك المراحل عاجزا امام حقيقة الموت القاسية المؤلمة . واستمرت تلك المحاولات دون انقطاع بدفع مما جبلت عليه طبيعة الانسان وردود فعله ازاء كل ما يصادفه ويكتنف حياته من الحالات والظواهر الغامضة التي يأتي الموت في اولها ، ويضاف الى هذا ما يمثله الموت من عامل مثير للهواجس والقلق عند الانسان الذي وان كان بمستطاعه ان يتناسى رهبة الموت والمصير المخيف الذي ينتظره عن طريق انهماكه في الحياة الا أنه سرعان ما يجده ماثلا أمامه بكل آثارة القاسية من خلال موت الآخرين .

ولكون الموت يتعلق بوجود الانسان ومصيره ؛ فقد كان من البديهي ان لا ينظر اليه على أنه نهاية مطلقة للحياة ، ومن هنا توالت الافكار عن خلود الروح والحياة الاخرى والبعث اضافة الى كل ما له علاقة بالحساب والثواب والعقاب وغيرها من الافكار ذات الصلة بما بعد الموت . وقد وجدت فكرة الحياة الاخرى مجالا رحبا في الفكر الانساني عموما حيث آمنت بها معظم المجتمعات الى درجة يمكننا القول معها ان فكرة الحياة

الاخرى أسبق في ظهورها واعم في انتشارها حتى من الاعتقاد بوجود الاله أو الآلهة ، ولذلك فقد أصبح من الطبيعي ان تحتل عقائد الموت والحياة الاخرى المكانة البارزة في العقائد المدينية لاي مجتمع كان ، وبالنسبة لما يخص بحثي هذا تتجلى أهمية عقائد ما بعد الموت في اى ديانة او مجتمع في الاثر الكبير الذي تتركه على نظرة ذلك المجتمع الى الحياة ذاتها ومفهومه لها وسلوك افراده فيها ، وبعبارة اخرى ان أي بحث في عقائد الموت وما بعد الموت لأي مجتمع لابد أن يكون بطريقة او بأخرى بداية ضرورية للتعرف على المفهوم الذي يدرك به ذلك المجتمع الحياة وقيمها وهو المفهوم الذي يحدد موقف الافراد من الحياة كلاً من خلال سلوكهم وتصرفاتهم في اعمالهم اليومية وطموحهم وآمالهم وآلامهم طوال معايشتهم لها اضافة الى ما يعبرون عنه في الآداب والفنون والنظم الاجتماعية والمأثورات الشعبية المكتوبة او المتداولة شفهيا ، الى آخر ما هنالك من اوجه الحياة الاجتماعية وتنظيمها .

وقبل أن اتناول الحديث عن موضوع الموت والحياة الاخرى في عقائد حضارة وادي الرافدين القديمة ، وهو موضوع هذا الكتاب ، لابد لي من ذكر نبذة موجزة عن أهمية ديانة بلاد وادي الرافدين القديمة ، تلك الديانة التي تبلورت ضمنها معتقدات السكان عن الموت وما بعده والحقيقة ان الاهمية الكبيرة التي تميزت بها تلك الديانة لا تقتصر على كونها استمرت سائدة لقرون طويلة في العراق القديم واعتنقتها اقوام عديدة من السومريين الى الاكديين فالبابليين والآشوريين ، وكل من هؤلاء يضيف اليها من افكاره وممارساته الخاصة ما يكفل لها الاستمرارية والتطور ، بل انها الى ذلك ذات أهمية خاصة في الفكر الانساني ايضا بسبب تاثيرها في الاقوام الاخرى في الشرق الادنى القديم ، وخصوصا الاقوام التي كان لها تماس واتصال مباشر او غير مباشر مع سكان وادي الرافدين القدماء

والتي قامت بادوار خطيرة في تطور الفكر الانساني في حقب مهمة من التأريخ ، ونذكر من تلك الاقوام الكنعانيين (الفينقيين) والحثيين ، وعلى ما يرى معظم الباحثين كانت تلك الديانة منبعا اقتبس منه العبرانيون الكثير من الافكار التي تظهر واضحة في العديد من نصوص العهد القديم البالغة الاهمية في دراسة الديانات وتاريخها ، وعلاوة على ذلك تحتل ديانة بلاد وادي الرافدين القديمة مكانا بارزا في هذا المسلسل من الفكر الانساني منذ اقدم العصور التاريخية في الشرق الادنى القديم وحتى يومنا هذا حيث يمكننا ان نتلمس التراث الواسع الذي تركته تلك الديانة ليس في العراق وحسب وانما في مناطق و اسعة من الشرق الادنى وحوض البحر الابيض المتوسط كما يتجلى ذلك من خلال الكثير من الممارسات الواعية واللاواعية لسكان هذه المناطق في العصور الحديثة في معتقداتهم الدينية واساطيرهم وخرافاتهم وقصصهم وحكاياتهم الشعبية ·

وكان الباعث على اختياري موضوع « عقائد ما بعد الموت فيحضارةبلاد وادي الرافدين القديمة » يرجع ـ بالاضافة الى كون هذه الحضارة مدار تخصصي بالاصل ـ الى رغبتي في القاء الضوء على معتقدات سكان العراق القدماء وآرائهم بخصوص الموت والحياة الاخرى والتي لم يزل يكتنفها الغموض ويسودها الاختلاف والتناقض ، او في الاقل هذا هو ما تبدو عليه من الوهلة الاولى ، الامر الذي حال دونالتعمق في بحثها وعرضها فازدادت غموضا على القارىء المعاصر ، وانني اذ لا ادعي بتقديمي تفسيرا كاملا لافكار سكان العراق القدماء بخصوص ما بعد الموت أو حل التناقضات التي تشوبها في بحثي هذا ، الا انه بامكاني القولبانني اقدم من خلال مايلي من صفحات اول بحث يتناول هذا الموضوع بطريقة موضوعية شاملة لكل الجوانب المتعلقة به في سياق واحد موضحا اكبر جزء ممكن من الغموض الذي يكتنفه ومتعمقا في مناقشة بعض المعضلات التي

تبرز فيه اعتمادا على ما توفر من ادلة علمية محاولا قدر الامكان الابتعاد عن التسرع او الاكتفاء بالظواهر والدلالات السطحية عارضا ما تكّون لديّ من آراء عن الموضوع بطريقة علمية واضحة متجنبا ما امكنني ذلك الافراط والتسرع في الاستنتاج عند عدم توفر ادلة تثبته وهو أمر لابد منه في دراسة العقائد عموما لاسيما تلك التي لا توجد فيها أفكار كاملة وواضحة عن الموت ومصير الانسان فيما بعد الموت كما هو الحال بالنسبة لعقائد سكان وادي الرافدين القدماء بخلاف ما نجده من عقائد واضحة ، وان اختلف في تفسير تفاصيلها ، في بعض الديانات الاخرى كالديانة المصرية القديمة والزرادشتية والمسيحية والاسلامية ، ويمكن القول ان افكار سكان العراق القدماء عن هذا الموضوع ظلت دائرة في فلك الاساطير (الميثولوجيا) ، التي يشوبها التضارب في كثير من الاحيان ، حتى آخر عهود حضارتهم دون ان تظهر عقائد متبلورة موحدة الهيكل وواضحة التفاصيل ، ولذلك فلا سبيل للباحث ازاء ذلك سوى فحص تلك الاساطير والنصوص المسمارية الكثيرة المتعلقة بالموضوع تعلقا مباشرا او غير مباشر مستخلصا منها مايلقي ضوءا على الكثير من الحالات التي تتضمن عقائد وآراء متناقضة غير مطّردة او غير واضحة حتى بالنسبة الى المعتقدين بها انفسهم • ولعله لاعجب في ذلك بالنظر الى طبيعة الموضوع المعقدة بوجه عام ، ليس بالنسبة الى معتقدات حضارة وادى الرافدين فحسب بل كذلك في معظم الحضارات القديمة • على ان الموضوع في تلك الحضارة يتفرد بصعوبات خاصة مرد البعض منها الى تعدد الاقوام التي اسهمت في بناء تلك الحضارة من سومريين وساميين (اكديين وبابليين وآشوريين) وغيرهم ، والى الادوار التاريخية الطويلة المختلفة التي مرت بها وما استتبع ذلك من تغيرات ضمنية في المعتقدات الدينية بوجه عام ومعتقدات الموت وما بعد الموت بوجه خاص ، واخير وليس آخرا فأن منشأ التناقض والغموض

السالفي الذكر مرده الى طبيعة مصادرنا الرئيسية ، اي النصوص المسمارية ، وعدم استكمال الاكتشافات عنها والخلاف بين الباحثين في تفسير وتقييم الكثير من المكتشف منها وهذا أمر ساعود لمناقشته في سياق البحث ٠

اما المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها واعانتني في البحث فيمكن حصرها في المصدرين الآتيين :

الاول ـ المصادر الاثرية :

وتتضمن بعض المخلفات المادية لحضارة بلاد وادي الرافدين القديمة مثل القبور ومحتوياتها من اثاث وبقايا اطعمة وجرار وتوابيت متنوعة من حيث مادة صنعها واشكالها وكذلك الحال بالنسبة للعقود والحلي والادوات المختلفة ، وتدخل ضمن هذه المصادر بعض الرسوم المنقوشة على المسلات واحجار الحدود والتي لها علاقة بالدفن او الطقوس الجنائزية او آلهة العالم الاسفل (عالم الاموات) وتتضح أهمية هذه المصادر في مدلولها على الافكار والتصورات التي اعتقد بها سكان العراق القدماء عن الموت وما بعد الموت ، وقد أمكنني الاستفادة منها بالرجوع الى نتائج التنقيبات الآثارية في العديد من المواقع في العراق وهي منشورة في عدد كبير من الكتب والدوريات والمجلات التي سيرد ذكرها ضمن البحث في المواضع الخاصة من الاستشهادات ٠

الثاني ـ المصادر الكتابية :

وتتضمن النصوص المسمارية الكثيرة المتنوعة المواضيع والمختلفة الاماكن والادوار التي دونت فيها ، وقد توزعت ترجماتها في عدد من المصادر العربية والاجنبية ، سأشير اليها ضمن البحث عند الاستشهاد

بما اقتبس منها ، وهي تمثل نتاجا علميا لجهود عدد كبير من ثقاة الباحثين المختصين باللغتين السومرية والاكدية · ويمكنني أن احدد المواضيع التي استفدت منها في استخلاص ما يتعلق ببحثي هـذا من أدلـة على الوجـه الآتـــي :

١ ـ الاساطير القديمة والنصوص الادبية عموما ، والمادة الموجودة فيها اما تتطرق عرضا الى موضوع البحث فاخذت منها ما اقتضت الحاجـة اليه ، او أنها تدور بشكل رئيسي عن الموت والحياة الاخرى فقمت بترجمتها ترجمة كاملة والحقتها في نهاية البحث ، وسآتي الى استعراضها بعد قليل ، الا انني اود ان أشير هنا الى ان مواضيعها تنوعت بين الاساطير والملاحم والرؤى (الاحلام) ·

٢ ـ النصوص الخاصة بالشعائر والتعاويذ والرقى السحرية المعـدة لانقاذ المرضى من براثن الموت او طرد الشياطين والارواح الشريرة الصاعدة من العالم الاسفل (عالم الاموات) ·

٣ ـ الابتهالات والادعيـة الدينية والتراتيم المخصصة للآلهـة في شتى المناسبات وعلى الاخص منها المتعلقة بآلهة الموت ·

٤ ـ المراثي ، سواء الخاصة منها بالآلهة ، مثل الاله « تموز » بالدرجة الاولى ، ام بالبشر من الملوك وعامة الناس ·

٥ ـ الكتابات المنقوشة على الواح يمكن اعتبارها بمثابة شواهد قبور ·

٦ ـ الاشارات الواردة في الشرائع (لا سيما شريعة حمورابي) وكذلك الكتابات المنقوشـة في احجـار الحـدود (الكـدورو) والالـواح التذكاريـة ·

٧ ـ الرسائل والنصوص الادارية ، ولاسيما تلك التي يـرد فيها مـن الاشارات ما يخص التهيؤ لاقامة الشعائر الجنائزية لبعض الملـوك أو الاشخاص المهمين أو تهيئة القبور لهم وصيانتها من الاذى ·

٨ ـ النصوص الكتابية العائدة للملوك والتي تتحدث عـن اخبارهـم

وحروبهم وانتصاراتهم وافعالهم باعدائهم ودعواتهم علـى اولئـك الاعداء ملوكنا وجيوشنا ، وكذلك دعواتهـم بالخيـر لانفسـهم ولبلدانهـم .

ولعله من المفيد هنا الاشارة الى اهم الدراسـات التـي تناولـت موضوع الموت والحياة الاخـرى في العقائـد القديمـة واقـدمها كتابـات موريس جاسترو « (Morris Jastrow) المتميـزة بشـموليتها واتساعها واتجاهها العلمي بالرغم من قدمها وقلة مصادرها ، فقد خصص هذا الاستاذ فصلا كاملا عن الحياة الاخرى في عقائد سكان العراق القدماء في كتابه الموسوم :

The Religion of Babylonia and Assyria, (Boston, 1898)

وتناول فيه موقع عالم الاموات واسمائه وحالة الموتـى فيه وآلهتـه ، اضافة الى تطرقه للقبور وعادات الدفن ، وفي عام ١٩١١م اعاد الاسـتاذ « جاسـترو » بحـث الموضـوع بتفصيل أكثـر في كتابـه المعنـون :

Aspects of Religious Belief and Practice in Babylonia and Assyria, (New York and London, 1911)

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات خصص المحاضرة السادسة منها لموضوع الحياة الاخرى على ضوء النصوص الادبية المعروفة آنذاك ، ثم اتبعه بكتاب آخر هو /

Hebrew and Babylonian Traditions, (New York, 1914)

تناول في الفصل الرابع منه البحث في تصورات الحياة الاخـرى عنـد العبرانيين والبابليين والمقارنة بينهما . وفي عـام ١٩٤٦م ظهـر اهـم البحـوث في هذا الموضـوع في كتاب الاسـتاذ « الكسـندر هايـدل » (Alexander Heidel) الموسـوم

The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels

الذي اعيد طبعه عام ١٩٤٩م ثم طبع مرة اخرى في عـام ١٩٦٧م ، وهـو يتضمن فصلا مهما عنوانه « الموت والحياة الاخرى » ويدور موضوعه عن اصل الموت وطبيعته وعالم الاموات وحالة الموتى فيه كما تناولتها عقائـد سكان العراق القدماء وكذلك نظرة اولئك السكان الى مسألة بعث الموتى مع عقد مقارنات في ذلك كله مع الديانة العبرانية ·

ومن البحوث المهمة عن موضوع الموت والحياة الاخرى عند سكان العراق القدماء مقالة الاستاذ « صموئيل نوح كريمر »
"Death and Nether World / المعنونة (Samuel Noah Kramer)
According to the Sumerian Literary Texts"
المنشورة في مجلة Iraq, XXII, (London, 1960) وهي تبحث

حالة الموتى من الملوك وعامة الناس في العالم الاسـفل (عالم الامـوات) وكذلك تبحث في شعائر الحداد على ضوء ما تقدمه النصوص الادبيـة السومرية التي يدور موضوعها على الرثاء · واخيرا تجدر الاشـارة هنا الى مقالة السيدة « ميرندا بيلس » (Miranda Bayliss) الموسومة /
"The Cult of Dead King in Assyria and / المنشـورة في مجلة
Babylonia" Iraq, XXXV, Pa.2 (London, 1973)

ويتركز موضوعها على الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين لارواح الموتى اعتمادا على النصوص المسمارية الآشورية والبابلية ·

اما المنهج الذى اتبعته في بحثي هـذا فهـو اني تناولت الموت اولا على انه قضية لها ابعادها في الفكر واثرهـا في حياة سـكان العـراق القدماء ونظرتهم الى خلود آلهتهم وحتمية الموت عليهم فخصصت لذلـك الفصل الاول من البحث والذي عنونته «الموت والخلود» ويدور البحث فيه عن خلود الآلهة كقاعدة عامة انفردت بها وشرحت ما شذ عن هذه القاعدة

من حالات واسبابها ونتائجها ثم استحالة هذا الخلود على البشر وحتمية الموت عليهم وموقفهم منه واثر هذا الموقف في تصرفاتهم وفي اوجه نشاطهم وطموحهم مع ذكر الحالات الشاذة عن حتمية الموت بحصول بعض البشر على الخلود وشرح الكيفية التي حدثت بها تلك الحالات وتطرقت اخيرا الى تسليمهم بحتمية الموت واقتصار كل امنياتهم على العمر المديد ، مع الحديث عن قيمهم في الحياة في ضوء افكارهم تلك . اما الفصل الثاني وعنوانه « الروح والعقاب والثواب » فقد خصصته لدراسة افكار سكان العراق القدماء عن الروح وماهيتها وعلاقتها بالجسد وما يحدث لها بالموت ثم انتقالها الى العالم الاسفل وحالتها فيه والعلاقة ما بينها وبين الجسد من جهة وما بينها وبين الاحياء من جهة اخرى مع مناقشة فكرة البعث وقيامة الموتى في العراق القديم وفيما اذا كان قد عرفها سكانه القدماء وكذلك البحث في مصير الروح في العالم الاسفل وعلاقة هذا المصير بالاعمال التي قام بها الميت اثناء حياته على الارض من خير وشر والكيفية التي تصورتها عقائد حضارة وادي الرافدين القديمة لايقاع العقاب او نيل الثواب وعلاقة ذلك بروح الميت وبالتالي اثر ذلك كله في حياتهم الدنيوية وفي تبلور قيمهم فيها . وفي الفصل الثالث المعنون « العالم الاسفل / اسماؤه ، وصفه وآلهته » تناولت عالم الاموات والاسماء التي اطلقها عليه سكان بلاد وادي الرافدين القدماء واوصافه وموقعه من الكون ثم الآلهة التي تحكم فيه وعلاقتها بالاحياء وبالاموات معا ومكانتها بين سائر الآلهة في الكون وكذلك اتباعها من الآلهة الصغرى والشياطين المعهود اليها بتنفيذ الاوامر سواء في العالم الاسفل ام في عالم الاحياء . اما الفصل الرابع ، وهو الاخير ، فقد جعلت عنوانه « طرق الدفن والشعائر الجنائزية » ويتناول الممارسات والشعائر العملية التي تتبع الموت من دفن وشعائر جنائزية وحداد مع

الحديث عما يمكن استخلاصه من الدليل الاثرى المتوفر من نتائج التنقيبات وبالدرجة الاولى ما يخص القبور واشكالها وطرق الدفن فيها ، اضافة الى الحديث عن الكيفية التي تتم بها الشعائر الجنائزية ومواعيدها والغاية منها واثرها على حالة ارواح الموتى في العالم الاسفل ومن ثم شرحت الطريقة التي كان سكان العراق القدماء يعبرون فيها عن الحزن على الاموات · واخيرا اتبعت فصول الكتاب بملحق ضمنته الترجمات الكاملة للاساطير والنصوص الادبية الخاصة بالبحث والتي اعتمدت على ما تضمنته من مادة في مواضع متعددة من فصول البحث ، وهذه النصوص هي /

١ ـ « اسطورة نزول انانا (عشتار) الى العالم الاسفل » (الرواية السومرية) ·

٢ ـ « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » (الرواية الآشورية) ·

٣ ـ « اسطورة الالهين نركال وايرش ـ كيكال » ·

٤ ـ « اسطورة ادابا » ·

٥ ـ اللوح الثاني عشر من « ملحمة كلكامش » ·

٦ ـ « رؤيا الامير الآشورى عن العالم الاسفل » ·

وقد مهدت لفصول البحث بمدخل قدمت فيه استعراضا شاملا عن طرق الدفن وافكار الانسان عن الموت والحياة الاخرى في الحقب السابقة لظهور الحضارة الناضجة (مطلع الالف الثالث ق·م) ابتداءا من العصر الحجري القديم الاوسط الذي بدأت تظهر فيه اولى الممارسات الجنائزية الواعية وتتبلور اولى الافكار عن الموت وبوجه خاص عند انسان « النياندرتال » ثم العصر الحجري القديم الاعلى والعصر الحجري الحديث الذي شهد مرحلة حضارية متقدمة في منطقة الشرق الادنى القديم ...

اثر التحول من جمع القوت الى انتاجه بالزراعـة وتدجين الحيـوان ، وبالاضافة الى ان هذا المدخل بمثابة توطئة ضرورية للبحث فانه يكتسب أهمية خاصة لكونه يظهر لنا بعض الممارسات التي وجد ما يضاهيها في حضارة العراق القديم في الفترة التي يتناولها البحث وفي حقب مختلفـة منها ، ومن تلك الممارسات اذكر الدفن بوضع القرفصاء والدفن المجـزأ واستعمال الصبغة الحمراء في طلاء جسد الميت ، ولذلك يمكن اعتبار هذا المدخل بمثابة استقصاء لاصول تلك الممارسات منذ اول ظهورها .

وختاماً اتقدم وانا في غمرة مشاعر الوفاء والامتنان بجزيل الشكر والتقدير الى استاذي الفاضل طـه باقـر عارفاً له ما بذل من جهـد وما قدم من ارشاد وتوجيه طيلة اشرافه على اعدادي لهذا البحث ، كما اسجل هنا خالص شكري وامتناني الى الاستاذة الفاضلة فريال المختار ، المشرفة على مكتبة قسم الآثار في كلية الآداب والى الاخ الفاضل سمير الصراف . المسؤول عن قسم الكتب الاجنبية في مكتبة المتحف العراقي ـ القسـم النسائي ـ على ما بذلاه من جهـود نبيلـة في مساعدتي بالحصـول عـلى المصادر التي احتجتها اثناء عملي في البحـث وكذلـك الى الاخ العزيز عبدالرزاق رحيم الذي كان لمساعدته النبيلة الفضل الكبير في انجـاز عملية طبع هذا الكتاب ؟

كما أتقدم بشكري الى الامانة العامة للمكتبة المركزيـة في جامعـة بغداد على ما وفرته وتوفره للباحثين من مساعدات قيمة كان لها عميـق الأثر في تسهيل الحصول على المصادر اللازمة لاعداد البحث ؟

نائـل حنـون

بغـداد ـ ١٩٧٧



Abbreviations :

المختصـرات :

فيما يلي قائمة وضعتها بمختصرات بعض المصـــادر الرئيسة التي اعتمدت عليها في البحث والتي ترد في مواضع مختلفة من الكتـــاب وذلك تجنبا للتكرار :

1 - AG. Knut Tallqvist , «Akkadische Gotterpithita» STUDIA ORIENTALIA, VII, (Helsinki, 1938).

2 - ANET : James B: Pritchrd (ed:) ,
Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament 3rd Edition. (New Jersey, 1969) :

3 - ARBA: Morris Jastrow , Aspects of Religious Belief and practice in Babylonia and Assyria, (New York, 1911) :

4 - BG : A . Heidel , Tht Babylonian Genesis , (Chicago, 1967)

5 - BWL : W. G: Lambert , Babylonian Wisdom Literature, (Oxford, 1960)

6 - CR : E. O: James, Comparative Religion, (London , 1961)

7 - CT. Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, (London , 1890)

8 - ELBA . Georges Contenau, Everyday Life in Babylon and Assyria, (New York, 1966)

9 - ERE. Encyclopaedia of Religion and Ethics, (New York, 1958 - 9)

10- GB : H.W. Saggs, The Greatness that was Babylon , (New York, 1968)

11 - GE. A : Heidel, The Gilgamesh Epic and old Testa— ment Parallels, (Chicago , 1967)

12 - IAAM. Henri Frankfort, et . el :, The Intellectual Adv - enture of Ancient Man, (Chicago , 1957)

13 - KG. H.Frankfort , Kinkship and the Gods (Chicago , 1958)

14 - KS: S.N.Kramer, The Sumerians, (Chicago , 1964)

15 - MRAE. Edwin O.James, Myth and Ritual in Ancient Near East, (London, 1958)

16 - SANT . Knut Tallqvist, « Sumerisch - Akkadische Namen der Totenwelt » , STUDIA ORIENTALLA , V, 4, (Leipzig, 1934)

17 - SMR : S.N.Kramer, The Sacred Marriage Rite, (London, 1969)

18 - TITC . Thorkild Jacobsen , Taward the Image of Tammuz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, (Chambridge , 1970) , Ed. William L.Moran

19 - TUL. E.Ebeling, Tod und Leben nach den Vorstellungen der der Babylonier, (Berlin , 1931)



المدخل الى البحث



اثرت ظاهرة الموت في حياة الانسان في مجالين ، اولهما عقلي في محاولته فهم تلك الظاهرة وتفسيرها وبالتالي تحديد موقفه منها ، وثانيهما عملي يتمثل في قيامه باعمال خاصة معينة تعقب حدوث الموت ابتداءا بعملية التخلص من الجثة وانتهاءا بأداء الطقوس والشعائر الخاصة بالموت ، ولا شك في ان انجاز هذه الامور لا يتأتى الا بالحوافز التي يمليها المجال الاول اى المجال العقلي : فعلى سبيل المثال نجد ان طرق « التخلص » من الجثة تختلف من مجتمع الى آخر باختلاف فكرة افراده عن الموت وكذلك الحال بالنسبة للطقوس والشعائر ، ومن هنا تصبح طرق دفن الموتى دليلا ماديا يوضح عقائد المجتمعات البشرية التي مارستها عن الموت ، ولما كنا بصدد تتبع هذه الافكار والعقائد باستعراض شامل منذ اول نشوئها عند الانسان وحتى ظهور اولى الحضارات القديمة في الشرق الادنى ومن ثم في حضارة بلاد وادي الرافدين (موضوع البحث) ، فأنني اركز حديثي هنا على اساليب الدفن المختلفة التي مارسها الانسان في حقب سحيقة من عصور ما قبل التاريخ لتكون مدخلا يلقي الضوء على ما ساذكره من شعائر جنائزية مارستها الاقوام التي استوطنت وادي الرافدين منذ اقدم العصور وحتى انتهاء الحضارة البابلية الاخيرة ٠

يتفق معظم الباحثين على ان التفكير بالموت قد شغل الانسان القديم منذ فترات طويلة قبل ظهور الانسان العاقل (Homo Sapiens) اذ اثارت فكرة الموت الغامضة والمحيرة انتباهه وقادته الى محاولة انجاز شعائر معينة لتجاوز تلك الحركة المربكة[١] ، ومن اهم المواقع التي قدمت الدليل الواضح على ممارسة انسان «النياندرتال» دفن الموتى نذكر

---

(١) MRAE., P. 81

الموقع المعروف باسم «شابل اوسانت» (La Chapelle - aux - Saints) في مناطعة «كوريز» (Correze) في فرنسا ، اذ عثر فيه على قبر كان على بعد ثلاثة امتار من مدخل الكهف الذى سكنه ذلك الانسان وكان يحتوى على هيكل لانسان نياندرتال ذكر في منتصف العمر وقد دفن وهو ممدد على ظهره ورأسه باتجاه الغرب وقـد احيط الراس بالصـخور بينما كانـت الذراع اليمنى مرفوعة الى الاعلى ومثنية واضافة الى ذلك وجدت كسر عظام لبقرة كبيرة فوق الراس في حين احيط الجسد باحجار الصوان والكوارتز (المرو) والمغرة والكسر العظمية [٢] ، وفي موقع آخر يدعى « فيراسي » (La Ferrassie) في « الـدوردون » (Dordogne) وجدت اربعة هياكل من نوع انسان النياندرتال مدفونة في خندق صخرى قليل الغور ، اثنان منها لرجل وامرأة بالغين والآخران لطفلين ، وقد عثر مع هذين الاخيريـن على أدوات مستيرية وكسر من عظام ثور « البيسون » وغزال « الرنـه » والحصان ، والواضح انها بقايا لوليمة جنائزية[٣] ، أما جثة الرجل فقد دفنت بطريقة مجزأة اى أن الرأس فصل عن الجسد بعد المـوت ودفـن وحده محاطا بالالواح الحجرية ، ويظهر ان جثة المرأة كانت قد احنيـت قبل الدفن اذ أن يديها مضمومتان للصدر ورجليها مضغوطتين نحـو الحوض ومن المحتمل ان يكون الجسد قد ربط قبـل ان يتصـلب[٤] ،

---

(٢) E · O . James , Comparative Religion , (London , 1971) P . 275f .

(٣) Ibid . , P . 276 . ref L . Capitan and D . peyrony , L' Anthropologie, XXI, (1910), P.372

(٤) Graham Clark and Stuart Piggott, Prehistoric Sosieties (London , 1965) , P . 63

تتضح تماما الا في الديانة المسيحية(٨) ، على انني ارى ان الباعث الرئيسي لهذه الحالة واتباعها في الدفن من الممكن ان يستخلص من تتبع الظروف التي عاشها انسان النياندرتال حيث أنه عانى من برودة الطقس الشديدة في الفترة المبكرة التي سبقت العصر الجليدي الاخير خلال المرحلة الاخيرة من وجوده ، وامام هذه الظروف الطبيعية القاسية اتجه النياندرتاليون الى سكن الكهوف اتقاءا للبرد ، وهنا بدأت تجمعاتهم بالاختزال الى عدد اقل من العدد الاعتيادي وتوزعت هذه المجموعات الصغيرة على الكهوف مما أدى على مايبدو الى ظهور الروابط العائلية بين كل مجموعة بذاتها ومن ثم ظهور دين الموتى دليلا على تلك الروابط(٩)، وبما ان عملية الدفن داخل الكهوف كان يعيقها ويتحكم فيها المساحة المحدودة للكهف اولا ، والطبيعة الصلدة لارضيته ثانية ، وهي الطبيعة التي اتسمت بها ارضيات المواقع المفتوحة ايضا ، فقد لجأ انسان النياندرتال الى تقليل مساحة القبر وعدم التعمق في حفره ، ومن هنا كانت وضعية القرفصاء بضم الاطراف الى الحوض والصدر هي الوضعية المثلى للدفن حينذاك .

ويذهب بعض الباحثين(١٠) الى أن انسان النياندرتال كان له شيء من الاعتقاد بالروح من طريقة معاملته للموتى ، فقد اكتشفت في كهف « كرابينا » (Krapina) في « كرواتيا » بيوغسلافيا بقايا متكسرة

---

(٨) نشير هنا الى قول السيد المسيح « الحقّ الحقّ اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت ، فهي تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير ـ يوحنا/١٢ : ٢٤ ـ

(٩) Jacquetta Hawkes and Sir Leonard Woolley , and the Begining of Civilization , 1 (London , 1963) P. 119

(١٠) G . Clark and S . Piggott , OP . Cit . , P . 61

لاكثر من عشرة جماجم لانسان النياندرتال وكان بعضها محروقا وقد عثر معها على بقايا حيوانات وحشية ، وقد فسرت هذه الجماجم بان النياندرتاليين كانوا يمارسون اكل ادمغة الموتى ، ومما يثبت هذا اكتشاف جمجمة لانسان النياندرتال ايضا في « مونت جرجيو » (**Mont Circeo**) في ايطاليا وقد احدث كسر في قاعدتها يبدو ان الغاية منه اخراج الدماغ لاكله(١١) . والمعروف ان عادة أكل ادمغة الموتى مورست ايضا في دور البلايستوسين الوسيط Midddle Pleistocene من قبل انسان بكين كما تدل المكتشفات الاثرية في « جوكوتيان » (ChoKoutien) في الصين الشعبية(١٢) ، ولعله يمكن تفسير الدافع لاكل ادمغة الموتى بان الانسان القديم أعتبر الرأس مصدرا لقدرات الفرد وحين يؤكل دماغه تنتقل تلك القدرات الى آكله(١٣) ، ولما كانت عدة هياكل وجماجم من هذا القبيل قد اكتشفت في مواقع العصر الحجري القديم والحديث فمن الممكن الاعتقاد بأن تلك العادة كانت واسعة الانتشار في المجتمعات القديمة(١٤) . ومن الملاحظات الهامة عن دفن الموتى عند انسان النياندرتال ايضا أن قبور الموتى كانت تحتل أماكن قريبة من المواقد مما يمكن تفسيره بأنهم كانوا يأملون بطريقة أو باخرى في أن تعيد حرارة النار خاصية معينة للميت ادركوا أن فقدانها سبب الموت وهذا يشير بالتالي الى أن النياندرتاليين لاحظوا الصلة بين الحياة والدفء(١٥) .

---

(١١) Graham Clark, World prehistory - an outline, (London, 1961), pp. 43f.

(١٢) G. Clark and S. Piggott, Loc. Cit.

(١٣) MRAE., P. 31f.

(١٤) MRAE., P. 32

(١٥) V. Gordon Childe, Man Makes Himself, (Great Britain, 1966), P. 55

ان هذا الوضع المتميز بالدفن اصبح موضع جدال بين الباحثين حيث ذهب بعضهم الى ان طوي الجثة كان رغبة في منع عودة الميت لئلا يقلق الاحياء ويسبب الضرر لهم في حين ذهب آخرون الى انـه كان يمثـل محاكاة لوضع الجنين تفاؤلا ورمزا الى ان القبر سيشهد ولادة اخـرى للانسان ، غير انه من المشكوك فيه فيما اذا كان النياندرتاليـون عـلى معرفة كافية بالتشريح ليتمكنوا من تصور حالة الجنين قبل الولادة ، كما أن تجهيزات القبر تشير الى العناية الفائقة والحزن أكثر من دلالتها على الخوف(٥) ، ويتضح هذا الامر من قبـر طفـل صغير من المفروض انه ليس بذى خطر عـلى الاحياء الا انه لاقى معاملة مشـابهة لما لاقاه الكبار في دفنهم ، وقد عثر على هيكل هذا الطفل في « سيبيريا » في الاتحاد السوفيتي وقد احيط رأسه بستة ازواج من قـرون الماعـز الجبلي مرتبة في دائرة(٦) الامر الذي يدل على أن وضعها كان لمجـرد غرض عاطفي بحت(٧) ، ونضيف الى هذا ان فكرة اعتبار القبـر مكانا لولادة جديدة للانسان لم تكن الا فكرة متأخرة في العقائـد ولعلهـا ام

---

(٥) E . O . James , OP . Cit . , P. 276

(٦) Margaret Lusty , The Foundations of our Society , (London , 1966) , P. 36

(٧) كما يوجد افتراض آخر الى ان الغاية من وضع القرون تعويذ القبر وحمايته مثلما هي العادة المتبعة في القبور الحديثة في وادى النيل ، وتتضح الغاية من استعمال القرون ايضا بوضعهـا فوق بوابات البيوت في العصر الحجرى الحديث والعصر البرونزى ، وحتى في العصور الحديثة ، في مناطق حوض البحر الابيض المتوسط :

Gertrude Rachel Levy , The Gate of Horn , (London , 1953 P . 67

ونستطيع الافتراض عن الافكار المتعلقة بالموت عند الانسان القديم ، بأن الحافز المحرك لها لم يكن في حدوث الموت ذاته بقدر ما يكون في الطريقة التي يحدث فيها الموت ، ويؤيد قولنا هذا المثال الذي يذكره الاستاذ « براندون » (S. G. F. Brandon) (١٦) عن التسليم بموت الفرد على انه أمر طبيعي حين تقتله الحيوانات الوحشية التي كان يعيش على صيدها ، فالموت يحدث هنا بسبب قتل الحيوانات له وتحطم جسمه وهذا ما لم يكن معضلة بالنسبة للانسان القديم ، ولكن الموت بالمرض ، الذي يحدث مرارا بين تلك الجماعات الانسانية القديمة ، كان امرا بالغ التعقيد بالنسبة لهم ، اذ ان الانسان يجد نفسه هنا أمام حالة يحل فيها الضعف والموت بصورة فجائية في الشخص السليم البنية ، ولذا فمن الطبيعي ان يتجه تفكيره في ظل امكانياته العقلية المحدودة الى ان الموت ليس الا نتيجة لهجوم قوى معينة لا يمكن رؤيتها ، وبذلك انصب تفكير الانسان في تلك المرحلة من تطوره الفكري على سبب موت شخص معين بالذات بدلا من التفكير بسبب الموت ذاته(١٧) ، وهو الامر الذي جعل من اللجوء الى وسائل ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) ، التي تحتل مكانا وسطا بين السحر والدين ، امرا ضروريا من اجل البقاء والمحافظة على الحياة بالخوف المستمر من الموت(١٨) ، وعلى العموم كانت تلك الممارسات الجنائزية التي كان يقوم بها انسان النياندرتال تمثل اتجاها

---

(١٦) Religion in Ancient History , (New York ,1969) , P. 31f.

(١٧) H. Frankfort , in IAAM. , P .16

(١٨) E. O. James , The Tree of Life , (Leiden , 1966) , P. 201



فكريا في الفعاليات البشرية لا يمكن توقع مساره بصورة محدودة لكونه يمثل خروجا عن الجانب المادي في الحياة الانسانية ويقف وراء هذا الاتجاه عمق الاحساس بحقيقة الموت المرعبة اذ اصطدمت مشاعر ذلك الانسان البدائي بالخراب الذي يحدثه الموت وانتجت تلك الصدمة ظهور اولى بوادر الفكر المجرد عنده(١٩) ، غير انه وان لم يعتقد بانقطاع الحياة تماما الا أنه ظل عاجزا عن استجلاء الغموض الذي يكتنف نوع الاستمرارية للانسان بعد الموت رغم ادراكه لحاجة الفرد الميت للمواد الغذائية واللوازم ، والجدير بالذكر هنا ان تلك العناية الكبيرة بالموتى والتقريب لهم والتي لا طائل منها استمرت من ذلك الوقت حتى قدر لها ان تصبح متاصلة الجذور في الفكر والسلوك الانسانيين وتقاربت في طرق ادائها في مختلف العصور وشتى البقاع التي استوطنها الانسان وليس ادل على هذا من بعض العجائب المعمارية الشهيرة مثل الاهرام وتاج محل والتي لم تكن الاجزاء من هذه العناية بالاموات (٢٠) . واختتم الحديث عن معتقدات ما بعد الموت عند انسان النياندرتال بالاشارة الى ما عثر عليه في شمال العراق من مخلفات وبقايا عظمية تعود اليه وذلك اثناء التنقيب في كهف شانيدار وقد تركت الحديث عنها الى الفصل الرابع من البحث الذي يدور موضوعه عن طرق الدفن ومراسمه في العراق القديم .

واذا انتقلنا الى العصر الحجرى القديم الاعلى (Upper Palaeolithic)(٢١) فبامكاننا تلمس الدليل على اعتقاد الانسان بالحياة

---

(١٩) B. G. Childe, Man Makes Himself, P. 54

(٢٠) Ibid., P. 54f.

(٢١) ويتميز هذا العصر الحجرى بتطور بيولوجي كبير عند الانسان هو ظهور نوع الانسان الحديث الذى اطلق عليه اسم الانسان العاقل Homo Sapiens

الاخرى بعد الموت من ممارسات الدفن التي تثبت ان الموت اصبح له مفهوم جديد باعتباره عبورا الى حياة اخرى بطريقة ما بعد الدفن(٢٢) وبذا يمثل هذا الدور مرحلة متقدمة في تاريخ الفكر الانساني عن الروح بمحاولة الانسان ادراك ماهيتها وموضعها(٢٣) ٠والواقع ان طقوس الدفن اصبحت اكثر تعقيدا في هذا العصر بعد ظهور انسان «كرومانيون» (Cro - magnons) ومعاصرية، مثل انسان الكرمالدى، ففي احد الملاجيء الصخرية في «لي ايزيس» (Les Eyzies) اكتشفت مجموعة مكونة من ثلاثمائة قطعة من المحار البحري كانت مثقبة وموجودة في قبور الموتى ومن الواضح انها كانت منظومة بالاصل بشكل عقود(٢٤)، ووجد في «لاكروت دي كافيلان» (La Grotte du Cavillan) هيكل رجل من نوع كرومانيون ايضا مدفون بوضع القرفصاء وقد وضعت حول رأسه اكثر من مائتي قطعة محار(٢٥) ومن المحتمل ان تكون هذه القطع من المحار قد استعملت للتعويذ(٢٦) وكانت الهياكل في هذا العصر كما يستدل من عدد كبير من القبور المكتشفة في عدة مواقع (في كريمالدى Grimaldi وبافيلاند Paviland وكلاموران Glamorgan وشانسيلاد Chancelade وبرنو Brono

---

(٢٢) S . G . F . Brandon , Religion in Ancient History , P . 72

(٢٣) Ibid . , P . 101

والحقيقة ان فكرة الفناء التام بالموت كانت امرا نادرا بين المجتمعات البشرية ولم يعتقد بها الكثير من غير السفسطائيين مثل الفيلسوف اليوناني « ابيقور » (٣٤١ – ٢٧٠ ق ٠م) وتلميذه الشهير « ديموقريطس » ٠

(٢٤) MRAE . , P . 33

(٢٥) E . O . James , Compartive Religion , P . 277

(٢٦) Ibid . Loc . Cit .

رموتيوكس Hoteaux واوبركاسل (Obercassel) تطلي بمسحوق

من الصبغة الحمراء (المغرة) التي ترمز بدون شك الى لون الدم والقصد منها ان الميت سيحيا فيما بعد على اعتبار ان الدم رمز الحياة(٢٧)، ونذكر هنا ان طلاء الهياكل بالصبغة الحمراء يعده بعض الباحثين دليل على الدفن بعد زوال اللحم، الا ان الراجح هو وضع الصبغة الحمراء على الجلد ومن ثم تنفذ الى العظام بعد تلاشي الاجزاء الهشة من الجسد(٢٨)٠ ونختتم الحديث عن هذا الدور من العصر الحجري القديم بذكر انه لم يشهد اي محاولة لفصل قبور الاموات عن ملاجيء الاحياء، اذ استمرت العادة بدفن الاموات في قبور محفورة في ارضيات الكهوف مع استمرار سكناها من قبل الاحياء، وهذا ما حدث حتى في المواقع المكشوفة (Open Sites) في جنوب روسيا وسهوب مورافيان (Moravian Loess) حيث كان اكتشاف القبور يتم اثناء عملية تنقيب المستوطنات(٢٩)، الامر الذي يشير الى استمرارية الاعتقاد بأن بقايا الاموات جزء من العائلة او الجماعة العائدة لها اضافة الى اعتبار الجثة والقبر المدفونة فيه حلقة وصل بين مظهرين للوجود(٣٠)٠

اما في العصر الحجري الحديث، حيث حلت الزراعة وتدجين الحيوان محل الصيد وجمع الاثمار والجذور، فقد كانت العناية منصبة على تغيرات الفصول واصبحت طقوس الانبات والخصوبة الركيزة الاساسي في الفكر الديني ولذلك فاننا نلاحظ وجود التماثيل الانثوية للالهة الام (رمز الخصوبة) في القبور واصداف المحار والصبغة الحمراء وبعض الموادالمستعملة

---

(٢٧) MRAE :. P: 33f :

(٢٨) G.R. Levy , The Gate of Horn , P , 69

(٢٩) G. Clark and S. piggott, Op. Cit., P. 76

(٣٠) G. R. Levy . OP. Cit ., P. 96f .

في الحياة وادوات معينة مثل انفاس اضافة الى البقايا العظمية لطيور الحمام ورؤوس الثيران والثعابين،ويمكن الافتراض بأن الغرض من هذه الاشياء كلها هو تيسير بعث الميت(٣١) بوضع ممكنات الخصوبة في قبره،ويأتينا الدليل على ممارسة الدفن في اوائل العصر الحجري الحديث من جبل الكرمل في فلسطين حيث وجد المنقبون ان الموتى النطوفيين (نسبة للحضارة النطوفية التي تؤرخ الى ١٠٠٠٠ - ٨٠٠٠ق٠م في بدايتها تقريبا والتي هي مرحلة انتقال الى العصر الحجري الحديث مما يسمى بالعصر الحجري الوسيط (Mesolithic) قد دفنوا بقلائدهم المحارية(٣٢)وقد وجدت آثار الصبغة الحمراء على هياكلهم،ومن مواقع العصر الحجري الحديث في الشرق الادنى موقع «مرمدة بني سلامة» في مصر وفيه كان السكان يدفنون موتاهم بجوار منازلهم،،واتبعت الطريقة من قبل مجتمع حضارة «حلوان العمري» في مصر ايضا اذ وجدت المدافن داخل القرية وهذا ما يبين لنا بأن ذلك المجتمع لم يصل في تطور تفكيره الديني الى مرحلة تخصيص مكان معين لغرض دفن الموتى خارج القرية بل ان دفنهم كان يتم داخل نطاق قرى الاحياء(٣٣)،وفي موقع «طاسة» في مصر دفن الموتى بوضع القرفصاء مكفنين بالجلود في حفر مبطنة بالقش(٣٤)،وفي «العمرنة» في مصر الوسطي وجدت

---

(٣١) E. O. James, The Tree of Life, P. 201

(٣٢) G. R. Levy, Op. Cit., P., 66. ref,
D. A. E. Garrod, The Stone - Age of Mt. Carmel, Vol. I, (1937), PP. 10-3

(٣٣) رشيد الناضوري ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص١٢٥ ٠

(٣٤) V. Goddon Childe, New Light on the Most Ancient (London, 1952), P. 34

تماثيل الطين في القبور(٣٥) وكذلك الحال في الدور البداري بعد الالف الخامسة ق٠م(٣٦) والذي كانت التماثيل الموجودة في القبور المنقبة منه ملونة(٣٧) ٠

وننتقل من مصر الى فلسطين حيث كانت الطريقة السائدة في السهل الساحلي في هذا العصر هي وضع عظام الميت في «معظمة» (Ossuary) وهي عبارة عن صندوق فخاري على هيئة بيت او حيوان تمثل مسكنا لروح الميت(٣٨) وكانت توضع على رف في الكهف الجنائزي الذي كان غالبا مايحفر في الصخور الهشة(٣٩)، وقد استعملت هذه الطريقة في جبيل «بيبلوس» (٣٥٠٠-٣٢٠٠ق٠م) (٤٠)، اما في مقبرة الغسول المكتشفة في «وادي الازيمة» في الاردن فقد كان الاموات يدفنون في قبور حوضية الشكل بوضع القرفصاء وكانت تغطى بركام دائري من الحجارة وهذا يختلف عن طريقة الدفن في السهل الساحلي، ويبدو ان ذلك الاختلاف ناجم عن اختلاف المجتمع الساحلي الذي كان من عنصر البحر المتوسط عن المجتمع البدوي أو عنصر شرقي الاناضول(٤١)، وفي «بئر سبع» (الحضارة الغسولية ٣٣٠٠ق٠م) مورست طقوس دفن مختلفة اذ كان السكان يدفنون موتاهم اما بوضع القرفصاء أو بوضعهم بدون اهتمام في مخازن الحبوب

---

(٣٥) G.Clark, World prehistory , P. 104

(٣٦) MRAE. , P.35f :

(٣٧) G.R.Levy , Op: Cit: , P: 107

(٣٨) M.Lusty , The Foundations of our Society , 54, No. 61

(٣٩) James Mellart , The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia, (Beirut , 1966), P.22f

(٤٠) Ibid ., p:44

(٤١) James Mellart, Op. Cit .,p:34

المتروكة(٤٢)،اما في شرقي الاناضول ومن العصر نفسه فقد مورس الدفن الثانوي (المتكرر)، حيث تجمع العظام بعد ان تتلاشى الاجزاء الهشة،وتكوم بجانب جدار الغرفة الجنائزيةوتكون الجمجمة فوق سائر عظام الجسد(٤٣) ويلاحظ في موقع «جطل حيوك»(Catai Huyuk) ان الموتى كانوا يدفنون تحت ارضيات البيوت والمزارات بعد ان يزال اللحم بتعريض الجثة الى الطيور ، ومن المحتمل أن يكون الدافع لهذه الطريقة الوقاية الصحية(٤٤) بالتخلص من عفونة الجثة،ويتميز هذا الموقع بمنازله التي لايدخل لها من ابواب وانما من فتحات بالسقوف تنزل منها سلالم خشبية وقد زودت بعض الغرف بمصاطب تستخدم للجلوس او للنوم ولدفن عظام الموتى تحتها(٤٥) .

وفي العصر البرونزي المبكر (في حدود الالف الرابع ق٠م) كان الموتى في وسط اوربا يدفنون دائما بوضع القرفصاء(٤٦)، وفي اسبانيا كان دفن الموتى يتم بوضع القرفصاء ايضا داخل المستوطنات،بين البيوتاوتحتهااما داخل احواض صغيرة او في جرار كبيرة،وقد وجدت بعض النواويس الحجرية التي تؤرخ الى هذا العصر(٤٧)،اما في الشرق الادنى فقد كان من المعتاد دفن الموتى في جرار وكانت توضع معهم قدور واواني حجرية ومواد

---

(٤٢) Ibid., p. 22

(٤٣) J. Mellaart , Top . Cit :, p: 22ff:

(٤٤) James Mellart, Earliest Civilization of the Near East, (London, 1965) , p.86

(٤٥) رشيد الناضوري ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٤٦) V. Gordon Childe The Bronze Age, (New York, 1963),

(٤٧) Ibid :, p . 148

معدنية مثل الخناجر والفؤوس والدبابيس وغيرها(٤٨)، ولابد ان نذكر هنا ان المقبرة الملكية في «اور» من عصر فجر السلالات في تاريخ حضارة وادي الرافدين ـ الالف الثالثة ق٠م ـ ترجع الى هذا العصر ٠

اننا بعد هذا العرض العام للشعائر والممارسات المتعلقة بالموت والحياة الاخرى منذ اول نشوئها عند الانسان، ننتقل الى تتبع هذه الشعائر والمعتقدات في حضارة وادي الرافدين منذ أقدم عصور استيطان الانسان فيها وحتى المراحل الاخيرة من تلك الحضارة في الفصول التالية من البحث٠



---

(٤٨) J : Mellart, Op. Git :, p: 128f:

الفصل الاول

« المـوت والخلـود »

« ياصديقي ، من ذا الذي يستطيع
ان يقهر الموت ؟ الآلهة وحدهم هم الذيـن
يعشون الى الابد مع الشمس اما البشـر
فايامهـم معدودات وكـل مـا عملـوا عبث
يذهب مع الريح »

ـ گلگامش ـ




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

لا بد لنا قبل البحث في موضوع العلاقة بين الموت والخلود في المعتقدات العراقية القديمة ، من توضيح الفارق بين فكرة الخلود وفكرة الحياة الاخرى حيث ان الخلود بمعناه العام يتضمن نوعا من الوجود المستمر الذى لا يتاثر بمرور الزمن ، وقد اختلف مفهوم هذا الوجود بين الجماعات والشعوب المختلفة هل هو وجود مادى متمثل بخلود الافراد بحالتهم الطبيعية او انه خلود النفس الانسانية او النوع الانساني كما يرتأى البعض من ذوى النزعة الانسانية ، اما فكرة الحياة الاخرى بعد الموت فتعتبر الموت عبورا الى مرحلة اخرى من الوجود تكون استمرارا للحياة الدنيوية بشكل ما ، وبهذا لا تمثل فكرة الحياة الاخرى نكرانا تاما لحقيقة الموت ولا يكون المقصود منها أكثر من تلطيف تلك الحقيقة والتخفيف من آثارها على الانسان لمنحه قدرا من الطمأنينة بوجه الموت ، بينما المغزى الاساسي لفكرة الخلود هو نكران الموت كحقيقة باعتباره ابعد من ان يؤثر في كيان الفرد، وبالحقيقة فان الفكرتين لا تلتقيان الا في كونهما جزءا من محاولة الانسان العقلية والناشئة من الدوافع الغريزية الى رفض التسليم بحكم الفناء المطلق عليه ، واني اذ اركز حديثي في هذا الفصل على موضوع الخلود ومفهومه عند سكان بلاد وادي الرافدين القدماء ومناقضة الموت له ومن ثم نظرتهم الى الحياة في ضوء ذلك المفهوم ، فسأعود لمعالجة فكرة الحياة الاخرى في عقائدهم في الفصل الثاني من الرسالة .

كانت القاعدة او العقيدة العامة عند سكان وادى الرافدين القدماء ان الخلود في الحياة ميزة إستأثرت بها الآلهة في حين انها جعلت الموت نصيبا مقدرا على البشر منذ خلقهم(١)، ومما لا شك فيه ان مبعث ذلك

---

(١) « ملحمة جلجامش » ، اللوح العاشر ـ العمود الثالث /٣ ـ ٥ .
وتجدر الاشارة هنا الى اننا اعتمدنا في البحث بخصوص « ملحمة

هو ان الآلهة مسؤولة عن ادارة الكون بجميع مظاهرة المعقدة التي تفوق بكثير عوالم البشر ومن هنا فلا بد ان تتفوق الآلهة على البشر بقدراتها وبخلودها والا فان الكون يكون عرضة للفوضى والدمار حين موتها وهوأمر لا يستساغ حدوثه(٢)، غير ان اضفاء صفة التشبيه على الآلهة ، تلك الصفة التي جعل منها خلوقات شبيهة بالبشر في حاجاتها وتصرفاتها وحتى في هيئاتها ، جعلها تتصرف مثل البشر في كل اعمالها ومن ذلك الاقتتال والحرب مما يعرضها للقتل كما انها تأتي ببعض التصرفات الهوجاء المتوقعة من البشر الامر الذى يؤدي الى تعرضها لمخاطر الموت ، وبالطبع فان هذا كله يؤدى الى نتيجة تبدو مناقضة لصفة الخلود التي تميز الآلهة ، ولكن السؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو الى اي مدى يصل هذا التناقض ؟ ولتوضيح ذلك يجب ان نعدد الآلهة التي تعرضت للقتل والموت وتحليل الاحداث التي أدت الى ذلك محاولين ايجاد الصلة ما بين

جلجامش » على الترجمتين العربية والانجليزية لها وذلك في المصدرين الآتيين •

١ ـ طه باقر ، ملحمة جلجامش ، (بغداد ، ١٩٧١) •

E: A. Speiser , in ANET : , (1969) . 3rd :, 72Seq,

وبخصوص المعنى الوارد في المتن عن حتمية الموت على البشر وتمتع الآلهة أو الاله بالخلود ، نشير الى التشابه في هذا المعتقد بين العراقيين القدماء والعبرانيين كما يتضح من النص الآتي من العهد القديم •

« ايامي كظل مائل وانا مثل العشب يبست اما انت يارب فالى الدهر جالس وذكرك من دور فدور » •

المزامير ، ١٠٢ / ١١ ـ ١٢

(٢) KS . , P . 114

تلك الآلهة والاحداث التي مرت بها في الموضوع الآتي :

« الآلهـــة والمــوت »

يمكن حصر الاحداث التي تعرض فيها الآلهة للموت في ثلاثة مواضيع، الاول مقتلها في اســاطير الخليقة (Cosmogony) واصــل الآلهــة (Theogony) والثاني اســاطير الالهين «انانا» (عشتار) و «دموزى» (تموز) وشعائر الموت السنوى التي تتضمنها اعياد رأس السنة في العراق القديم ، اما الموضوع الثالث فيجمع احداثا متفرقــة تختفي أو تبعد فيهــا بعض الآلهة في العالم الاسفل (عالم الاموات) دون ان يكون لذلك علاقة بطقوس الخصب ، وكذلك الاحداث التي ذكر فيها مقاربة الآلهة من الموت ، ونقدم فيما يلي تفصيلا لهذه المواضيع الثلاثة :

مقتل بعض الآلهة في أساطير الخليقة واصل الآلهة :

وتأتي قصة الخليقة البابلية (اينما ـ ايليش)(٣) في مقدمة هــذه الاساطير ويدور موضوعها حول اصل الآلهــة واصــل الوجــود والاشياء ويمكن ايجازها بانه لم يكن في البدء سوى قوى العماء المتمثلة بالعنصرين

---

(٣) وقد اعتمدت في هذا البحث على ترجمتها الانجليزيــة المنشورة في المصدرين الآتيين :

1 . BG . , PP: 18 Seq :

2 . E. A: Speiser , in ANET : ,PP: 60 Seq :

الاولين المتمثلين بالاله « آبسو » ـ الذي يمثل الماء العذب ـ والآلهة « تيامة » ـ وتمثل الماء المالح ـ وظهر عن اتحادهما الالهان «لخمو» و «لخامو» اللذان انجبا الالهين «انشار» و «كيشار» ثم جاء الى الوجود منهما الاله «آنو» اله السماء الذي يأتي على رأس الآلهة الجديدة ، الا ان رغبة «آبسو» في القضاء على الآلهة الجديدة ، بسبب ضجيجها الذى ازعج الآلهة العتيقة ، فجرت صراعا مريرا بين الآلهة العتيقة والآلهة الجديدة التي قادها الالة «ايا» (انكي الذى استطاع ان يذبح «آبسو» ـ اللوح الاول / ٦٩ ، واللوح الثاني / ٥٥ ـ واسر وزيره «ممو» ـ اللوح الاول/ ٧٠ ـ ، ثم ان «ايا» بعد قتله «آبسو» شيد بيته فوق جسده على اعتبار انه ماء العمق وسكن هناك فيه مع زوجته «دام-كينا» حيث انجبا ابنهما البكر الاله «مردوخ» ـ اللوح الاول/ ٧١ـ٧٢ـ الذى يعتبر البطل الحقيقي للاسطورة اذ انه هو الذى تولى قتال الآلهة «تيامة» كما سنذكر بعد قليل ، والواضح من ذلك كله ان «آبسو» لم يفن من الوجود بعد ذكر مقتله في الاسطورة وانما استمر بهيئته المادية التي هي مياه العمق المسماة باسمه . ثم ان «تيامة» قررت أن تثار لمقتل زوجها من الآلهة الجديدة فهيات لذلك جيشا من المخلوقات المرعبة وسلمت قيادها الى الاله «كنگو» بعد ان جعلته زوجا لها ، وحين تراجع «ايا» عن القتال اختارت الآلهة الجديدة ابنه «مردوخ» ملكا عليها ليقوم بمقاتلة «تيامة» وجيشها ، وفعلا تمكن «مردوخ» من هزيمتها والقضاء عليها ـ اللوح الرابع/١٠٣ ـ وخلق من شطر جسمها الاعلى السماء كما يتضح من بقية الاسطورة ، اما زوجها «كنگو» فقد امسكه «مردوخ» وسلمه الى «اوگاى»(٤) ، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان «اوگاى» كان احد القاب الاله

---

(٤) E.A. Speiser, in ENET :, P : 67, IV : 120

«نرگال» اله الموت والطاعون وحاكم عالم الاموات(٥)،وهذا اللقبمقتبسمن الكلمةالسومرية (UG 5. GA.E) التي تعنيالموت، ويفسربعضالباحثين(٦) كلمة «اوگای» الواردة في قصة الخليقة البابلية بانها تعني «الالهة الميتة» وان «مردوخ» لما قتل «كنگو» وضعه مع هذه الآلهة ، في حين ان الاستاذ «سبايزر»(٧) يرى ان هذا المورد من الاسطورة يعني ان «مردوخ» سلم «كنگو» الى اله الموت «اوگای» ، ويهمنا هنا ان نشير الى ان ورود ذكر الة الموت في هذا الموضع من الاسطورة بلقب «اوگای» يدل دلالة واضحة على اعتقاد البابليين بان وجود اله الموت سبق خلق البشر ، وهو الحدث الذي سترد الاشارة اليه فيما بعد .

وكما قام «ايا» بخلق جزء مهم من الكون وهو مياه العمق من جسد «آبسو» فان «مردوخ» كماذكرت قبلقليل قامايضا بخلق جزءآخرمنالكونمن جسد «تيامة»،اذ امه شطرجسدها الىشطرين جعلمن اعلاهماالسماء-اللوح الرابع/١٣٨-، ويمكننا الافتراض بناءا على ذلك بان المغزى الرئيسي لذكر مقتل«آبسو»و«تيامة»لم يكن مجرد اظهار حدة الصراع بين الآلية الجديدة والآلهة العتيقة،وانما كان القصد منه التوضيح بان الكون(اي السماء والارض «AN-KI» ومعهما مياه العمق «Apsu»)قد تم خلقه من

---

(٥) S. Langdon , The Babylonian Epic of Creation , (1923) , P. 144 , No.5 ... and AG : , P: 477, , ref CT :, 26 : 42 , 11-14

وسناتي في الحديث عن الالة « نرگال » والقابة في الفصل الثالث من البحث

(٦) 1 . A.Leo Oppenheim, « Mesopotamia Methology », in Orientalia, XVI (1947), Roma, P.229, No.2

2 . BG. , P: 41

(٧) ينظر الهامش رقم (٤)

مادة الهية متمثلة باجساد تلك الآلهة،وهذا ماينفي الاستدلال على امكانية تعرض الآلهة للموت والفناء بالطريقة التي يواجهها البشر .

وبعد خلق الكون قرر الاله «مردوخ» خلق الانسان ليقوم بخدمة الآلهة والعمل على راحتها وقد تم ذلك من دم احد الآلهة اذ اختار مجمع الآلهة الاله«كنكو»(الذي مر ذكره آنفا)فقطعوا شرايينه وخلقوا الانسان من دمه - اللوح السادس/٣٢-٣٣ - ، ولاتنفرد قصة الخليقة البابلية من بين اساطير الخليقةفيبلاد وادي الرافدين بتصويرخلق الانسان من دم الهي وانما هي تشترك في ذلك مع الاساطير الاخرى التي تتناول موضوع خلق الانسان ولكن يضيف بعضها الى دم احد الآلهة التراب او الطين ومنها اسطورة وجدت على لوح يعود تاريخه الى سلالة «بابل» الاولى تروى ان الآلهة «مامي» أو «مام»(٨) قامت بناءا على توصية من الاله «ايا» (انكي) بخلق الانسان من دم احد الآلهة (اسمه غير واضح في النص بعد ذبحه لهذا الشأن ، وتذكر الاسطورة نفسها ان الآلهة مزجت لحمه ودمه بالتراب وخلقت منه الانسان(٩) ، وقد وردت تفصيلات اكثر وضوحا عن هذه الاسطورة التي هي عبارة عن مقدمة للملحمة البابلية «اترا-حاسس» التي يدور موضوعها عن الطوفان قبل خلق البشر الخ . لم يكن يوجد في الكون سوى الآلهة ، وكانت الآلهة الصغرى تكدح من اجل الحصول على قوتها اليومي بينما تقاسم الكون الآلهة الثلاثة الرئيسيين «آنو» في السماء و «انليل» على الارض و «انكي» في «آبسو» ، وقد فرض

---

(٨) ويرجح ان يكون هذا الاسم من صفات او القاب الآلهة « ننخرساك » (Ninhursag) التي اعتقد بانها الآلهة الخالقة وعرفت ايضا باسم «ننتو» (Nintu) ومعناها بالسومرية « سيدة الولادة » او « السيدة الولود »

(٩)
1 . BG. , P: 67 : 22 - 6
2 . E. A: Speiser, in ANET :, P: 99f :

«انليل» على الآلهة الصغرى شق الانهار والقنوات الا ان هؤلاء قرروا التخلص من مشاق العمل فثاروا على «انليل» وقاموا باحراق ادواتهم واحاطوا بمعبد هذا الاله (معبد «اي-كر» في مدينة «نفر»)، وبناءا على اقتراح من الاله «آنو» ذهب وزير الاله «انليل» المسمى «نسكو» الى الآلهة المتمردين ليستفسر منهم عن سبب تمردهم، وبعد عودته اختلفت الآلهة الكبار فيما يتوجب فعله ازاء ذلك، فاقترح الاله «انليل» الحاق العقاب باحد المتمردين لكن الاله «آنو» وقف الى جانبهم، واخيرا اقترح الاله «انكي» اقتراحا عمليا بان يخلق الانسان بمساعدة لآلهة الولود «مامي» ليضطلع بخدمة الآلهة واقامة شعائرها، ويلاقي هذا الاقتراح موافقة الآلهة الاخرى، واختير اله يدعي «وي» او «وي-ايلا» - ولم يرد اسم هذا الاله في اي نص آخر - ليذبح ويخلط لحمه ودمه بالتراب ثم يخلق الانسان من هذا الخلط(١٠) حيث يرد في الاسطورة:

«وي-ايلا» صاحب الشخصية .
ذبحوه في مجمعهم
ومن لحمه ودمه
صنعت «ننتو» الطين ... (١١)

وهناك لوح اكتشف في مدينة « آشور » يرجع تاريخه الى حوالي ٨٠٠ ق.م ويحتوى على اسطورة يدور موضوعها على خلق الانسان ايضا . وتتلخص حوادثها(١٢) في ان آلهة « الانوناكي » الموكلة بالسماء والارض قد طلبت من الاله « انليل » بعد خلق الكون ان يسمح لها بذبح عدد

(١٠) G. Lambert & A. R: Millard , Atra Hasis , the Babylonian Story of the Flood , (Oxford , 1969) , P8f.
(١١) Ibid . , P: 59 : 223 - 6
(١٢) BG. , P: 68f :

من الآلهة المسماة « لامكا » التي كانت تعتبر آلهة للبنائين[١٣] ، وقد تم ذلك في منطقة « اوزوموا » المقدسة في مدينة « نبرو » (Nipru) — نفر — لكي يخلقوا البشر من دمائها ليقوموا بخدمة الالهة [الاسطر : ٢٣/٢٧] وبالرغم من ان النص لا يذكر عدد الآلهة التي تقرر ذبحها الا أن الاستاذ « هايدل » (A.Heidel) يفترض انه كان اثنين فقط بدليل انه لم يخلق من دمهما سوى انسانين[١٤] اختارت لهما الآلهة اسمي « اوليگارا » و « زلگارا » — الاسطر : ١١/١٢ من قفا الرقيم) .

أنه لمن الواضح تماما أن الغاية من خلق الانسان كانت خدمة الآلهة كما سبقت الاشارة اليه ، ولكن الامر الذي يثير التساؤل في اساطير خلق الانسان في العراق القديم هو القصد من جعل دماء الآلهة المذبوحة تدخل في عملية ذلك الخلق ، وبخصوص هذا التساؤل أعتقد أنه لا يمكن القول بأن ذلك كله كان لتفسير وجود عنصر الشر في التركيب الخلقي للانسان قياسا على خلقه من دم الاله الشرير « كنگو » الذي سبق ان أشرت آنفا ، ذلك لان اساطير الخلق الاخرى والتي مر ذكرها لا تذكر آلهة شريرة او مذنبة ، وانما يرجع ان يكون القصد من جعل دماء الآلهة تدخل في خلق البشر هو اضفاء مسحة من القدسية على الانسان ليكون اهلا لخدمة الآلهة دون ان تيسر له تلك القدسية نيل الخلود مثل الآلهة حيث لم يكن بمستطاع اى انسان نيل الخلود مهما كانت نسبة المادة الالهية الداخلة في تركيبه . فان «گلگامش» مثلا كان ثلثاه من مادة الهية وثلث واحد فقط بشرى[١٥] ومع ذلك لم يستطع الحصول على الخلود ، ويؤيد افتراضنا ذلك وجود العلامات

---

(١٣) Ibid . , P: 69 , No: 52

(١٤) Ibid. . Loc: Cit,

(١٥) « ملحمة گلگامش » ، اللوح التاسع / العمود الثاني : ١٤ـ١٦

الدالة على الالوحية قبل اسمي الانسانين الاولين « اوليكارا » و « زلكارا » اللذين مر ذكرهما ، مما يعني انهما اعتبرا ، كاسلاف للبشر ، مخلوقين مقدسين بدرجة ما نتيجة لدخول دم الهي في خلقهما دون أن يكونا خالدين(١٦) ، والغرض الثاني من دخول الدم الالهي في خلق البشر هو الاشارة الى وجود شيء ما من الآلهة في الانسان ذلك هو الحياة نفسها ممثلة بالدم وان هذه الحياة تحت سيطرة الآلهة تتحكم فيها ، فهي اذا ليست الا نعمة وقتية للبشر(١٧) .

ومن الاساطير التي تتطرق الى ذكر مقتل بعض الآلهة ضمن موضوع اصل الآلهة توجد اسطورة اكدية عثر على نسخة بابلية متاخرة لها ، وتدور احداثها في مدينة بابلية لا يعرف موقعها وتدعى « دنو » وتتلخص تلك الاحداث(١٨) في انه ظهر ببادىء الامر زوجان من الآلهة هما « خاين » والالهة الارض وان هذين الالهين انجبا زوجا آخر من الآلهة هما « اماكاندو » والالهة البحر ، وكانت السيادة في مدينة « دنو » معقودة للاله « خاين » ولكن زوجته الالهة الارض عشقت ابنها « اماكاندو » الذي تزوجها وقتل اباه « خاين » واضجعه في « دنو » وأخذ السيادة لنفسه ثم انه تزوج اخته الالهة البحر وانجبا الاله « لاخار » الذي قتل اباه بدوره وتزوج من امه الالهة البحر ، وهكذا تستمر الآلهة بالتوالد ويقوم كل جيل جديد منها بقتل آبائه(١٩) .

---

(١٦) BG. , P. 68

(١٧) جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، (بغداد ، ١٩٧٠) ترجمة وليد الجادر ص١١١ .

(١٨) A.K: Grayson , in ANET : , P: 617f :

(١٩) وهذا يشابه ما ورد في اساطير الخلق اليونانية عن تغلب اجيال من الآلهة الابناء على الآلهة الاباء . انظر اى كتاب عن الاساطير اليونانية مثل :
R.Graves , The Greek Myths , 1 , (1964) , P: 27ff.

وبالرغم من احتواء النص على تشويهات كثيرة الا انـه من الواضـح أن هذه الاسطورة ذات صلة بالاعياد المهمة في مدينة « دنّو » حيث تتكرر تواريخ الايام والاشهر في سياق الاسطورة(٢٠) وهذا ما يدفعنا للاستنتاج بأن النص كان مخصصا لوصف ما يجرى في تلك الاعياد من شـعائر تمثل ضمنها هذه الاسطورة على غرار ما كان يجـرى بالنسـبة لقصـة الخليقة البابلة في مدينة « بابل » ، ونورد هنا ملاحظتين حول مورد ذكر مقتل الآلهة في هذه الاسطورة : هما :

اولا : ان التعبير « اضجعه » والذي يتكرر بالنسبة الى الآلهة القتيلـة يذكرنا بالتعبير المستعمل للدلالة على الموت الوقتي الذي كانـت تتعرض له بعض الآلهة في تجسيدها لموت الخصوبة في الطبيعة ثم قيامها مرة اخرى بتجدد الخصوبة(٢١) ·

ثانيا : أن اغلب الآلهة المذكورة في الاسطورة تستمر في الوجود بكامل قدراتها بالرغم من ذكر مقتلها مثل الاله « اماكانـدو » الذي هو اله الحيوانات الوحشـية في المعتقـدات العراقيـة القديمة والالـه « لاخـار » اله الماشية في تلك المعتقدات(٢٢) ·

واضيف الى ما ذكرته عن الاحداث التي تعرض فيها الآلهة للقتـل في اساطير الخليقة واصل الآلهة في العراق القديم بعض الامـور المهمـة التي يمكن استنتاجها من تلك الاحداث وهي :

اولا : ان تلك الاحداث لم تقع بعد خلق الانسان اطلاقا وانما قبل ان يتم ذلك الخلق اذ لم يكن يوجـد سوى الآلهـة ثم ان هـذه الآلهة

---

(٢٠) A.K. Grayson, Op: Cit: p:617

(٢١) وهو الموضوع الذى ساعالجه فيما يلي من هذا الفصل ·

(٢٢) A.K. Grayson, Op: Cit: , P: 617 , Nos : 98-99

قدرت الموت بعد خلق الانسان ليكون من نصيبه فقط وهذا ما يتيح لي القول بأن هناك غاية اخرى من خلق البشر ، اضافة الى خدمة الآلهة ، تلك هي ما يمكن اعتباره فدية الآلهة من الموت لتستأثر وتنفرد بالخلود وبذلك فقد اصبحت الوظيفة الجديدة لاله الموت ، الذي سبقت الاشارة الى وجوده قبل خلق البشر ، مقتصرة على ازهاق ارواح البشر فقط وليس الآلهة .

ثانيا : كانت عملية قتل الآلهة تنفذ من قبل آلهة اخرى في احداث تدمير عنيفة تخص عملية الخلق والتكوين والظواهر الطبيعية ولم تكن نتيجة لحلول اجل الآلهة التي ذكر مقتلها كما هو الحال بالنسبة للانسان الذي قدر أجله مسبقا كما سيتضح لنا في بقية هذا الفصل .

ثالثا : أن اقتصار الاشارات الى مقتل الآلهة على موضوعين فقط هما خلق الانسان واصل الآلهة كما أوضحت سابقا يبرز لنا الاعتقاد بأن الغاية من ذكر هذا المقتل لم يكن تبيان امكانية تعرض الآلهة للموت بقدر ما كان القصد منه توضيح عملية خلق الكون او ظهور الآلهة وخلق البشر كما نوهت في الفقرة الثانية دون اهتمام منظري الديانة القديمة من رجال الدين واللاهوت بما سيحدثه ذلك من تناقض مع الافكار الاخرى حول خلود الآلهة ، وفي الواقع ان ظاهرة التناقض في عقائد سكان وادي الرافدين تكاد تكون من الظواهر العامة في اساطير معظم الاقوام حيث كان كتاب الاساطير ومنذ العصور السومرية التاريخية الاولى يعتمدون بالدرجة الاولى على الخيال والابداع والجانب الاسطورى الشعري من الفكر دون الالتزام بقواعد المنطق والاستدلال العقلي كما يذكر الاستاذ « كريمر »(٢٣) ، ولذلك فانهم لم يترددوا عن تصوير تلك الاحداث وفقا لانموذج الاعمال البشرية دون أن يكون لها دعم في التفكير المنطقي

---

(٢٣) KS. , P. 144f :

وهو امر ادى بهم الى أنعدام التناسق في معالجة الموضوع الواحد ويبرز هذا على وجه الخصوص في موضوع اصل الآلهة حيث نجد اوصافا عديدة لبعض الآلهة تناقض ما يرد في العديد من الاساطير المعروفة في بلاد وادي الرافدين عن تزواجها وتناسلها مثل الاشارة الى الاله « نركال » بانه « الذي لم تحمل به انثى » والاله آشور الذي خلق نفسه بنفسه « او كما يرد في ترنيمة للاله القمر « سين » ـ ننا ـ يخاطب فيها بانه « الثمرة التي اولدتك انت »(٢٤) ٠

نزول «انانا» (عشتار) الى العالم الاسفل وموت «دموزي» (تموز) والموت السنوي لبعض الآلهة :

ان اهم موضوع عن موت الاله «دموزي» ـ تموز ـ هو الاسطورة المعروفة باسم «نزول انانا» (عشتار) الى العالم الاسفل»(٢٥)، والذي يهمنا منها في هذا الموضع من البحث امران ، الاول ما يرد فيها عن موت الالهة « انانا » بعد نزولها الى العالم الاسفل وهو ما يدخل في صلب موضوعنا هذا ، والثاني علاقتها بموت الاله « دموزي » ، « تموز » ٠ فبخصوص موضوع « انانا » ، نجد ان الرواية السومرية للاسطورة لا تشير بوضوح الى سبب نزولها الى العالم الاسفل وانما تقتصر الاشارة فيها على رغبة الآلهة في النزول الى ذلك العالم ، والسبب الظاهري الذي يرد في الاسطورة على لسان « انانا » يتعلق بمقتل الاله « كوكال ـ انا » زوج الالهة « ايرش ـ كيكال » الهة العالم الاسفل والاخت الكبرى لـ «انانا» التي جاءت لحضور مراسيم جنازته ـ الاسطر

(٢٤) جان بوتيرو ، المصدر السابق ، ص٨٤

(٢٥) وقد ادرجت الترجمة الكاملة لروايتيها السومرية والآشورية معا في ملحق البحث

٨٦ـ٨٩ ـ ما هو الا مخادعة من «انانّا» لكبير بـوابي العالم الاسفل ، اذ انه لا يوجد في الاسطورة كلها ما يشير الى صحة حدوثه ، كما ان الاحداث التي وقعت لـ «انانا» بعد دخولها العالم الاسفل لا تتفق مع هذا الادعاء(٢٦)، ويمكن القول على وجه العموم ان «المغزى الميثولوجي للاشارة الى مقتل الاله «كوكال ـ انّا» غامض وغير معروف(٢٧) . الا انه من الممكن الافتراض بأن نزول «انانّا» الى العالم الاسفل كان مبعثه طموحها وتهورها وهو الامـر الذي أدى الى رفض كل من الاله «انليل» والاله «نانّا» (سين) لمساعدتها حين طلب رسولها (ننشوبر)(٢٨) ، ذلـك الطموح الذي يبدو واضـحا في أساطير اخرى عـن «انانّا» مثل الاسـطورة السومريـة (انكي وتنظيم الكون) والتي تظهرها بمظهر الغيـورة من سلطات اخواتها الالهـات بالرغم من السلطات التي كانت تمتلكها هي(٢٩) ، وفي اســطورة سومرية اخرى تعرف باسم (انانّا وانكي / انتقال نواميـس الحضارة من أريـدو الى أوروك (نجـد ان الآلهـة انانا) تنافس الالـه (انكـي) على امتلاك النواميس الآلهة (وتدعى بالسومرية ME وتأخذها منـه بالخديعـة الى مـدينتها (اوروك) (الوركـاء) ليـزداد مجـدهـا ومجد مدينتها(٣٠) ، وهي اذ نجحت في الحصول على ما تريد فـي تلك الاساطير ، الا انهـا لاقت الفشل الذريع في مزاحمـة اختها الالهـة (ايرش ـ كيكال) على حكم العالم الاسفل وهو الهدف الذي كانت الاخرى تتوقعـه كما يبـدو من الرواية الآشـورية للاسـطورة (وجـه

---

(٢٦) فاضل عبدالواحد ، عشتار ومأساة تموز ، (بغداد ، ١٩٧٣) ،
(٢٧) S.N. Kramer , in ANET : , P: 64 , No: 30 .
(٢٨) SMR. , P. 155f : , No : 5
(٢٩) KS. , P. 175
(٣٠) Ibid . , P. 160f :

الرقيم ـ الاسطر/٣١ـ٣٦) وكانت النتيجة ان اقتيدت (انانا) لتمثل عارية امام أختها (ايرش ـ كيكال) حيث ثبت عليها (الانوناكي) (الآلهة الموكلون بالعالم الاسفل) نظرات الموت وحولوها جثة هامدة عقلت من وتد (الاسطر / ١٦٣ ـ ١٦٨) ، وفي الرواية الاشورية يرد ان (ايرش ـ كيكال) طلبت من رسولها (نمتار) ان يسلط على جسدها ستين وباءا (وجه الرقيم ـ الاسطر / ٦٨ ـ ٧٥) ، وكما تذكر الاسطورة فأن الاله (أيا) (انكي) هو الذي انقذ (انانا) من العالم الاسفل اذ انه ، وفق الرواية السومرية ، خلق استجابة لرجاء (ننشوبر) مخلوقين من قذارة ظفره (كر ـ كار‌ا) و (كالا ـ تر‌و) واعطاهما طعام الحياة وماءها وامرهما بالذهاب الى العالم الاسفل لينثرا هناك الطعام والماء على جسد (انانا) ستين مرة حتى تقوم من موتها (الاسطر / ٢١٩ ـ ٢٧٣) ، في حين تذكر الرواية الاشورية بأن الاله (أيا) قد خلق استجابة لتضرع (بابسوكال) وزير الآلهة مخلوقا لا جنس له يدعى (اصوشو ـ نامر) الذي يعني اسمه في الاكدية (بهي الطلعة) وارسله الى العالم الاسفل حيث استهوى بجماله (ايرش ـ كيكال) فأدت له قسم الآلهة حين طلب منها ذلك وفق تعليمات الاله (أيا) ، وبعد ذلك رضخت له واعطته ماء الحياة ليرشه (نمتار) على (عشتار) (انانا) ومن ثم يطلق سراحها من العالم الاسفل بعد عودة الحياة لها (قفا الرقيم ـ الاسطر / ١١ـ ١٨) ، ويمكننا أن نستنتج من اسطورة موت (انانا) ملاحظتين هما :

اولا ـ ان الموت الذي لاقته (انانا) في العالم الاسفل لم يكن ليشبه موت البشر ، اذ ان الفارق الكبير بينهما هو ان موت

البشر كما اعتقد به سكان العراق القدماء كان يعني انفصال الروح (الاطمو) عن الجسد ، كما سأوضح في الفصل الثاني من البحث ، بينما لم يحدث مثل هذا الامر للالهة (انانا) مما يدفعني الى الاعتقاد بأن الحديث عن موتها في الاسطورة لا يعني اكثر من شل حيويتها وقدرتها واسرها في العالم الاسفل · ويصدق هذا على نزول بعض الآلهة الاخرى الى ذلك العالم وبقائها فيه فترة من الزمن اما طواعية او قسرا ، حيث ان نزولها الى العالم الاسفل ، كما في حالة (نانا) لا يكون بانفصال أرواحها عن اجسامها الكاملة · هذا وان آلهة العالم الاسفل تعيش فيه على هذه الكفية ، وسأتطرق الى ذلك في الفصل الثالث من البحث ·

ثانيا ـ كانت امكانية عودة الالهة (انانا) الى حالتها الطبيعية أمرا ميسورا بمجرد رش طعام الحياة ومائها عليها وهو أمر لا يتسنى حدوثه لبشر ، اذ ان طعام الحياة وماءها بالنسبة لهم كان يتوجب تناولهما قبل الموت ليحصلوا على الخلود وهو ما فشلوا به كما يستبان من اسطورة (ادابا) التي سترد ترجمتها الكاملة في ملحق الرسالة ·

موت « دموزي » (تموز) واخذه الى العالم الاسفل :

ان نزول الالهة (انانا) الى العالم الاسفل ومن ثم قيامها وخروجها منه في الاسطورة السومرية أدى الى نتيجة مشؤومة على زوجها الاله (دموزي) اذ انها غادرت العالم الاسفل وبرفقتها عدد من شياطينه الصغيرة والكبيرة لجلب بديل عنها الى العالم الاسفل وفقا لاوامر الالهة (ايرش ـ كيگال) ، وقد حاولت الشياطين أن تأخذ رسولها (ننشوبر) بديلا عن سيدته الا انها رفضت ذلك لوثوقها من اخلاصه لها ولدوره في انقاذها وحزنه الشديد على غيابها (الاسطر / ٩٣ ـ ٣١١) ويتكرر هذا الامر مع كل من (شارا) اله مدينة (اوما)

(الاسطر ٣١٢ ـ ٣١٨) والاله (لاتراك) اله مدينة (بادتبيـــرا) « الاسطر : ٣٢٢ ـ ٣٢٨ » اللذين أظهرا الحزن والحداد لغياب (انانا) في العالـــم الاسفل ، ثم انتقلـــت (انانا) برفقـــة الشياطين الى (كلاب)[٣١] ، وهنا عـلى النقيض من الآلهـة السالفـة الذكر لم يظهـر زوجها (دموزي) علامات الحزن وانما ظل بدلا من ذلك في مقعـــــده مرتديا ثيابا زاهية متجاهلا (انانا) وصحبها ، وحينذاك اشـارت (انانا) الى (دموزي) ليأخذه الشياطين الى العالم الاسفل انتقاما منه لموقفه المتعالي كما يبدو ، فجزع (دموزي) جزعا شديدا ورفع يديه بالدعـاء للاله الشمس (اوتو) اخي (انانا) ليخلصه من الشياطين بأن يحـول يديه وقدميه الى (يدي) و (قدمي) افعى ليستطيع الهرب منهم (الاسطر/ ٣٣١ ـ ٣٥٩)[٣٢] ، وفي هذا الموضع تنتهي الالواح المتضمنة اسطورة نزول (انانا) غير انه يمكننا ان نتتبع ما حدث للاله (دموزي) بالاعتماد على اسطورة اخرى وثيقة الصلة بالاسطورة الاولى وعنوانها (مـــوت دموزي)[٣٣] ، وهي تبدأ بعبارات حزينة ثم تعرض فيها الحـــوادث التي وقعت للاله (دموزي) وملخصها انه بعد ان أنهكـــه الاحساس بالقلق والحزن لاقتراب الموت منه ذهب لينام في المـرج فرأى في نومـه حلما ينذره بالماساة التي ستحدث له فذهب الى اخته الالهة (گشتن‌ـانا)

---

(٣١) وهي شطر من مدينة الوركاء وقد عرف الشـطر الثاني باسـم « اى ـ انّا »

(٣٢) لقد قمت بترجمة الرواية السومرية باسطورة نزول « انانّا » الى العالم الاسفل في ملحق الرسالة عن الترجمة الانكليزيـة لها والتي نشرها الاستاذ «كريمر» في ANET وهي تنتهي عند السطر ٣٢٨ وقد اعتمدت في التلخيص المدرج اعلاه لبقية الاسطورة على ترجمـة الدكتور فاضل عبدالواحد العربية لها في كتابة (عشتار ومأساة تموز) ص٢٠١ ـ ٣

(٣٣) KS : , P: 155 - 60

ليقص عليها حلمه الذي وجد نفسه فيه محاطا باعواد طويلة من القصب وان واحدا منها احنى رأسه نحوه ثم انه وجد نفسه في بستان كثيرة الاشجار ورأى مياها تطفيء موقده المقدس كما ان ركوته المقدسة تقع على الارض وينكسر قدحه المقدس ويختفي محجنه ، ورأى كذلك صقرا يمسك حملا بمخالبه وعنزاته تمرغ لحاها اللازوردية في الوحل واغنامه تضرب بأرجلها ارض الحظيرة التي هبت عليها الريح فاقتلعتها، ولما سمعت (كشتن - انّا) ذلك قلقت قلقا شديدا ، وفسرت ما رآه بأنه ينذر بالشؤم حيث ان القصبة التي احنت رأسها نحوه تعني ان أمه ستحنى راسها لاجله وان القصبة التي تحركت من بين ازواج القصب تشير الى فراق سيعانيان منه باحتمال اختفائه او اختفائها وحذرته اخيرا من ان شياطين العالم الاسفل من صنف الـ (گالا) سيطبقون عليه ، وفعلا اخفى (دموزي) نفسه غير ان الـ (گالا) حين لم يجدوه قبضوا على اخته (كشتن - انّا) وعذبوها لاجبارها على أن تدلهم على مخبأ اخيها الا انها رفضت ذلك، ولكن (دموزي) عاد الى المدينة بسبب خوفه على اخته من الشياطين على ما يحتمل فقبض عليه الـ (كالا) واشبعوه ضربا ووخزا وقيدوا ذراعيه وتهيأوا لحمله الى العالم الاسفل ، الا ان (دموزي) تضرع الى (أوتو) ليحيله الى غزال حتى يهرب من الشياطين ، واستجاب الاله (أوتو) لتضرعه فحوله الى غزال غير ان الشياطين لحقوا به مرة اخرى وانهالوا عليه بالضرب فتوجه ثانية الى (أوتو) لينقذه ، وفعلا ساعده (أوتو) على الهرب الى بيت امرأة عجوز تدعى (بيليلي) التي استجابت لتوسلاته فاطعمته وسقته ، ولكنه ما أن انتهى من تناول الطعام والشراب حتى ظهر له شياطين الـ (كالا) مرة اخرى وانهالوا عليه بالضرب للمرة الثالثة فتدخل (اوتو) أيضا واحاله الى غزال فتمكن من الهرب الى حظيرة غنم اخته (كتشن - انا) وهناك استطاع خمسة من الـ(كالا)

اللحاق به وحمله الى العالم الاسفل • وهناك اسطورة سومرية أخرى عن موت الاله (دموزي) تعرف عند الباحثين بعنوان (اسطورة انانـّا وبيلولو (Bilulu) وترد فيها الاشارة الى هجوم تقوم به (بيلولو) وابنها (گرگري) على حظيرة الاله الشاب (دموزي) الـذي يلاقي مصرعه في ذلك الهجوم ويقوم احد الخدم باخبار الالهة (انانا) بأنه وجد سيده (دموزي) مذبوحا وخرافهمقادة عبر الصحراء والغرباء يمشون بجنبها • وبعد ان تندب (انانّا) زوجها الشاب وتحزن عليـه تتملكها رغبة الانتقام من (بيلولو) فتزمع على قتلها مـن أجـــل ان يستريح الاله (دموزي) في رقاده فذهبت اليهٗا وحولتها الى قربة مـاء كما انها حولت ابنها وتابعاً آخر لها يدعى (سـرو) الى مخلـــوقات جنية هائمة في الصحراء(٣٤) • والواقع انه لم يرد في أي اســطورة سومرية اخرى ذكر (بيلولو) اسماً لآلهة انثى وانما ورد ضمن صيغة En-bilulu بمعنى (السيد بيلولو) وهو لقب لالـه ذكر كما يبدو من معناه وقد نعت به الاله (مردوخ) في (قصة الخليقـة البابلية) كما انه لقب للاله (يشكر) / (ادد) « الذي سترد الاشارة الى الاسطورة التي تتحدث عن موته في هذا الفصل » اضافة الى كونـه اسما لاله مستقل بذاته ، وعموما فالاسم يعني (السيد الذي يسـبب الوفرة) ووصف عموما بأنه اله مواضع الرعي والشرب ، ومن هنـا فقد ربط الاستاذان (ياكوبسن) و (كريمر) بين هذا الاسم وبين تحويل (انانّا) للالهـة (بيلولو) الى قربة ماء(٣٥) ، وتجـدر الاشـارة هنـا الى مـا سبق ان ذكـرتـه في هـذا الفصـل بـأن الاشــارة الى

---

(٣٤) Th. Jacobsen & S.N. Kramer, « The Myth of Inanna and Bilulu » , in JNES : , xll , (Chicago , 1953) ,P: 163f :

(٣٥) Ibid . , P . 167f :

مقتل الآلهة في الاساطير العراقية القديمة لم تكن تعني اكثر من تحولهم الى هيئات اخرى تمثل اجزاء من الكون ·

وقد اختلفت الآراء فيما اذا كانت اقامة (دموزي) في العالم الاسفل دائمية او انها دورية تستمر لمدة نصف عام ثم يقوم بعدها كما هو الحال بالنسبة لـ (ادونيس) في الاساطير اليونانية(٣٦)،وكان الاعتقاد السائد سابقا ان ذهاب (دموزي) الى عالم الاموات لا رجعة منه الا أن التعديل الذي أقترحه الاستاذ آدم فلكنشتاين على ترجمة السطر العاشر من نص يحتوي قفاه على الخمسة عشر سطرا الاخيرة من اسطورة نزول «انانا» رجح الرأي القائل باقتصار اقامة «دموزي» في العالم الاسفل على نصف عام على ان تقيم بدلا منه أخته «كشتن-أنا» للنصف الثاني من العام ، اذ ان القراءة التي اقترحها هذا الاستاذ للسطر المذكور هي على الوجه الآتي : انت «يا دموزي» لنصف سنة ، واختك «كشتن-انا» لنصف سنة(٣٧) ، وقد أيد « كريمر » هذا الرأي متراجعا عن رأيه القديم عن ديمومة أقامة

---

(٣٦) وقد كان «ادونيس» صيادا صغيرا احبته الالهة «افروديتي» الا انها اخفقت في اقناعه بترك الصيد من اجلها وتشبث بدخول المباريات فقتله خنزير برى ، قاده «هرمز» الى العالم الاسفل حيث حرك جماله الحب في قلب «بيرسيفوني» ، وكان حزن «افروديتي» عظيما فتوسلت الى «زوس» ان يسمح لها بأن تلحق «ادونيس» في «هاديس» (عالم ما بعد الموت) او يعيد اليه الحياة ، ولكن «بلوتو» رفض ان يعيده حتى تم الاتفاق على ان يمضي الربيع والصيف من كل عام فوق الارض ثم يعود الى «هاديس» ليقضي فيها الخريف والشتاء وكان يقام له سنويا عيد يسمى «ادونيا» (Adonia) احتفالا بموته وعودته الى الحياة ، ينظر / جورج هاوك وهارر ، معجم الاعلام في الاساطير اليونانية والرومانية ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ترجمة امين سلامة ص١٥ ـ ١٦

(٣٧) فاضل عبدالواحد ، المصدر السابق ، ص١٣٠

«دموزي» في العالم الاسفل(٣٨) على ان هناك بعض الاعتبارات التي لا تشجع على تأييد صحة هذا الرأي ، واستطيع عرضها كمايلي :

اولا – ان قراءة السطر المشار اليه اعلاه لا تمكننا ، مع التسليم بصحتها ، من تقرير الشكل الكامل لشعائر عبادة الاله (دموزي) (تموز) والحزن عليه ، نظرا لانها الاشارة الوحيدة التي تحمل هذا المعنى من بين عشرات النصوص التي تدور مواضيعها حول موت (دموزي) ، اذ انها تخلو من أي اشارة تسند المعنى الذي يتضمنه السطر المشار اليه اعلاه ، واضافة الى ذلك فاننا نملك عدداً من الاساطير التي تتفق ، وان اختلفت تفاصيلها ، على موت (دموزي) وعشرات المراثي التي تندبه في حين اننا لا نملك اسطورة واحدةتتحدث عن بعثة من العالم الاسفل ٠

ثانيا – ان اخذ (دموزي) الى العالم الاسفل لم يكن يعني عمليا موته كما اشرت قبل قليل ، اذ انه انضم هناك الى مجمع آلهة ذلك العالم كما يتضح من النص المعروف باسم (موت كلكامش)(٣٩) ، الذي سترد الاشارة اليه في الفصل الرابع من البحث والذي يذكره من بين الآلهة الموجودة في العالم الاسفل ، وبمركزه الجديد هذا أصبح يكلف بواجبات خاصة بالهة ذلك العالم سواء في العالم الاسفل نفسه أم في السماء حيث ترد الاشارة في اسطورة (ادابا) الى قيامه بحراسة بوابة الاله (آنو) في السماء برفقة اله اخر من آلهة العالم الاسفل

---

(٣٨) S.N. Kramer, « Dumuzi's Annual Resurrection : an Important Correction to Inanna's Descent », in Bulletion of the American Schools of Oriental Research, CLXXXIII, (Boston, 1966), P.31

(٣٩) S.N. Kramer, in ANET : , P.51, B:13

وهو (كشزيدا) او (ننكشزيدا)(٤٠) دون أن يعني ذلك عودته الى مصاف آلهة عالم الاحياء ، وقد استمرت التعاويذ بالاشارة اليه على انه (البطل) و (القوي) و «الشجاع»(٤١) وهذا ما يشابه الطريقة التي كان سكان وادي الرافدين القدماء يشيرون بها الى آلهة العالم الاسفل في التعاويذ كما هو الحال بالنسبة الى الاله (نركال)(٤٢) .

ثالثا ـ ليس هناك أي اشارة الى القيامة المفترضة لـ (كشتن ـ انا) اخت (دموزي) بعد انتهاء مدة اقامتها النصف سنوية في العالم الاسفل وانما على العكس من ذلك لدينا دليل واضح على استمرار وجودها هناك حيث انها أصبحت كاتبة لالهة العالم الاسفل (ايرش ـ كيكال) واصبحت تعرف باسم آخر هو (بعله ـ صيرى)(٤٣) من بعد نزولها الى هناك للحاق بأخيها على ما يمكن افتراضه لتعلقها الشديد به ، وقد وردت الاشارة اليها وهي تقوم بهذا الدور في العالم الاسفل في (ملحمة كلكامش) على لسان (انكيدو) حين روى حلمه عن العالم الاسفل لـ (كلكامش) ـ اللوح السابع / العمود الرابع ٥٠ ـ ٥٢ ـ .

رابعا ـ وردت في نص يدور موضوعه حول موت الملك السومري (اور ـ نمو) (٢١١٢ ـ ٢٠٩٥ ق٠م) مؤسس سلالة

---

(٤٠) «اسطورة ادابا» ، الكسرة (ب) : ٢٠ ـ ٢٥ (وقد الحقت ترجمة الاسطورة في آخر البحث) .

(٤١) KG. , P:286

(٤٢) وسنأتي على تفصيل عبادة آلهة العالم الاسفل في عالم الاحياء في الفصل الثالث من البحث .

(٤٣) 1 - K.Tallqvist , «Akkadische Gotterpitheta » , P:66, ref : CT : xv, 24 : and A:Deimel .Pantheon Babylonicum , (Romae , 1914) , P:79

وسنعود الى تفصيل ما يتعلق بـ « بعله ـ صيرى» في الفصل الثالث من البحث

(أور) الثالثة اشارة الى ان «اور ـ نمو» قام بتقديم القرابين الى آلهة العالم الاسفل الذين يذكر بضمنهم الاله (دموزي) وكذلك الى (كاتبة العالم الاسفل)(٤٤) ، ولماكنا نعلم بأنـه لم يكن يقوم بمهمة الكتابة في العالم الاسفل الا كاتبة واحدة هـي (بعلة ـ صيري) او (كشتن ـ انا) كمـا أوضحت في الفقرة السابقة ، وانها نالت بمنصبها هذا أهمية كبيـرة في العقائـد الدينية في بـلاد وادي الرافدين القديمـة (كما سأوضـح في الفصل الثالث من البحث) ، فأننـا نكون امتلكنا بهذه الاشـارة دليلا واضحا على وجود كل من الالهين (دموزي) واختـه (كشتن ـ انا) معـا وفي وقت واحد في العالم الاسفل ، وهذا ما ينفي احتمال تعاقب الاقامة ما بينهما في ذلك العالم ٠

ومن مجمل ذلك كالله بوسعي اعادة ترتيب الاحداث المتعلقـة بـ (دموزي) بالشكل الآتي :

ان الالهـة (انانا) قد تسببت في ارغام زوجها الاله (دمـوزي) على الذهاب الى العالم الاسفل كما يرد في الرواية السومرية لاسطورة نزول (انانا) الى العالم الاسفل بعد خروجها هـي منـه وكان نزولها ذاك قد تم في شـهر آب حيث اطلـق عليه السومريون اسم (شـهر رحلة انانا)(٤٥) ، وكان السبب الذي دفعها الى ذلك هـو حنقها عليـه بعد ان وجدته غير مكترث لغيابها في العالم الاسـفل كما توضـح الرواية السومرية لنفس الاسطورة اذ تصفه بأنه كان مرتديا ثيابـا

---

(٤٤) S.N. Kramer, «Death and Nether World According to the Sumerian Literary Texts », Iraq , xxll , (1960) P. 60

وسنأتي على شرح كامل لهذا النص في الفصل الرابع من البحث ٠

(٤٥) A.H: Sayce, Assyria, Its Princes, Priests, and Peoples , (London, 1926) , P.80

بهيـة في مجلس مهيب ، فاذا ربطنا هذه الاشارة بما عرف بـه شهر ايلول بين السومريين حيث كان يدعى باسم (عيد دموزي)(٤٦) لتوصلنا الى ان (دموزي) كان يحتفل بعيد خاص بـه اثناء غياب (انانا) فـي العالم الاسفل أي قبل اخذه هو الى ذلك العالم وليس كما يظـن البعض من الباحثين بأن (عيد دموزي) يرمـز الى قيامته من العـالم الاسفل ، أما مناسبة ذلك العيد فهي على ما أعتقد خاصة بالرعاة اذ تكون هذه الفترة من السنة الموسم الرئيسي لتوالد الاغنام في العراق ولذلك فأن (دموزي) كان يحتفل بها قبل أخذه الى العالم الاسـفل بوصفـه الها راعيا مكلفـا برعاية الاغنام والماعز والمحافظة عـلى حظائرها كما نعرف مـن الاسـطورة السومرية المهمـة (انكي وتنظيم الكون)(٤٧) ومن هنا يكون اخذ (دموزي) من قبل الشياطين فـي الاشهر التي تلي شهر أب وعلى الارجح ان يكون ذلك في بدايـة الشتاء وهو موسم يكون فيه عطاء الطبيعة وافرا ولذلك فـأن غيابـه في العالم الاسفل لم يؤثر بأي حـال من الاحـوال في الخصوبـة والطبيعة وكان هذا على ما اعتقد السبب في بقاء الحزن عليه محصـورا في نطاق المعتقدات الشعبية دون أن يصبح في يـوم ما من طقـوس المعبد الرسمية كما هو معروف(٤٨) خلافـا للالهـة الاخرى التي كانت تجسد موت الطبيعة في العديد من مدن بلاد وادي الرافديـن القديمة(٤٩) ويبدو ان العقائـد الشعبية في وادي الرافدين اضفت على ذهـاب (دموزي) الى العالم الاسفل مسحة مأساوية لكونه كان مرغما على ذلك

---

(٤٦) S.Langdon, Babylonan Menologies and the Semitic Calendars , (London , 1935) , P.36

(٤٧) Ks . , P. 175

(٤٨) فاضل عبدالواحد ، المصدر السابق ، ص١٦٨

(٤٩) KG. ,P. 288f.

واتخذت منه نموذجا لممارســـة الحزن الجماعي عليه(٥٠) ، واضافة الى ذلك اعتبروا ان الالهة (انانا) نفسها تعاني الكثير من الندم والحـــزن لتسببها في اخذ زوجهـا الى العالم الاســفل وتبدأ برثائه بحـرارة كمـا يتضح من أحد النصوص الذي هو بالحقيقة احد جزئين من تدويــن سومري يشتمل على مرثية -حزينة لــ (انانا) على زوجها متبوعة بقصة موتــه(٥١) ٠

وبعــد الســومريين جاء الســاميون ليجــدوا كل هذه الصورة المأساوية امامهم وليضيفوا عليها ويطوروا فيها من نتاجهم الفكري حيث اكتسب موضوع موت (تموز) لديهم صفة رسمية في الديانة اضافـــة للمعتقدات الشعبية ، ولما كانوا يعتقدون بوجود (تموز) مسبقا فـــي العالم الاسفل وفــق ما كان متواترا في العراق القديم ، فقد جعلوا من نزول (عشتار) اليه من اجل انقاذ زوجها منه ، تلك الرغبة التي ظلت دفينــة عندها وكــانت تفصــح عنها بتهديداتها المتكــررة في النصــوص البابليــة ببعث الموتى كلهم(٥٢) لكي يكون (تموز) من بينهم فيصــود

(٥٠) وهو امر اعتادت عليه الشعوب للتخفيف من التوتر الذى يسيطر على مشاعرها باطلاق العنان لها في الحـزن والبكـاء ، وقــد لاقى انموذج «دموزى» (تموز) انتشارا واسعا بين الشعوب الاخـرى وانتشر بين العبرانيين في عهود متأخرة حيث ترد الاشارة الى الحزن على تموز في العهد العديم / «ثم اتى بي الى مدخل باب بيت الرب الذى هو جهــة الشمال فــاذا بنساء جالسات يبكين على تموز» ـ حزقيال / ٨ : ١٤ ـ
واستمرت عادة ممارسة الحزن على تموز في الشعوب المتأخرة الاخرى مثل الحرانيين كما جاء ذلك في فهرست ابن النديم ٠

(٥١) SMR . , P. 128

(٥٢) «اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل» (الرواية الاشورية) وجه الرقم / ١٨ ـ ١٩ ، « وملحمة كلكامش» / اللوح السادس / ٩٧ ـ ١٠٠ ٠

لهـا واستمر الاعتقاد بأن نزول (عشتار) الى العالم الاسفل قد تم فـي شهر آب الا انهم غيروا من موعد اخذ (تموز) اليه فجعلوه في شـهر تموز الذي سمي باسـمه من قبل البابليين(٥٣) ووصفوه في تعويـذة من عصورهم المتأخرة بأنه (شهر هزيمة تموز)(٥٤) وذلك لكي يصبـح متسقا مع فكرتهم عن سبب نزول (عشتار) . وافترض هنا ان نزول (عشتار) هو الذي اعتقدوا بحدوثه سـنويا وليس موت (تموز) وذلـك بدليل اعتقادهم بأنهـا تستعيد ذكراه كل عام وتحزن عليه(٥٥) فتذهب الى العالم الاسفل في محاولة لانقاذه ، وان نزولها هي وليس نـزول زوجها (تموز) يؤدي الى حلـول العقم والذبول التدريجي والجفاف في الطبيعة حيث يتجسد ذلك كما يفترض الاستاذ (موريس جاسترو)(٥٦) بقطع الملابس والحلي التي تنتزع منها قطعة فقطعة اثناء مرورها مـن البوابات السبع للعالم الاسـفل حتى تمثل اخيرا امام اختها (ايرش ـ كيكال) عارية ، ونتيجة لنزولها واسرها هناك تتوقف كـل عمليـات الاخصاب على الارض(٥٧) باعتبارها الهة الخصوبة ، ولكن بعد انقاذها الذي يتم بتدبير الاله (أيـا) (كما سبق ذكره) تسمح لها اختها برؤية زوجها (تموز) في العالم الاسفل وهو الامر الذي يمكن استنتاجه مـن الاسطر الاخيرة للرواية الآشورية لنزول (عشتار) (قفا الرقيم / ٤٧ ـ ٥٩) .

---

(٥٣) A.H: Sayes , Op: Cit: , P: 80

(٥٤) Alfred Jeremias , The Old Testament in the Light of the Ancient East, Vol.1, (New York, 1911), P.126

(٥٥) «ملحمة كلكامش» ـ اللوح السادس / ٤٦ ـ ٤٧ .

(٥٦) ARBA. , P. 370

(٥٧) «اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل» النص الآشوري / قفا الرقيم / ٦ ـ ٩

وتجدر الاشارة هنا الى انه اذا صح الافتراض القائل بأن شعائر الزواج المقدس التي كانت تجري في العراق القديم تقليد لزواج الالهين (دموزي) و (انانا) فأن بقاء الاله (دموزي) في العالم الاسفل لا يؤثر في ذلك طالما ان المقصود من شعائر هذا الزواج مجرد تقليد للزواج الذي تم بين ذانيك الالهين ٠

الموت السنوى للالهة الرئيسة في مدن العراق القديم :

كانت عقيدة موت الاله وقيامته من الموت ، من العقائد المهمة في الديانة العراقية القديمة وكان المعتقد بان الاله الرئيس في المدينة يواجه الموت لفترة معينة ضمن الشعائر التي تقام في أعياد رأس السنة والتي تتحدد فيها المصائر للسنة الجديدة ثم يقوم مرة ثانية للحياة بعد ان يجري تحديد تلك المصائر والتي لم يكن تقديرها يستغرق أكثر من يوم أو يومين ٠ وضمن هذا الموضوع نجد ان (مردوخ) اله (بابل) يؤسر سنويا لفترة من الزمن في العالم الاسفل ـ أوكما ترد الاشارة اليه بأسم جبل (خرشانو)(٥٨) ـ فيما يندبه الناس ويبحثون عنه كما يبحث عنه ابنه الاله (نبو) وزوجته (أي زوجة مردوخ) الالهة (بيليت ـ بابيلي)(٥٩) (وهو لقب الالهة «صربنيتم») ، وبالتالي يتمكن من الخلاص من سجنه ، وقد نقش مشهد على ختم اسطواني يعود الى عصر (سرجون) الاكدي يصور خروج الاله (مردوخ) من سجنه في العالم الاسفل الذي يرمز اليه كما اوضحت بجبل ، وهو يحمل

---

(٥٨) وهو ماسأ وضحة في الفصل الثالث من الرسالة ضمن حديثي عن اسماء العالم الاسفل ٠

(٥٩) Heinrich Zimmern, Zum Babylonischen Neujahrsfesh, II, (Leipzig, 1918), p: 3f:

منشارا بيده فيما تنبعث الاشعة من كتفه رمزا الى أصله باعتباره من الآلهة الشمسيه(٦٠) ، كما يشير الى ذلك اسمه أو (العجل ابن الشمس) حيث يوصف في قصة الخليقة البابلية بأنه (حقا ، شمس الآلهة الفتية ، انه المشرق)(٦١) ، وأعيد الاشارة هنا الى ان غياب الاله (مردوخ) في العالم الاسفل لا يستمر الا لفترة قصيرة لا تتعدى اليوم أو اليومين ضمن احتفالات رأس السنة البابلية .

وقد ذهب بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن الاحتفال بسجن الاله (مردوخ) في العالم الاسفل وانعتاقه ضمن تلك الاحتفالات يحمل تناقضا مع المغزى الاساسي لقصة الخليقة البابلية التي يكون تحديد المصائر في السنة الجديدة وفق نصوصها بيد (مردوخ) نفسه(٦٢) ، غير انه يمكنني الافتراض بأن القصد من اختفاء (مردوخ) في بدء السنة الجديدة كان تجسيدا لفترة الانتقال في حالة الكون من مقادير سنة سابقة الى مقادير سنة قادمة ، بكل ما تمثله فترة الانتقال تلك من تخلخل في المصائر واضطراب في الكون دون أن يكون في ذلك اشارة الى موت الاله . وعلى العموم فان ذلك (الموت) الذي كان يعاني منه الاله (مردوخ) مجرد طقس تقليدي وليس موتا حقيقيا ، وكان الحزن على غيابه يتبدل الى فرح بعودة ظهوره ثانية(٦٣) .

ومن الآلهة الاخرى التي اشتهر موضوع موتها في العقائد العراقية القديمة الاله (دامو) ابن (ننكشزيدا) و (نتازيموا) وكان على ما يفترض الاستاذ «ياكوبسن» اله النسغ (Sap) الصاعد في الاشجار

---

(٦٠) يراجع بخصوصه : KG:, p: 286:
A.H. Sayce, Op,Cit P,74
(٦١) BG., p. 15. VI: 127
(٦٢) G.R. Levy, The Gate of Horn, P.92
(٦٣) ELBA., p, 285f

ومقامة تحت لحائها(٦٤) ، واعتبر الها للشفاء ايضا(٦٥) ، وقد مورست عبادته في مدينة (أيسن) في جنوب العراق وكانت طقوس عبادته تمثـل بوضوح أزمة الاله التي حـدد موعـد انتهائها مسبقا ، وتظهر نصـوص رثائه شـعورا عميقا بالقلق والضعف الى ان يتغير الامر بظهوره ثانيـة من النهر(٦٦) ، وكانت مراثيه تحاكي صيغ مراثي الاله (دموزي) كما انهما يتطابقان في بعض الاحيان حيث يعتبر (دامو) ابنا الى (سـرتر)، واخا للالهة (كشتن ـ اما) ، بينما يذكر في نصوص اخرى بأنه ابـن (نن أسينا) واخو الالهة (اكنورا)(٦٧) . وبالحقيقة فأن مراثي الآلهـة التي ذكر موتها السنوي في عقائد العراق القديم تميـل في معظمها الى تقليد مراثي (دموزي) ـ كما أسلفنا بالنسبة لعبادة (دامو) ـ بالرغم من انعدام وحدة الموضوع بين موت الآلهة وموت (دموزي) . وهكـذا الحال بالنسبة للاله (ننورتا) الذي اعتقد العراقيون القدماء بتعرضـه للموت ونزوله الى العالم الاسفل(٦٨) ، اذ وجد نص من مدينة (اداب) يذكره بأسم (ليل) الذي هو أحد القابه(٦٩) ، ويصف رثاءه من قبل أمه الالهة (ننخرساك) واخته الالهـة (اكيمي) حيث ان الاخيرة تندبـه بالشكل الآتي :

---

(٦٤) Th. Jacobsen, TITC.
(٦٥) SMR., p: 164
(٦٦) TITC:, p: 89
(٦٧) SMR., p, 159: No: 47
(٦٨) KG., p: 283
(٦٩) AG:, p: 348

« قم من قبرك يا اخي فامك في لهفة عليك
أمك (ننخرساك) في لهفة عليك
انها تتلهف لسماع شفتيك العذبتين
انها تتسمع لفمك اللبق ....
أيها الفتى ، لا تدع أمك تجلس باكية
لا تدع أمك (ننخرساك) تجلس نادبة
قم من قبرك ولا تجلب عليها الويل
قم من قبرك يا (ليس) ولا تجلب عليها الويل »

فيجيبها بحزن

« حرريني يا اختي
لا توبخيني يا اختي ، فما انا بالطويل الذي تمكن رؤيته
لا توبخيني يا (اكيمي) فما انا بالطويل الذي تمكن رؤيته
لا توبخيني أيتها الام (ننماخ) (ننخرساك) ، فما انا بالطويل
الذي تمكن رؤيته .
ان قبري من تراب العالم الاسفل واني اضطجع بين الاشرار
ان نومي كرب واني اضطجع بين الاشرار
يا اختي ! اني لا أستطيع القيام من قبري ... »(٧٠) .

وقد وردت اشارات الى تعرض آلهة اخرين للموت السنوي مثل الاله (ستران) اله مدينة (دير) (دور ايلو)(٧١) والاله «ننكرسو» في مدينة «لجش» في الجنوب الذي تقوم الالهة (باو) بالدور الرئيسي في انقاذه . والاله (تشباك) في (اشنونا) والاله (آبو)(٧٢) والاله «آشور»

---

(٧٠) SMR:. p: 159: No. 47
(٧١) Ibid,, p: 132
(٧٢) KG., P.283

في مدينة (آشور) كما وردت اشارة الى موت الاله السماء (آنو)(٧٣) ، والواقع ان تفصيل نزول تلك الالهة الى العالم الاسفل غير معروف تماما اذ لم تكتشف عنهم أساطير مشابهة لاساطير (دموزي ـ انانا) حتى الآن ، ولكن الشبه بينها وبين (دموزي) في المراثي يجعلنا نتوقع من الشعراء الكهنة الذين ألفوا وصاغوا اساطير (دموزي) في بداية الالف الثاني ق٠م ان يكونوا خصصوا بعضا منها على الاقل لتلك الآلهة(٧٤) ، والظاهر من مجمل الموضوع ان العبادات القديمة اعتبرت الموت السنوي للالهة ليس الا ظاهرة طبيعية في صراعها مع الطبيعة والموت اذ تنتصر الآلهة في اخر الامر فلا يؤثر باي حال من الاحوال على خلودها(٧٥) ، ويمكن القول ان معاناة الالهة والحداد عليهم كان يمثل تعبيرا عن التوتر الذي يميز ديانة بلاد وادي الرافدين القديمة بسبب القلق المتأصل من المصير المجهول والحزن على حتمية فقدان الحياة مع محاولة التشبث بها هربا من الموت والواقع انه لا يمكن لنا ان نأخذ النصوص التي تعالج ذلك الموضوع بحرفيتها نظرا للمعاني الرمزية التي يحملها الكثير منها(٧٦) ، ومن المستطاع القول عموما بأن البطل فيها لا يبدو انه اله (ميت) كما اعتبر من قبل بعض الباحثين وهو لا يجسد بمخنوق بشري يتعرض للقتل وانما كان اله يموت في دورة الفصول الاعتيادية او الطقوس الخاصة ثم يعود للحياة(٧٧) ٠

---

(٧٣) G.J. Gaad, Ideas of Divine Rule in the Ancient East, (London, 1948), p.31

(٧٤) SMR.. p: 133

(٧٥) C: J: Gadd, Op. Cit:, p: 31f

(٧٦) KG., p: 283

(٧٧) Ibid, P.287f

تعرض بعض الآلهة للموت في مناسبات او ازمان خاصة :

تذكر احدى الاساطير السومرية والمعروفة بأسم (أنليل وننليل : ولادة الاله القمر سين ، ان الاله (انليل) قد ارغم على النزول الى العالم الاسفل مطرودا من قبل مجمع الآلهة بالرغم من انه كان رئيس ذلك المجمع(٧٨) بسبب اغتصابه للالهة (ننليل) اذغضب الآلهة لهذه الفعلة الشنيعة وقرروا نفيه الى العالم الاسفل(٧٩) لفترة محدودة على مايبدو ، وقد لحقت به الالهة (ننليل) الى هناك وهي حامل بابنهما الاله القمر (سين) (ننا) الذي تمت ولادته في العالم الاسفل مع ثلاثة اخوة له هم من الهة العالم الاسفل(٨٠) .

وهناك اسطورة سومرية اخرى ، دونت على لوح وجد مهشما وناقصا ويعود تاريخه الى الالف الثاني ق.م ، تدور احداثها على اختفاء الاله (يشكر) وهو اله العواصف الذي عرف باسم (أدد)(٨١) عند الاكديين ، في العالم الاسفل وتروي كيف ان اباه الاله (انليل) قد غمره الحزن على غيابه فجمع آلهة (الانوناكي) لطلب العون منهم ، وكان التغلب على ما يرجح هو الذي تطوع لاستعادة (يشكر)

---

(٧٨) وتجدر الاشارة هنا الى انه كان من المعتقد عند اليونان ان الآلهة تعاقب ايضا في بعض الاحيان ، فمثلا عوقب «بوسايدون» ـ اله البحر والماء ويضاهي الاله ايا ـ بالنفي الى العالم الاسفل كما عوقب ببناء اسوار «طروادة» لانه دبر مكيدة لخلع «زوس» من العرش ، وكان «ابوللو» يتمنى أن ينتقم لموت ابنه «اسكليبيوس» فهاجم «الكلوكلوبيس» وتسبب عن ذلك ان نفي الى الارض ليخدم البشر مدة عام : جورج هاوك وهارر ، معجم الاعلام في الاساطير اليونانية والرومانية ص٢١٥

(٧٩) KS., p. 146f

(٨٠) وسنأتي على تفصيل ذلك في الفصل الثالث من البحث .

(٨١) AG: p: 339

من العالم الاسفل(٨٢) ، وتجدر الاشارة هنا الى ما سبق ذكره عن علاقة الاله (يشكر) (أدد) مع الالهة (بيلولو) التي ذكرت في الاسطورة السومرية (انانا وبيلولو) .

ومن الآلهة التي تعرضت الى الموت الوقتي الاله قمر (سين) (ننا) الذي يتعرض لهجوم الالهة الشريرة القادمة من العالم الاسفل حيث تروي أحدى الاساطير البابلية ان (الالهة الشريرة السبعة شقت طريقها الى القبو السماوي ، تجمعوا بغضب حول الاله القمر(٨٣) .. اظلم في الليل والنهار ولم يقم من مقامه .. لما راى (أنليل) عتمة البطل (سين) في السماء امر وزيره (نسكو) . أيها الوزير (نسكو) بلغ رسالة الى العمق ، انقل الى (أيا) خبر ابني (سين) المتألم في السماء .. فلما سمع (أيا) في العمق هذه الرسالة ضرب فخذه واطلق من فمه مناحة واستدعى ابنه (مردوخ) وقال له : (اذهب يا ولدي (مردوخ) ..)(٨٤) ، والواضح ان هذه الاسطورة تؤلف مقدمة لبعض التراتيل الدينية المخصصة لوقت الخسوف حيث اننا نعرف انه كانت تقام في اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان ترنيمة الى الاله (تركال) (اله العالم الاسفل) ويقام مهرجان (ايسينو) للاله النهر ، وارجح ان يكون كل هذا استعدادا لنزول القمر الى العالم الاسفل وعبوره نهر الموت عند خسوفه ، وكان الملك يقدم بهذه المناسبة القرابين الى الاله (نركال) والى اله النهر(٨٥) .

---

(٨٢) KS., pp: 168f

(٨٣) ومما لاشك فيه ان هذا يشير الى ظاهرة خسوف القمر .

(٨٤) GB., p: 290f

(٨٥) S: Langdon, Babylonian Menologies and Semitic Calendars, (London, 1935), p.81

وفي اسطورة سومرية من اساطير الاله (انكي) (أيا) ، لا تزال يكتنفها الغموض ، ترد الاشارة الى مقاربة الاله (انكي) من الموت ، وسبب ذلك كما تذكر الاسطورة التي تجري حوادثها في (دلمون) التي كانت بمثابة الجنة السومرية ، ان الالهة (ننخرساك) نطقت مدفوعة بغضبها بلعنة الموت على (أنكي) لانه أكل ثمانية اصناف من النباتات كانت قد زرعتها هناك ، وبعد ان نطقت بلعنتها اختفت من بين الالهة حتى لا تضطر على ما يبدو الى تغيير رأيها بسبب ما قد يقع عليها من تاثيرات ، وبدات صحة (أنكي) تتردى واصيبت ثمانية اعضاء من جسده بالمرض ، وفي اثناء ذلك جلست الالهة العظيمة في الوحل حزينة وعاجزة عن انقاذه الا ان الثعلب تدخل بالامر، وهذا ما لاحظناه ايضا في حالة الاله (يشكور) على الصفحات السابقة، فأخبر (انليل) بأنه سيأتي بـ (ننخرساك) اذا قدمت له مكافأة مناسبة ، وفعلا نجح في ذلك وعادت (ننخرساك) الى مجمع الالهة وخلقت ثمانية الهات تشفي كل واحدة منهن عضوا مريضا من اعضاء (أنكي) وبذلك استرد صحته ونجا من الموت(٨٦) .

ان السؤال الذي يتبادر الى الذهن من مجمل الموضوع هو هل ان العراقيين القدماء قد شعروا يوما بأن هنالك تناقضا بين اضفاء صفة التشبيه وصفة الخلود على الآلهة في آن واحد ؟ وجوابنا على هذا السؤال هو انه من الجائز ان يكون مفكروهم قد قاموا بصياغة عدة افكار في محاولة تجنب مثل هذا التناقض ولكن الامر الواضح لدينا هو انهم لم يعانوا من خيبة روحية وعقلية بسبب تلمسهم أياه نتيجة لاختلاف الاسلوب الذي كانوا يتناولون به المعضلات اللاهوتية عن اسلوب تفكيرنا في الوقت الحاضر وان العديد من

---

(٨٦) KS., p: 147f

المشاكل التي تستلفت اهتمامنا لم تكن تدور بخلدهم ابدا(٨٧) ، كما ان التفكير الاسطوري الشعري لا يكترث كثيرا بالتناقض المنطقي العقلي ·

واذ ننتهي من الحديث عن تميز الالهة بالخلود وعما ورد في عقائد العراق القديم بخصوص علاقتها بالموت فاننا ننتقل في الموضوع التالي الى الانسان نفسه الذي يحدد الموت نصيبا له ، فنبحث في فكرته عن الموت وتطلعه الى الخلود وبالتالي نظرته الى الحياة في ظل تلك الافكار ·

---

(87) KS., p: 117

حتمية الموت على البشر

وتعذر الخلود




www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

لقد ذكرت في بداية هذا الفصل ان سكان بلاد وادي الرافدين القديمة اعتقدوا بأن الالهة بعد ان خصت نفسها بالخلود قدرت مصائر البشر فجعلت الموت نصيبا لهم(٨٨) ، أي ان هذا الاعتقاد يشتمل على شقين أولهما انفراد الالهة بالخلود والثاني حتمية الموت على البشر باعتباره مصيرا مقدرا عليهم مسبقا ، وقد عالجنا فيما سبق من هذا الفصل الجانب الاول والآن وفي بدء الحديث عن الجانب الثاني اي حتمية الموت على البشر اذكر ان الاعتقاد بأن الالهة قدرت الموت(٨٩) مسبقا نصيبا للبشر ، يتضمن في معناه انه أمر حتمي لابد منه ويمكننا تلمس هذا المضمون في التعابير التي كان البابليون يستعملونها حين يتكلمون عن موت أحدهم مثل (ذهب الى المصير)(٩٠) أو الهه ضمه (أو اخذه) اليه)(٩١) ، وقد تعددت الاشارات في أدب بلادوادي الرافدين القديمة الى حتمية الموت ونذكر منها ما ورد في ملحمة (كلكامش) ضمن حديث طويل على لسان (اوتو ـ نبشتم) يحاول فيه ان يبرهن لـ (كلكامش) على حتمية الموت واستحالة الخلود بمنطق هو ـ

---

(٨٨) تراجع الصفحة (٢٦) من هذا الفصل .

(٨٩) وقد استعمل السومريون الكلمة (UGS) للتعبير عن الموت ويرادفها باللغة الاكدية «ماتو» المرادفة لكلمة «موت» العربية .

(90) G: R: Driver & J: C: Miles, The Babylonian Laws. (London, 1955), p. 18, Col: VIIIa: 5 - 6

(٩١) وقد كانت كلمة المصير أو النصيب في البابلية «شيمتو» ويرادفها في السومرية كلمة « نام » التي تدخل في اسم « نامتار » رسول «ايرش ـ كيكال» الهة العالم الاسفل والمكلف بتنفيذ اوامرها بقبض ارواح البشر ويعني اسمه حرفيا «مقدر المصير» ويعبر العرب عن المصير بكلمة «المنية» وجسدوها قبل الاسلام بهيئة آلهة سميت «مناة» .

المنطق الذي كان راسخا في الفكر العراقي القديم بخصوص الموت والذي استنبط من واقع الحياة وحقيقة الموت ، حيث تذكر الملحمة :

« قال (أوتا ـ نبشتم) لـ (كلكامش) :

ان الموت قاس لا يرحم
متى بنينا بيتا يقوم الى الابد ؟
متى ختمنا عقدا يدوم الى الابد ؟
وهل يقسم الاخوة ميراثهم ليبقى الى آخر الدهر ؟
وهل تبقى البغضاء في الارض الى الابد ؟
وهل يرتفع النهر بالفيضان على الدوام ؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل اجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم
ويأما أعظم الشبه بين النائم والميت !
الا تبدو عليهما هيئة الموت
ومن ذا الذي يستطيع ان يميز بين العبد والسيد اذا جاء اجلهما »(٩٢) .

فقد كان الموت مقترنا بالحياة أي انه عندما توجد الحياة فلابد أن يقترن بها الموت ولذلك فعلى المرء أن يدرك بأن الموت امر مفروض على البشر وإن آباءه كنهم سلكوا طريقه وكانوا يعرفون حتميته منذ القدم كما يرد في أحد النصوص البابلية(٩٣) ، ومن الواضح انه كان اقسى المحتمات على البشر كما جاء في خطاب (أوتا ـ نبشتم) الآنف الذكر

---

(٩٢) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٢٥ ـ ٦ ، اللوح الحادي عشر : ١٧٧ ـ ١٩٤ .

(93) BWL., p: 70: 16-17

وكما يشير اليه أيضا احد النصوص الاشورية الذي يرد فيه بأن (اليوم الذي يأتي فيه الموت القاسي يشمل حتى اكثر الرجال ورعا)(٩٤) ، ويأتي عدم ضمان حياة افضل بعد الموت او في الاقل مشابهة للحياة الدنيوية على رأس الدوافع التي جعلت العراقيين القدماء ينظرون الى الموت نظرة مشوبة بالكره والخوف اضافة الى

وتوقهم من استحالة الخروج من عالم الاموات على البشر(٩٥) ، ومن الممكن تلمس قلقهم من الموت عبر العديد من الاشارات التي ترد في النصوص المسمارية ، حيث يرد في (ملحمة كلكامش) ان الالهة وحدها هي التي تعلم موعد الموت(٩٦) لانها هي التي قدرت مصيره وقسمت الحياة والموت(٩٧) ، أما الذي كان يعرفه العراقي القديم فلم يكن اكثر من ان (الحياة تقطع كالقصبة ، وان الذي يكون حيا في المساء قد يموت في الصباح)(٩٨) ٠ وفي حين كانت قناعة العراقيين

(94) GE:, p: 141

يرد في العهد القديم : « الحكماء يموتون ٠ كذلك الجاهل والبليد يهلكان ويتركان ثروتهما للآخرين» (المزامير ـ ٤٩ ٨) ٠

(٩٥) وسنفصل في هذا الموضوع في الفصل الثالث وذلك بخصوص العالم الاسفل وحالة الارواح فيه وفكرة العراقيين القدماء الى البعث وبالتالي اثر كل ذلك على سلوكهم في الحياة ٠

(٩٦) اللوح التاسع ـ العمود الساس : ٣٩

(٩٧) «ملحمة كلكامش» ، اللوح الحادي عشر : ١٩٥ ـ ١٩٨ ، ونشير هنا الى ماورد في العهد القديم : «لكل شيء ولكل امر تحت السماوات وقت » (الجامعة ـ ٣ : ١) و «ليس لانسان سلطان على يوم الموت» (الجامعة ـ ٨:٨) والى ما ورد في القرآن الكريم : « هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا ، واجل مسمى عنده » (الانعام : ٢) ٠

(٩٨) وترد الاشارة بنفس المعنى في العهد القديم : « بغتة يموتون وفي نصف الليل » (ايوب ـ ٣٤ : ٢٠) ٠

GE:, p: 141

القدماء بأنـه لا يمكن لانسان ان يستمر في الحياة اكثر من الموعـد الذي قدرته الالهة فانهم كانوا على قناعة ايضا بأن الانسان قـد يتعرض للموت قبل ذلك الموعد حيث وردت بعض الاشـارات في النصوص القديمة ان بعض الناس ماتوا في وقت لم يكن (يوم مصيرهم)(٩٩) ، وبذلك يكون القلـق من الموت مصاحبا للانسان الذي يتوقع حدوثـه في كل الاوقات حتى في أفضل حالات الصحة وهو بين اهله ومعارفه . ثم ان رؤية الشخص المحتضر من قبل معارفه ومعرفتهم لما يحـدث لجسده بعد الموت كان يترك في نفوسهم اثرا عميقا يظهر في الخـوف من يوم سيلاقون هم فيه نفس المصير مثل الاثر الذي تركه مـوت (أنكيـدو) في مشاعـر (كلكامش) الـذي تملكـه الحـزن والاسـى وهام في القفار والبراري خائفا من الموت متضرعا للالهة لتحميه منه(١٠٠) وعذبه يقينه من انه سيلاقي نفس المصير الذي لاقاه (أنكيدو) امـام ناظريه(١٠١) ، الامر الـذي أدى الى احساسـه بان شبح المـوت يلاحقـه أينما وضع قدمه(١٠٢) ، كما ان معرفة اي فرد في المجتمع العراقـي القديم مسبقا بما سيخلفه موته من أثر على احبائـه ومعارفه وبالفراغ الذي سيتركه غيابه عنهـم كانت تؤدي الى ازدياد قلقـه وتخوفـه من الموت ، وخير ما يعكس هذه الحالة هو ما يرد في أحدى مراثـي (تموز) على لسانه بأنـه حين يموت سوف تبقى امه ليس لها احد يعيلها ويعني بها(١٠٣) ، كما تعبر عنها الى درجة ما الاشارة الواردة في

---

(99) Alfred Jeremias, The Babylonian Conception of Heaven and Hell, (London,1902), p.5

(١٠٠) ملحمة كلكامش ـ اللوح التاسع ، العمود الاول : ١ـ١١ .

(١٠١) ملحمة كلكامش ـ اللوح العاشر ، العمود الثاني : ١ ـ ١٣ .

(١٠٢) ملحمة كلكامش ـ اللوح الحادي عشر ، : ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

(103) KS:, p: 157

نص (موت أور ـ نمو) حيث أن (اور ـ نمو) يعاني من الالم والحزن حتى بعد موته على زوجته وابنه اللذين تركهما في عالم الاحياء(١٠٤) .

وتخلو النصوص الكتابية القديمة في بلاد وادي الرافدين من أي اشارة عن تخلص البشر من حتمية الموت باستثناء واحد وهو (أوتا ـ نبشتم) وزوجته ، والواقع انه حتى هذا الاستثناء لا يمكن اعتباره شذوذا عن مبدأ حتمية الموت ذلك لان (أوتا ـ نبشتم) لم ينل الخلود بصفته بشرا وانما بعد ان أصبح هو وزوجته الهين حين ادخلا في مجمع الالهة بأمر من (أنليل) وهذا مايبدو واضحا من الرواية التي ذكرها (أوتا ـ نبشتم) نفسه عن الطوفان لـ (كلكامش) الذي جاء يستفسر منه عن الكيفية التي نال بها الحياة الخالدة في اللوح الحادي عشر من (ملحمة كلكامش) وموجز تلك الرواية انه بعد انتهاء الطوفان الذي أهلك جميع البشر ولم يبق حيا من الخليقة سوى من كان موجودا في فلك (أوتا ـ نبشتم) قام هذا الاخير بتقديم القرابين للالهة الذين تجمعوا عليه كالذباب ، ثم حدث نقاش حاد بين الالهين (أنليل) و (أيا) حيث انتقد الاخير قرار (انليل) باحداث الطوفان واهلاك البشر دون التفكير بالحرمان من القرابين الذي سيصيب الالهة ودون التمييز بين المذنب والبريء ، ثم ان (ايا) طلب من (انليل) ان يتدبر امر (أوتا ـ نبشتم) ويقرر مصيره اعترافا بحكمته في ادراك سر الالهة باحداث الطوفان وبالتالي نجاته ، فصعد (انليل) الى السفينة ممسكا بيد (أوتا ـ نبشتم) وزوجته واركبهما معه في السفينة وجعلهما يركعان ووقف هو بينهما ولمس ناصيتهما وباركهما قائلا :

---

(١٠٤) S: N: Kramer. in Iraq, xxII p. 60

« لم يكن (أوتا – نبشتم) من قبل سوى بشر
ولكن منذ الآن سيكون (أوتا – نبشتم) وزوجه
مثلنا نحن الالهة .

وسيعيش (اوتا – نبشتم) بعيدا عند – فم الانهار – »(١٠٥) .

وتذكر الرواية السومرية لاسطورة (الطوفان) بخصوص الرواية السومرية – بأنه بعد ان سجد امام الالهين (آنو) و (انليل) (زيو سدرا)(١٠٦) – وهو الذي قام بدور (اوتا – نبشتم) في الرواية السومرية – بأنه بعد أن سجد أمام الالهين (آنو) و (انليل) (زيو سدرا)(١٠٦) – وهو الذي قام بدور (اوتا – نبشتم) في فأن : (انو) و (انليل) كرما (زيو سدرا) ، ووهبوه الحياة كما لو كان الها ، قدروا له الحياة الابدية كما لو كان الها)(١٠٧) .

وقد افترض بعض الباحثين (١٠٨) بأن هناك انساناً اخر استطاع الحصول على الخلود وتخلص من حتمية الموت اضافةالى (اوتا – نبشتم)

---

(١٠٥) طه باقر ، «ملحمة كلكامش » ، ص١٣٩ ، اللوح الحادى عشر : ١٩٣ – ٥ .

(١٠٦) ان اسم «اوتا – نبشتم» (Uta-napistim) يتكون من مقطعين (Uta ، وهو فعل ماضي مسند الى المتكلم من جذر (w)atu بمعنى وجد/يجد ، و (napistim) بمعنى الحياة ، فيصبح معنى الاسم كله «الذى وجد الحياة» ، اما اسم «زيو سدرا » فيعني بالسومرية « الحياة لايام طويلة » وهو معنى يضاهي معنى اسم « اوتنابشتم » كما هو ظاهر .

(١٠٧) S. N: Kramer, in ANET:, p: 44 : 256-8

(١٠٨) وردت الاشارة اليهم في GE., p: 144 وهم :

1- Heinrich Zimmern, Beitrage zur Kenntniss der Babylonischen Religion, (Leipzig, 1907), p.116ff
2- Bruno Meissne, Babylonien und Assyrien, II, (Heidelberg, 1925), p: 149

وزوجته وهو الملك السومري (اينميدر - انا) الذي جاء عنه في قائمة الملوك السومرية بأنه حكم قبل الطوفان لمدة ٢١٫٠٠٠ الف سنة في مدينة (سبار)(١٠٩) وقد بنى هذا الافتراض استنادا الى لوح خاص بالطقوس من العهد الاشوري ترد الاشارة فيه بان ذلك الملك استدعي الى حضرة الالهة ، ولكن هذا لا يعني انه نال الخلود وانما كان استدعاؤه لتسليمه اسرار فن كهانة الفال أو العرافة (Baru) فقط(١١٠) حيث انه كان واحدا من بين سبعة ملوك قدامى ذكر عنهم في احد النصوص بأنهم تسلموا (سر انو) لوح الالهة ، لوح الفال ، اسرار السماء والارض وانه علمها الى ابنه(١١١) مما يدل بوضوح على انه نفسه لم يكن يتوقع ان يبقى خالدا في الحياة ولذلك ورث ما يعرفه الى ابنه .

والواقع ان حتمية الموت كانت مفروضة حتى على ملوك حظوا بالتقديس والتأليه من قبل رعاياهم وقد كتبت اسماء معظمهم مسبوقة بعلامة الالوهية (ilu = DINGIR, ✱) الخاصة بأسماء الالهة في الكتابات القديمة ومنهم (سرجون) الاكدي وحفيده (نرام- سن) و (شلكي) ثاني ملوك سلالة (اور) الثالثة وخلفاؤه وكذلك بعض حكام (أيسن) و (لارسا) وقد خصصت لبعض اولئك الملوك معابد قدسوا فيها كالالهة حيث وردت بعض الاشارات في النصوص القديمة عن معابد مخصصة للملوك في مدينتي (لكش)

---

(109) Th. Jacobsen, The Sumerian King List. (Chicago, 1939), p: 74f

(110) GE., p: 141

(111) Alfred Jeremias, The Old Testament in the Light of the Ancient East , Vol . 1 , (New York, 1911), p.83

و (أوما) مثلا(١١٢) ونذكر هنا ان سبب ذلك التاليه غير واضح تماما على ان هناك من الادلة ما يظهر بانه كان وثيق الصلة مع سيطرة الملوك المؤلهين على مدينة (نفر)(١١٣) في جنوب العراق والتي اشتهرت في تاريخ حضارة وادي الرافدين بمكانتها الدينية المقدسة ، حيث كانت مركز عبادة كبير الالهة السومرية (انليل) وزوجته (ننليل) واشتهرت في مآثر وادي الرافدين بأن الملوك والحكام لم تكن لتثبت شرعية توليهم السلطة ولاسيما في العصور القديمة الا بعد ان يتسلموا من الهها التاج والصولجان وشارات الملوكية الاخرى(١١٤) ، وعلى ذلك فأن من يسيطر على هذه المدينة كان يعتبر ممثلا او نائبا عن الاله (انليل) وهو ما يضفي القدسية على مركزه السياسي ، كما انه من المحتمل ان يكون ملوك (أور) و (ايسن) نالوا تلك القدسية من بعد قيامهم بدور الاله في طقوس (الزواج المقدس)(١١٥) ، وعلى العموم كان ذلك العرف محدودا في انتشاره واقتصر على مناطق الجنوب من بلاد سومر واختفى على ما يغلب مع بداية السلالة البابلية الاولى بينما لم يمارس اطلاقا من قبل الاشوريين(١١٦) بالرغم من ان وظائف ملوكهم الدينية كانت اكثر بكثير مما هي عليه في المدن الاكدية(١١٧) الامر الذي يبرر الاعتقاد بأن تاليه اولئك الملوك القدامى كان يحمل معنى سياسيا اكثر من كونه مسألة دينية وهذا ما يثبت بانه لا يعني بأي حال من الاحوال الاعتقاد بتمتع اي ملك منهم بالحياة

---

(١١٢) KG. , P: 302

(١١٣) ARBA . , P : 356

(١١٤) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، (١٩٧٣) . بغداد ، ص٢٧٠ .

(١١٥) KG . P . 224

(١١٦) Ibid :, P: 225

(١١٧) Ibid . , P. 252

الخالدة وتخلصه من حتمية الموت ، ومما يوضح ذلك المعنى السياسي لتاليه الملوك ما حدث في عهد الملك (شو ـ سن) رابع ملوك سلالة (اور) الثالثة الذي بنى له (ايتوريا) (Iturla) تابعة لمدينة (اشنونا) (تل اسمر) معبدا لممارسة عبادته فيه في الوقت الذي لم يكن الملك في عاصمته (اور) نفسها سوى خادما لالهها (سن) (نانا) وقد بدل ذلك المعبد بعد وفاة (شو ـ سن) الى غرض دنيوي فيما بقيت (اشنونا) تابعة الى خليفته (أبي ـ سن) واصبح المعبد جزءا من القصر الذي يسكن فيه الحكام المحليون الذين سمو انفسهم خدما لاله المدينة الرئيس (تشباك) وليس للملك(١١٨) وهذا ما يبين ان عمل (ايتوريا) ذاك لم يكن سوى محاولة لاظهار ولائه للملك (شو ـ سن) .

وقد قدم لنا مفكرو حضارة وادي الرافدين القديمة دليلين قويين واضحين على استحالة الخلاص من حتمية الموت بالنسبة للبشر احدهما في (ملحمة كلكامش) والثاني في اسطورة (ادابا) ، ففي المثال الاول نجد (كلكامش) وقد غمره الاحساس بخطورة الموت وقسوته بعد فقده صديقه (انكيدو) حيث انه لم يكن يعتقد من قبل بأن هنالك قوة قادرة على تفريقهما وهما اللذان خاضا كل المخاطر وتحديا الصعاب ، فقبل موت (انكيدو) ماكان (كلكامش) يهاب الموت وكانت فكرته عنه بأنه ليس الا لمحة ينتهي فيها الفرد ، الا ان مرض (انكيدو) صديقه الحميم قبل موته وعذابه المؤلم واضمحلال قواه ثم موته(١١٩) وتفسخ جسده ، جسدت فكرة

---

(١١٨) KG. p.302

(١١٩) نشير هنا الى ما ذكرناه في مدخل البحث عن اختلاف نظرة انسان ماقبل التارخ الى الموت السريع كالقتل من قبل الحيوانات المفترسة والموت الناتج عن المرض .

الموت وقسوته في ذهن (كلكامش) واثارت هواجسه القلقة(١٢٠) ودفعه جزعه من الموت الى محاولة الخلاص منه بنيل الخلود الذي كان يعني بالنسبة لـ (كلكامش) البقاء المادي في الحياة وإعدم ملاقاة الموت وهي الرغبة التي لم تتفجر عنده الا بعد موت (انكيدو) وتمثلت كرد فعل مباشر على تلك الحادثة ولم يتح لـ (كلكامش) حتى مجرد التفكير بالحياة الاخرى بعد الموت اذ لم يكن يعنيه أن يستمر (حيا) بعد الموت في العالم الاخر بقدر ما كان يهمه ان يتخلص من ملاقاة الموت ونتيجة لذلك يتذكر جده (أوتا ـ نبشتم) الذي نال الخلود كما ذكرنا آنفا ليعرف منه الطريقة التي حصل فيها على الخلود ، تذكر الملحمة على لسان (كلكامش) :

« أتيت قاصدا ابي ، (أوتا ـ نبشتم)
الذي دخل في مجمع الالهة ونال الحياة (الخالدة)
جئت لاساله عن (لغز) الحياة والموت »(١٢١) .

وذلك لكي يسير على هداه ويحصل على الخلود مثله ، وبعد ان يسرد (أوتا ـ نبشتم) قصة الطوفان على (كلكامش) ، وهي القصة التي اشرنا اليها آنفا ، يبين له استحالة حصوله هو على الخلود إذ يقول له :

« والآن من سيجمع الالهة من اجلك (يا كلكامش)
لكي تنال الحياة التي تبغي »(١٢٢) .

وبالتالي فأن (كلكامش) لم يستطع الحصول على هذا الخلود

(١٢٠) ملحمة «كلكامش » ، اللوح السابع ـ العمود الاول ، : ١٧ ـ ٢٢ .
(١٢١) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١١٠ ، اللوح التاسع ـ العمود الثالث : ٣ ـ ٥
(١٢٢) نفس المصدر ، ص١٣٩ ، اللوح الحادى عشر : ١٩٧ ـ ٨ .

الذي يعتبر شذوذا عن القانون الازلي المحتم رغم ان ثلثيه من مادة الالهة ولم يعوزه الا ثلث ليصير الها ، الا ان (أوتا – نبشتم) في محاولة منه لكي لا يرد (كلكامش) خائبا دله على نبات يعيد الشباب للشيوخ (١٢٣) ليتمتعوا بالحياة الطويلة ، وفعلا حصل (كلكامش) على ذلك النبات وقرر ان يحمله الى (اوروك) ليتناوله عندما يصل اعتاب الشيخوخة حتى يعود الى فتوته(١٢٤) غير انه حتى هذا الامل الوحيد لـ (كلكامش) في التخلص من الموت يتلاشى بمجيء الافعى والتهامها للنبات على غفلة منه ولم يبق له غير الالم والحسرة المريرة(١٢٥) التي تبينها الملحمة في سطورها بطريقة تذكرنا بما ورد في الترانيم البابلية بخصوص الاله الاسير في العالم الاسفل ، والذي تحدثنا عنه الالهة ألتي تقوم بدوره فيما سبق من هذا الفصل، بالرغم من الفارق الكبير في عودة ذلك الاله الى الحياة مرة اخرى والموت الابدي للانسان ، ذلك الفارق الذي وضع للتمييز بين موت الانسان وموت الطبيعة الذي يكون لوحده مؤقتا بتجدد الحياة في الطبيعة مرة اخرى(١٢٦) والواقع ان ملحمة (كلكامش) لا تنتهي الى خاتمة واضحة منسجمة مع احتدام المشاعر الانسانية والرغبة بالخروج من التخبط واليأس اللذين تطرحهما اسطرها(١٢٧) ، على ان ملحمة (كلكامش) قدمت لمشكلة الخلود حلا اخر هو الذي يمثل الاتجاه العام في حضارة وادي الرافدين ونعني به خلود الذكر بالاعمال الحسنة وهو ما سنتطرق اليه في مكان اخر من الفصل .

---

(١٢٣) ملحمة كلكامش ، اللوح الحادى عشر : ٢٦٨ – ٧٠ .

(١٢٤) اللوح الحادى عشر : ٢٧٦ – ٨٢ .

(١٢٥) اللوح الحادى عشر : ٢٩٠ – ٩٨ .

(١٢٦) MRAE. , P:44

(١٢٧) Th. Jacobsen, in IAAM., p.212

اضافة الى الدليل الذي تقدمه ملحمة (كلكامش) عن استحالة الخلود فان اسطورة (ادابا)(١٢٨) تقدم لنا دليلا اخرا على ذلك اذ تصف احداثا وقعت لـ (ادابا) صياد السمك في مدينة (اريدو) والذي حباه الاله (ايا) (أنكي) بالسلطة وسعة المعرفة (١٢٩) الا انه لم يوهب الخلود(١٣٠) الذي تميزت به الالهة لوحدها ، وكما تذكر الاسطورة فأن (ادابا) حصل على الفرصة لنيل الخلود حين قرر الاله السماء (انو) استدعاءه اليه لمحاكمته على كسر جناح الريح الجنوبية ولكن بعد تشفع الالهين (تموز) و (ننكيزدا) قرر ان يقدم لـ (ادابا) طعام الحياة وماءها ليحصل على الخلود ، غير ان (ادابا) امتنع عن تناولهما تمسكا منه بنصيحة الاله (ايا) بالامتناع عن الاكل والشرب في حضرة الاله (انو)(١٣١) لأنه كان يتوقع من (انو) ان يقدم طعام الموت وماءه لـ (ادابا) الذي أدى امتناعه عن الاكل والشرب الى سخرية (انو) منه ومن ثم حرمانه من الحياة الخالدة(١٣٢) واعادته الى الارض ليموت عليها مثل البشر ، وهكذا يتضح لنا دليل اخر على استحالة حصول البشر على الخلود حتى لمن كان منهم ذا مكانة كمكانة (ادابا) ٠

وقد ثار نقاش عما اذا كان بالامكان اعتبار اسطورة (ادابا) بأنها المنبع الذي اشتقت منه قصة (آدم) في العهد القديم وعن ارتكابه للخطيئة الاولى حيث ذهب (أي ٠ أيبلنك) الى ان اسم (ادابا) يتطابق مع اسم (ادم)(١٣٣) ، غير ان سياق الاسطورة يخالف هذا

---

(١٢٨) لقد ادرجنا ترجمتها الكاملة في ملحق البحث ٠

(١٢٩) الكسرة أ ـ الاسطر : ٢ـ٩ ٠

(١٣٠) نفس المصدر ، السطر : ٤

(١٣١) الكسرة ، ب ـ الاسطر : ٦٠ ـ ٦٢ ٠

(١٣٢) الكسرة ب ـ الاسطر : ٦٦ـ ٦٨ ، والكسرة د ـ الاسطر : ٤ ـ ٥ ٠

(١٣٣) E.Ebeling , Tod und Leben ..., (1931) , P: 27a

الرأي اذ ان (ادابا) يوصف بانه كان مثلا أعلى بين البشر وليس اولهم في الخلق كما يفهم من اسطرها (الكسرة أ ـ الاسطر : ١ـ٤) ، ولدينا ملاحظتان اخريان عن مقارنة اسطورة (ادابا) بقصة (ادم) في (العهد القديم) هما :

اولا : من الواضح ان الاسطورة لا تظهر ما يدل على ان كسر جناحي الريح الجنوبية كان الخطيئة الاولى للبشر كما هو الحال مع (ادم) باكله الثمرة المحرمة من شجرة معرفة الخير والشر رغم تحذير الرب من ارتكاب ذلك(١٣٤) ثم ان فشل (ادابا) في الحصول على الخلود لم يكن ناجما عن ارتكابه للخطيئة او العصيان لاوامر الاله وانمابسبب تمسكه بنصيحة (أيا) اله الحكمة وراعي البشر ٠

ثانيا : ان النتيجة التي أدى اليها تصرف كل من (ادابا) و (ادم) كانت مختلفة في ضررها على البشر حيث ان (ادابا) كان حائزا على الحكمة والمعرفة كما ذكرنا سابقا وسنحت له الفرصة لنيل الخلود الا انه اضاعها ، أما (ادم) فلم يكن حائزا على المعرفة ولا متمتعا بالحياة الخالدة وميزته الوحيدة كانت سكناه في الجنة وتمتعه بالنعيم ولذلك كانت عقوبته بعد مخالفته لاوامر الرب اخراجه من الجنة ليكدح في الارض(١٣٥) اذ توجس الاله خيفة من ان يقوم (ادم) باكل ثمرة الحياة فينال الخلود بعد ان نال المعرفة وبذلك يصبح

---

(١٣٤) «العهد القديم » ، سفر التكوين ـ الاصحاح الثاني : ١٥ ـ ١٧ ٠

(١٣٥) يرد في « العهد القديم» بان الرب «قال لآدم سمعت لقول امرأتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك ٠ بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك ٠ وشوكا وحسكا تنبت لك وتاكد عشب الحقل ٠ بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الارض التي اخذت منها ٠ لانك تراب والى تراب تعود» (التكوين ـ ٣ : ١٧) ٠

واحدا من الالهة(١٣٦) . وعلى هذا يكون الشبه الوحيد بين اسطورة (ادابا) وقصة (ادم) كما جاءت في التوراة التشابه بين الاسمين وحرمان (ادابا) من الخلود ، وحرمان (ادم) من حياة النعيم في الجنة.

وعلى العموم فأن اسطورة (ادابا) تدور حول سؤال محدد هو (لماذا يجب على البشر ان يواجهوا الموت ؟ ولم لا يحيون الى الابد؟) وتجيب عليه الاسطورة بأن واحدا من البشر وهو (ادابا) قد تهيأت له فرصة الحصول على الخلود لنفسه او لذريته الا انه تصرف تصرفا خاطئا تسبب في حرمانه من الخلود وجلب الشقاء للانسان الذي لا خلاص له من الموت(١٣٧) ، وارجح صحة الرأي القائل بأن الصيغة الميثولوجية لاسطورة (ادابا) تصور تغييرا اساسيا في نظرة سكان وادي الرافدين القدماء الى الخلود بعد ان كانوا يعتقدون بامكانية حدوثه بالنسبة للبعض مثل (اوتا ـ نبشتم) وزوجته وذلك في العصور المبكرة من تاريخهم ، حتى جاءت اسطورة (ادابا) لتؤكد استحالة الحصول على الخلود في العصور التالية للطوفان(١٣٨) حيث أصبح هناك حاجز قوي بين الالهة والبشر من ناحية الحصول على الخلود (١٣٩) .

---

(١٣٦) حيث ترد الاشارة في « العهد القديم » : « وقال الرب الالة هو ذا الانسان قد صار واحد منا عارفا الخير والشر . والان لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد . فاخرجه الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها . » (التكوين ـ ٣٠ ٢٢ ـ ٢٣) .

(١٣٧) BG., P: 124

(١٣٨) MRAE. . P, 222

(١٣٩) A.H: Sayce, The Religious of Ancient Babylonian, (Edinburgh, 1902), P.424f :

وامام هذه الاستحالة في الحصول على الخلود اصبحت حتمية الموت من الامور المسلم بها وكانت نظرة العراقيين القدماء اليها نظرتهم الى أي من مسلمات الحياة وبديهياتها ولذا صار من المعتاد ان يخلد أي فرد منهم بعد دخوله سن الشيخوخة الى السكينة بين عائلته ويبدأ في تحديد ما سيورثه لابنه الاكبر ويقسم املاكه على افراد أسرته واقاربه ويوزع الجواري على اطفاله ثم يمكث بانتظار الموت بسكينة وهدوء ، وحتى انه كان يعرف مسبقا الموضع الذي سيدفن فيه أو انه كان يختاره بنفسه ويهيء فيه القبر الذي يدفن به بعد مماته كما يدل القول الوارد في احد النصوص :

« أيامه ستطول ، انه سيدفن في الضريح الذي هياه بنفسه »(١٤٠)

هذا بالرغم من انه كان يكره الموت وقسوة الحياة الاخرى وكآبتها في العالم الاسفل (عالم الاموات)(١٤١) ، ويمكن للباحث ان يخلص من دلالات العديد من النصوص الادبية لحضارة وادي الرافدين القديمة الى ان العراقيين القدماء على وجه العموم ركنوا الى التسليم بحتمية الموت ، فلم يتذمروا مما فرضته الالهة وهذا ما كان يميز الفكر المثالي عند شعوب منطقة الشرق الادنى القديمة عموما(١٤٢) ، ويتضح من نصوص الرسائل الاشورية ما يؤيد الاعتقاد بوجود ذلك الميل عند العراقيين القدماء حيث انها تظهر الاشوري بمظهر

---

(١٤٠) CAD. , Vol : 8 : Kimahu, P: 37

(١٤١) E. A: Wallis Budge . Babylonian Life and History , (London , 1925) , P. 179

(١٤٢) Sabatino Moscati , The Face of the Ancient Oreint , (London, 1963) , P.304

القانع الراضي بدون تذمر(١٤٣) ٠

على اننا يجب ان لا نأخذ ذلك التسليم بحتمية الموت على انـــه رضى به ، اذ انهم كانوا يتشبثون بالحياة ما أمكنهم ذلك وكانـت امنياتهم تتمثل في ان تطول اعمارهم ويتأخر اجلهم الغير مرغوب فيـه، فعلى حين كانت الشعوب والحضارات جميعها تقدر الحياة تقديرا كبيرا، نجد ان السومريين قد تعلقوا بها تعلقـا شديدا اذ كان حب الحياة يعم المدينة السومرية في كل اشكالها ومظاهرها الاجتماعية والسياسيـــة والاقتصادية والدينية(١٤٤) وكان البابليون يعتقدون بأن على البشـــر أن يتمتعوا بمباهج هذا العالم قبل الموت ، وتعبر كلمات صاحبـــة الحانة الموجهة الى (كلكامش) عن هذا الاعتقاد اذ تخاطبه :

« أما انت يا (كلكامش) فليكن كرشك مملوءا على الدوام
وكن فرحا مبتهجا نهار مساء
واقم الافراح في كل يوم من ايامك
وارقص والعب مساء نهار
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين احضانك
وهذا هو نصيب البشرية »(١٤٥) ٠

---

(١٤٣) A.T: Olmstead . History of Assyrian, (New York, 1923) , P. 626

(١٤٤) KS. , P: 262f :

(١٤٥) طه باقر ، ملحمة كلكامش (١٩٧١) ، ص١١٥ ـ ٦ ، اللـوح العاشر ، العمود الثالث : ٦ ـ ١٤ ٠ ونشير هنا الى ماورد في العهد القديم : «فمدحت الفرح لانه ليس للانسان خير تحت الشمس الا

وقد ساد الاعتقاد في بلاد وادي الرافدين القديمة بان عطف الالهة ورضاها يظهران بانقاذهم الناس من المرض واطالة اعمارهم(١٤٦) ولـذا كان الشخص يصلي الى الالهة ويقدم لها القرابين ويزيد من الدعـاء لها بأن تطيل حياته وكـان هـذا اقصى ما كـان يطمح اليه(١٤٧) وهـذا ما يبدو واضحا من الاشارات العديدة في نصوص الادعية باطالةالحياة، ولعل أبلـغ دلالة على ذلك مانجده في معظم النصوص الخاصة بالملوك والحكام والافراد عندما يقدمون النذور فيذكر (انتيمينا) أميـــر (لكش) من عصر فجر السلالات بهذا الخصوص في احد نصوصـــه بأنه بنى مزارا للاله (انليل) ووضع فيه تمثالا لالهه الشخصي (شل ـ أوتولا) من اجل ان يقف في قابل الايام امام (ننجرسو) و (نانشه) (ويصلي) لحياة (انتيمينا)(١٤٨) ، ويذكر الملك (لوكال زاجيزي) (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق٠م) في كتابة منقوشة على اناء (نذرى بأنـــه قدم من اجل حياته آنية متعددة لـ (انليل) ملكه المحبوب ٠٠٠٠ عسى (انليل) ملك جميع الاقطار ان يصلي من اجلي أمام (آن)

ان يأكل ويشرب ويفرح واهذا يبقى له في تعبه مدة ايام حياته التي يعطيه الله اياها تحت الشمس » (جامعة ـ : ٨ ١٥)
و « اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لان الله منذ زمان قد رضي عملك ، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن ؛ التذ عيشا مع المرأة التي احببتها كل ايام حياة باطلك التي اعطاك اياها تحت الشمش كل ايام باطلك لان ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذى تتعبه تحت الشمس » ٠ (جامعة ـ ٩ : ٧ ـ ٩)

(١٤٦) ARBA, p.365

(١٤٧) E.A: Wallis Budge , Op: Cit:, P:180

(١٤٨) KS:, P. 315

وعسى ان يضيف حياة الى حياتي(١٤٩) ، كما ان الاشارات عن الرغبة بالحياة الطويلة تتكرر مرارا في نصوص (اور - نمو) (٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م) مؤسس سلالة (اور) الثالثة بالشكل التالي :

الى (ننـا) ملكه ، قدم (اور - نمو) هذا من اجل حياته)(١٥٠) .
ويرد في دعاء لـ (نبوخذنصر) الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) من السلالة الكلدانية في (بابل) ما يلي : (عسى ان تكون سنوات عمري بعدد اجرات (ايبارا) وعسى أن تكون حياتي باقية الى الابد) ، في مجال الرغبة بالحياة والعمر الطويل كما ترد الاشارات في التعاويذ بالشكل الاتي : (عسى ان يباركه (آنو) و (اناتو) في السماء وان يقدر له (انليل) و (ننليل) في (أي - كر) الحياة المديدة وعسى ان يهبه (أيا) و (دام - كينا) في العمق الحياة لسنين طويلة)(١٥١) ، وقد اعتبر العراقيون القدماء ان الحياة الطويلة هي الثواب الامثل على الاعمال الحسنة للشخص فصار كل منهم يأمل في ان يثاب على حسناته بالحياة الطويلة(١٥٢) (وهذا ما سنأتي على توضيحه بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث) .

ومما يقال بوجه عام ان ذلك التشبث بالحياة لم يكن ليحول دون ادراك سكان العراق القديم بأن الحياة مهما طالت فانها لابد ان

---

(١٤٩) Ibid. , P: 323f :

(١٥٠) C. L: Woolley, The Sumerians, (New York, 1965) p. 121

(١٥١) A. Jeremias. The Babylonian Conception of Haven and Hell, p: 4

(١٥٢) نشير هنا الى ماورد في «العهد القديم» : «يابني لاتنس تعلميي . بل ليحفظ قلبك وصاياى فانها تزيدك طول ايام وسني حياة وسلامة» (الامثال ، ٣ : ١ - ٢) .

تنتهي بالموت الذي يختم بالخراب كل ما عمله الانسان في حياته او فكر به وهذا يعني بصورة طبيعية تضاؤل الحياة او الموت المحتم ومن هنا فقد كان لابد لحضارة وادي الرافدين من ان تستنبط قيما مقبولة تحرض الانسان على الانهماك بالحياة بطريقة تجعله قادرا الى حد ما على تقليل خطورة الكارثة التي يحدثها الموت في نفسه وبعبارة اخرى شعر أهل تلك الحضارة بضرورة وضع آمال عريضة لحياة الانسان تتجاوز الموت . كل ذلك ليحافظوا على هوية حضارتهم واستمرارها بما ينجزونه خاصة وان بنيانها الحضاري كان يتطلب جهودا كبيرة تتجاوز في شمولها وعمقها حياة الفرد وحياة الجيل الواحد وهي جهود لا يستطيع الانسان اتيانها اذا كان واثقا ان موته يعني نهايته المطلقة في الحياة على الارض . فما الذي قدمته هذه الحضارة لحل تلك المعضلة ؟ والاجابة على هذا التساؤل يلخص بأنها قدمت قيما للحياة تقلل من الاثر السلبي المثبط للموت على الانسان وذلك عن طريق ما نستطيع تسميته بالخلود الممكن ، فبعد ان سلم العراقيون القدماء بحتمية الموت كما ذكرنا سابقا وباستحالة بقاء الانسان في الحياة بصورة دائمة(١٥٣) ، لم ينبذوا فكرة الخلود نهائيا ولكنهم استنبطوا معنى اخر للخلود يمكن ان يكون في متناول الانسان دون ان يرافقه بقاء دائم في الحياة او أي نكران للموت ونعني بذلك بقاء الذكر الحسن للانسان بعد موته(١٥٤) . وكان هذا المعنى للخلود عميق التأثير في حياة

---

(١٥٣) هناك عبارة ترددت كثيرا في الشعر الاغريقي تقول : «حذار ان تسعى لتكون زيوس» بصدد التحذير من الطموح الى الخلود : هـ . ج . روز ، الديانة اليونانية القديمة ، القاهرة (١٩٦٥) ، ترجمة رمزى عبده جرجس ص٥٩ .

(١٥٤) هناك قول في النصوص المصرية يذكر ان الانسان الفاضل لايمحى

سكان العراق القديم لسببين :

الاول : اهميته في تطمين الفرد وتشجيعه بمواجهة الموت بعد رضوخه لحتميته ، على اعتبار ان ذكره سيستمر بعد موته وفي هذا تطمين لرغبة تكاد تكون متأصلة عند البشر عموما ، وقد بلغ التشديد على اهمية بقاء ذكر الانسان بعد موته الى درجة يمكن اعتباره معها أحد الاهداف المهمة التي تصبو اليها الديانة العراقية القديمة عن طريق انجاز الطقوس الجنائزية للموتى(١٥٥) .

والثاني : تجسيده للقيم المحفزة على العمل والانهماك في تحقيق المنجزات الكبرة التي تبقى بعد موت فاعلها خير ضمان لاستمرار ذكره المقترن بها وهذا ما يكسب حياة الفرد معنى يدفعه الى خوض كل مجالات الحياة والاقدام على أعمال خلاقة قد يموت اثناءها فلا يشهد نتائجها في حياته(١٥٦) أو انه يكمل انجازها دون ان يملك القدرة على الاستفادة منها .

بالموت بل يحظى بالخلود ببقاء ذكره بعد الموت :

A. Wilson, in IAAM:, p: 59

ونورد هنا ما يرد بخصوص الذكر بعد الموت وأهميته للانسان في العهد القديم : « ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذى تحت الشمس ... ليس ذكر للاوليين . والاخرون ايضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم» .

(الجامعة ـ ١ : ٣ ، ١١) .

(١٥٥) وهذا ما سنتطرق اليه بالتفصيل وذلك في حديثنا عن الطقوس الجنائزية في الفصل الثالث من البحث .

(١٥٦) وهذا ما وردت الاشارة اليه في العهد القديم : «لان ردىء عندى العمل الذى عمل تحت الشمس لان لكل باطل وقبض ريح . فكرهت كل تعبي الذي تعبت فيه تحت الشمس حيث اتركه للانسان الذي يكون بعدي » . (الجامعة ـ ٢ : ١٧ ـ ١٨)

ويمكن ان نستشف من (ملحمة كلكامش) هذا المعنى للخلـود الممكن حيث ان شخصية (كلكامش) تعرض من بداية الملحمة عـلى انها شخصية بطولية تستهين بالموت وتتحداه بعدم الاكتراث بــه ويتجلى هذا بوضوح في احدى قصص (كلكامش) السومرية والمعروفة باسم (كلكامش وارض الاحياء) حيث يبدو (كلكامش) منزعجا مـن الموت فيحاول تجاوزه وفق مفهوم الخلود ببقاء الذكر بعزمه على تكوين شهرة كبيرة له قبل نهايته المحتومة ليبقى ذكره طويلا بين الناس فقـرر نتيجـة لذلـك القيـام برحلتـه الى ارض الحياة(١٥٧) ، ويبـدو الدافـع نفسه ايضا من حديثه الى انكيدو في ملحمة كلكامش حين عزم عـلى السفر الى غابة الارز ومقاتلة العفريت (خمبابا) الذي لا يســتطيع احد الصمود بوجهه اذ يتردد انكيدو من الذهاب معه فيحاوره (كلكامش):

فتح كلكامش فـاه وقال لانكيدو :

« يا صديقي ، من ذا الذي يستطيع ان يقهر الموت

فالالهة وحدهم هم الذين يعيشون الى الابد مع (شمش)

اما البشر فأيامهم معدودات

وكل ما عملوا عبث يذهب مع الريح

لقد صرت تخشى الموت ونحن مازلنا هنا

فماذا دهى قوة بطولتك

دعني اذن اتقدم قبلك وليناديني صوتك :

تقدم ! ولا تخف !

واذا ما هلكت فساخلد لي اسما ، وسيقولون عني فيمابعد :

لقد هلك كلكامش مع خمبابا المارد »(١٥٨) ٠

---

(157) KS., p: 190

(١٥٨) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص٧٦ ، اللـوح الثالث ـ العمـود الرابع : ٣ ـ ١٥ (الرواية البابلية القديمة) ٠

وهكذا كان كل طموح (كلكامش) هو الحصول على خلود الذكر نتيجة لاعماله الخارقة وليس البقاء في الحياة ويتضح هذا من حديثه الى (انكيدو) ايضا بعد خوف الاخير من دخول غابة الارز حين وصولهما اليها فيقول له (كلكامش) :

« ايليق بصديقي ان يتخسف ويحجم ؟ كلا يا صديقي
علينا ان نتقدم ونوغل في قلب الغابة ، وسيحمي
أحدنا الاخر . واذا ما اسقطنا في النزال
فسنخلف لنا اسما خالدا »(١٥٩) .

وكان خلود الاسم هذا سببا في اعتقاد العراقيين القدماء بأن من يقتل في المعركة يكون مباركا حيث يرد في (ملحمة كلكامش) على لسان (انكيدو) اثناء مرضه ، حديثا موجها الى (كلكامش) يقول فيه :

« يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة
فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى
كنت أخشى القتال ولكنني سأموت ذليلا حتف انفي
فمن يسقط في القتال يا صديقي فانه مبارك »(١٦٠) .

كما اعتقد ان هناك سببا اخرا في ذلك الاعتقاد يتمثل في ان الموت بالقتل في المعركة يزيد من اذكاء حزن اهل المقتول ومبالغتهم في اقامة شعائر الحداد له وهو امر يريح روحه في العالم الاسفل كما سنوضح في الفصل الرابع من البحث . وكما ذكرت فيما سبق من هذا الفصل تغيرت فكرة (كلكامش) عن الموت من بعد موت صديقه (انكيدو) اذ انه سعى في طلب الخلود الحقيقي بالحياة الدائمة وفشل في ذلك

---

(١٥٩) نفس المصدر ، ص٨٤ ، اللوح الرابع ، العمود السادس : ٣٥-٣٩
(١٦٠) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، (١٩٧ ، ص١٠٥ ، اللوح السابع - العمود الرابع : ١١ - ١٩

وبالتالي عاد الى (اوروك) مسلما باستحالة الحياة الدائمة على البشـر مكتفيا بما يمكن الحصول عليه من خلود الذكر ، وفعلا وجد (كلكامش) امامه ما ينجزه ليبقى مقترنا بذكره بعد الموت وهو تعمير مدينـــة (اوروك) وتجديد اسوارها كما يرد في بداية الملحمة واهو ما يشـــير بوضوح الى المثل الاعلى للعراقيين انقدماء بالتفاني بالعمل وتحقيـــق المنجزات الكبيرة ليستمر ذكرهم مقترنا بها بين الاجيال المتعاقبة ولعل ابلغ مثال على تشبث القوم بخلود الذكر ما ذكره (حمورابي) في خاتمة مسلته الشهيرة حيث يقول :

في أي ـ ساكيلا (المعبد) الذي احبه ليذكر اسمي بالطيـــب الى الابـــد(١٦١) .

والجدير بالذكر هنا ان العراقيين القدماء لم يكونوا ليعولوا على الابناء على انهم امتداد لآبائهم وحافظوا ذكرهم بعد الموت وهو المفهوم السائد في عصرنا هذا اضافة الى خلـود الذكر المشابه لمفهوم العراقيين القدماء ، ودليلنا على عدم وجود تلك النظرة الى الابناء هو عـــدم تطرق (ملحمة كلكامش) الى ذكر ابنــه (اور-ننكال) او (اور-لوكال) الذي حكم بعده في (اوروك) وحفيده (اوتول-كالاما) الذي خلف ابيه في الحكم كما نعلم من اثبات الملوك السومرية(١٦٢) .

ويدل عدم ذكر أي منهما في الملحمة على ان واضعيها لم ينظـــروا الى وجودهما على انه ذو فائــدة لـ (كلكامش) ، في محنته مـــع الموت ، باعتبارهما يمثلان نسله المستمر في الحياة ونذكر هنا ان

---

(١٦١) G.R. Driver & J.C. Miles, The Babylonian Law, p.96f Col. XXIVb : 93-4 ; xxVb : 1-2

(١٦٢) A: Leo Oppenheim, in ANET., p: 266

اهمية الابناء عند العراقيين القدماء كانت تقتصر على دورهم في الطقوس الجنائزية فقط(١٦٣) ولم يكن الابن امتداداً للاب في حياته أو في تكوينه الجنيني .

وبرغم ما ينتج عن الاعتقاد بفكرة خلود الذكر من طمأنينة للانسان بوجه الموت ومن الاندفاع الشجاع في خوض المعارك وانجاز الاعمال الكبيرة، الا ان كل هذا لم يمنع من ظهور بعض الحالات العارضة من الشك في قيم الحياة وعدم الاقتناع بجدوى عمل أي شيء ما دام الموت هو النهاية المحتومة وتبرز أوضح هذه الحالات في القطعة الادبية المعروفة باسم (حوار التشاؤم)(١٦٤) التي تأخذ شكل حوار بين سيد وعبده، فالسيد كما يبدو رجل لا يستقر على قرار فهو يخبر العبد بأنه ينوي القيام ببعض الاعمال فيلقى حماسا متجاوبا مع العبد الا انه ما ان يعلن عن رغبته بترك ما ازمع على انجازه حتى يسارع العبد ليبرر له قراره بحماسة مشابهة . وتنتهي القطعة بسؤال يوجهه السيد الى العبد عن العمل الذي يستحسن انجازه فيجيبه العبد (الخير هو ان تكسر عنقي وعنقك وتسقط في النهر ، فمن الذي علا حتى طال السماوات ؟ ومن الذي وسع حتى احاط الارض ؟ ثم يقول السيد للعبد بأنه سيقتله اولا فيجيبه العبد : (وهل يرغب سيدي في الحياة لثلاثة أيام بعدي ؟) تعبيرا عن انه لا يوجد ما يستحق الحياة لاجله فالكل عرضة للموت ، أن تاريخ كتابة هذه القطعة يعود على وجه التقريب الى أواخر العهد البابلي القديم وبداية العصر الكاشي(١٦٥) وهي فترة اضطراب سياسي سبب شعورا من القلق واختلال القيم كما يبدو

---

(١٦٣) سير د تفصيل ذلك في الفصل الثالث من البحث .

(164) BWL., pp: 139—49

(165) BWL., p: 141

من مضمون هذه القطعة التي لم تكن تعبر عن عموم قيم حضارة وادي الرافدين القديمة وهي تذكرنا بحالة المصريين في الفترة المظلمة بين المملكة القديمة والمملكة الوسطى حيث عم التشاؤم و (صار الكبير والصغير يقول ليتني اموت) كما يرد في النصوص المصرية(١٦٦) ، وقد جاء في تلك النصوص عدد من الاشارات عن اقدام العديد من الناس على الانتحار حيث التخمت تماسيح النهر بجثث الذين القوا بانفسهم في الماء كما وعلمنا نص من الفترة نفسها يحتوي على حوار بين رجل يريد الانتحار وبين زوجه التي تعجز عن اقناعه بالعدول عن رأيه اذ ان الحياة قد بلغت حدا من التردي جعل من الموت خير خلاص للانسان من الشقاء والبؤس(١٦٧) .



(166) H: Frankfort, in IAAM:, p: 368
(167) J: A: Wilson, in IAAM:, p. 101

الفصل الثاني

الروح والعقاب والثواب

« اعل فوق تلال الخرائب القديمة
وتمش حولها ،
وانظر جماجم القاصي والداني ،
من هو الشرير ومن هو المحسن »

ـ من نص بابلي يعود تاريخة الى منتصف
الالف الثاني ق.م ـ




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الروح وحالتها في عالم الاموات :

اعتقد سكان وادي الرافدين القدماء بأن الانسان كائن مركب من عنصرين اولهما حسي مادي هو الجسد والثاني غير مرئي وهو الروح ، والواقع ان هذا الاعتقاد لم يكن بعيدا عن مفاهيم الشعوب القديمة الاخرى التي عاشت في الشرق الادنى كالمصريين مثلا(١)، ويجدر ان نذكر بهذا الصدد ما اختلف به سكان وادي الرافدين القديمة عن المصريين القدماء في تصور مدى العلاقة بين الجسد والروح بعد الموت ، فقد اعتقد المصريون عموما بأن وجود الروح وخلودها في عالم ما بعد الموت يتوقف على سلامة جسد المتوفي وبقائه محتفظا بشكله الطبيعي بقدر الامكان وهذا ما دفعهم الى بذل العناية الشديدة باجساد الموتى واتقان تحنيطها للمحافظة عليها وضمان خلود الروح ، بيد ان العراقيين القدماء لم يصلوا الى هذا الحد في تصورهم للعلاقة بين الروح والجسد وانما كان اعتقادهم عن الروح بانها مستقلة نوعا ما عن الجسد اذ ان العلاقة بينهما لم تكن لتؤثر على وجود الروح فيما بعد الموت حيث انها تكون موجودة فعلا مهما كانت حالة جسد صاحبها بعد موته وكان تاثير تلك العلاقة يقتصر فقط على استقرار الروح وسكينتها في عالم الارواح (العالم الاسفل) كما سنوضح في هذا الفصل .

وقد اطلق السومريون الكلمة GIDIM على روح الميت وشبحه ، ويذهب بعض الباحثين(٢) الى ان هذه الكلمة تعني

(1) S. G: F: Brandon, Religion in Ancient History, (New York, 1969), p. 72

(2) S: H: Langdon. in ERE., Vol, IV, p: 444

(مخلوق الظلام) حيث انها مركبة من كلمتي DIM و GIG ادغمت احداهما بالاخرى ، وبحذف الحرف الاول من الكلمة اصبحت IDIM او EDIM ثم اقتبست من الاكدية بشكل (ادمو) أو (اطمو) ، وانها قد تكون ذات صلة بالكلمة السومرية IDIM التي تدل على الشقاء وتكتب بالعلامة المسمارية (٣) التي تعني أمات أو موت USH ويرادفها بالاكدية shegu ومهما كان الامر فان معنى GIDIM السومرية غامض كما ان أصل استعمالها وظهورها مجهول · وكلمة etemmu الاكدية تعني على وجه العموم روح الميت او شبحه كما استعملت في العهد الاشوري القديم والعهد البابلي القديم(٤) وتعني ايضا أشباح الالهة(٥) وهنا لابد من القول ان المقصود من (اشباح الالهة) ليس الاشارة الى اشباح للالهة منفصلة عن اجسادها كما هو الحال بالنسبة للبشر حيث ان الآلهة تختلف عن البشر في أن أرواحها لا تنفصل عن أجسادها ولذلك فهي خالدة(٦) ، ولا تتعرض للموت الذي يتضمن في معناه انفصال الروح عن الجسد كما سنوضح بعد قليل ، وأرجح أن تكون الاشارة الى اشباح الالهة في النصوص القديمة مثل ان شبح GIDIM اينمشارا يواصل الصراخ انه يحرقني انه يحرقني أو النص الذي يرد فيه ان شبح انليل هو حمار الوحش وان

(3) CAD., 4: etemmu: p: 397

(4) Ibid., p: 397

(5) Ibid:, Loc: Cit.

(٦) بخصوص خلود الآلهة يراجع الفصل الاول ·

شبح آنو هو الذئب ... وشبح تيامة هو الجمل)[٧] ، ماهي الا اشارات الى أشكال معينة او حيوانات كانت تعتبر رموزا لتلك الالهة أو ظلالا لها وهذا مالايدل بالتالي على امكانية حدوث انفصال بين الروح والجسد عند الالهة . ومن المعاني الاخرى للاطمو ما يشير الى انه نوع من الشياطين ولاسيما في حالة عدم دفن الجسدوالتقريب للميت فتخرج روحه على هيئة شيطان تسبب الامراض للبشر (كما سيأتي تفصيل ذلك) حيث يرد في أحد النصوص (ان يد الاطمو (الشبح) الغريب امسكته في البرية)[٨] كما يرد في احدى التعاويذ الاشورية أن (أطمو الشرير قد امسك بكتفيه)[٩] وذلك في معرض ذكرها لعدة امراض سببتها الشياطين لاجزاء مختلفة من جسد أحد الاشخاص .

وكون الاطمو تعني الروح فهي ملازمة للجسم بصورة غير محسوسة وعند الموت تنفصل عن الجسد ، وكان المعتقد السائد عند العراقيين القدماء ان روح الشخص تخرج من جسده مع اخر أنفاسه في احتضاره[١٠] ، وذلك لانهم يجدون علامة الموت في انقطاع التنفس[١١] وتوقف الحركة في الصدر[١٢] ، أي أن مكمن الحياة

---

(7) CAD:, 4: etemmu, p, 400
(8) Ibid ., Loc: Cit:
(9) E: E: Krudsen. "An Incantation Tablet from Nimrud", in Iraq, xxI (London, 1959), p: 57:18

(١٠) وهو نفس ما يعتقد به في الوقت الحاضر ، مع مقارنة بالاستعمال العربي «لفظ انفاسه» و «فاضت روحه» .
(١١) ملحمة كلكامش – اللوح السابع ، العمود الرابع : ١٩
(١٢) ملحمة كلكامش – اللوح الثامن ، العمود الثاني

هو الصدر والجهاز التنفسي ومن هنا كانت الكلمة التي أطلقهـا السومريون على الحياة هي ZI (D) لتي تعني حرفيا هبوب الريح أو الريح مطلقا ، أما البابليـون فقـد اطلقـوا عنيها كلمـة (نابشتو) napistu التي تدل ايضا على النفس والبلعوم.وهـذا كله يشير الى العلاقة الوثيقة للحياة بالتنفس والواقع ان هـذه الفكـرة كانت شائعة بين الاقوام السامية كلها حيث ان الاشارة الى التنفـس أو الريح مطلقـا ، أمـا البابليون فقـد أطلقوا عليـه كلمـة (نابشيتو) يعني (النفس) فاضافة الى كلمة (نابشتو) الاكدية اطلق العبرانيون عليها اسم (نفش) من (نفش) اي تنفس[١٣]، والتي تدل ايضا على النفس والبلعوم كما ان كلمة (النفس) العربية مأخوذة من الجذر (نفس) ونشير هنا الى علاقة لفظة (الروح) في العربية بالجذر (روح) الدال على الهـواء (الريح) وحركته ومرادفتها لكلمة (النفس) ·

ويتم انفصال الروح عند حدوث الموت وتتحول الى كائن اخـر بطريقة غامضة اشير اليها في ملحمة (كلكامش) ضمـن حديـث (أنكيدو) اليه حين قص عليه رؤياه عن الموت اثناء مرضه :

« كانت السماء ترعد فاستجابت لها الارض
وكنت واقفا وحدي فظهر امامي مخلوق مخيف مكفهر الوجه
كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة (زو) ومخالبه كاظفـار
النسـر[١٤]

---

(13) George A. Barton, in ERE, XI, p: 749

(١٤) من المحتمل ان يكون هو نفسه الاله الموصوف في «رؤيا الامير الاشورى عن العالم الاسفل» : السطر ٨ (تنظر الترجمة الملحقة بالبحث) ·

لقد عراني من لباسي وامسك بي بمخالبه واخذ بخناقي
حتى خمدت انفاسي
(نقص من نحو ١٢ سطر)
لقد بدل هيئتي فصارت يداي مثل جناحي طائر
مكسوتين بالريش
امسك بي وقادني الى دار الظلمة ، الى مسكن (اركالا)
الى البيت الذي لا يرجع منه من دخله
الى الطريق الذي لا رجعة لسالكه
الى البيت الذي حرم ساكنوه من النور
حيث التراب طعامهم والطين قوتهم
وهم مكسوون كالطير بأجنحة من الريش
ويعيشون في ظلام لا يرون نورا »(١٥) ٠

ومن هذه القطعة نستدل بأن العراقيين القدماء كانوا يتصورون روح الميت بهيئة مخلوق له جناحان من الريش وهو تصور قريب من فكرة الاغريق عن خروج روح الميت من الجرة التي يدفن فيها الجسد بهيئة انسان مجنح يقوده الاله (هرمز) الى مملكة الاموات(١٦) ، كما ان المصريين اعتقدوا ايضا بأن أرواح الموتى تكون مكسوة بالريش ولها وجه بشري(١٧) ، ولعل مبعث هذا الاعتقاد عند تلك الشعوب هو

---

(١٥) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٠٢ ، اللوح السابع ـ العمود الرابع : ١٤ ـ ٤٢ (النسخة الاشورية) ٠

(16) Horace L. Friess & Herbert W: Schneider. Religion in Various Cultures, (New York, 1960), p. 226: fig: 117

(١٧) G: A: Barton, Op: Cit., p: 752

تفسير مقدرة الارواح على التنقل السريع والتطواف سواء في هذا العالم أو في عالم الاموات[١٨] • وسنرى مما سأذكره في احد أقسام هذا الفصل ان سكان العراق القديم لم ينظروا الى الموت على أنه فناء مطلق بل انه بالدرجة الاولى انفصال ما بين الجزئين المكون منهما الانسان أي الجسم والروح ، وعند ايداع الجسم في اللحد تذهب الروح الى وجود أو عالم اخر هو عالم الارواح أو عالم مابعد الموت ، الا ان أرواح الذين لم تدفن اجسادهم أو الذين لم يقرب لارواحهم وفق الشعائر المقررة تكون قلقة غير مستقرة في ذلك العالم وتعود بطريقة ما الى عالم الاحياء لاحداث الاذى بسكانه حيث تصبح كما ذكرت شبحا أو روحا خبيثا (الاطمو) ، وساعود الى توضيح ذلك اكثر في هذا الفصل ، وأما أرواح الذين تلقوا دفنا لائقا فأنها تستقر في العالم الاسفل (عالم الارواح) معتمدة على ما يقدمه لها الاحياء من طعام وشراب ضمن الشعائر الجنائزية[١٩] ولا يتبقى من الاموات على الارض سوى الذكر الطيب واجسادهم المدفونة في باطنها وتوضح هذا المعنى كتابة وردت على احدى احجار (الكدورو) (التي تحدد ملكية الاراضي) بصدد الدعاء بالخير للميت ونقرأ فيها ما يلي :

(في العلى عسى أن يطيب اسمه ، وفي العالم الاسفل عسى ان تشرب روحه الماء النقي)[٢٠] ، والظاهر ان نزول الارواح يتم من

---

(١٨) وويجدر ان نشير بهذا الصدد الى تصور عرب الجاهلية لروح الميت على هيئة طائر اطلقوا عليه اسم الهامة وانه يهم في حالة عدم اخذ الثار من قاتلة وهو ينعق «اسقوني ! اسقوني ! »

(١٩) وسنأتي على تفصيل موضوع الشعائر الجنائزية في الفصل الرابع من البحث •

(20) Miranda Bayliss, "The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia", in Iraq. xxxv, 2(London, 1973) p: 116.

مداخل متعددة تفضي الى العالم الاسفل الذي يمكن لاي حفرة عميقة أن تصل اليه وكذلك يوجد له مدخل رئيسي فيما وراء خط الافق الغربي حيث مغيب الشمس ونزولها اليه(٢١) . كما ان القبر كان بدوره مدخلا من مداخل العالم الاسفل تمر منه روح الميت المدفون فيه(٢٢) وبعد ان تنزل روح الميت من القبر فأنها تعبر نهر العالم الاسفل المسمى بالبابلية (خبر)(*) بمساعدة ملاح العالم الاسفل المعروف بأسم (خمط ــ تبال) الذي يعني حرفيا ــ خذ على عجل او احمل بسرعة ــ(٢٣) ، ونذكر بهذا الصدد ان لدينا اشارات الى ان شياطين العالم الاسفل الـ (كالا) قد حملوا (دموزي) بقارب(٢٤) ولعل هذا يشير الى عملية نقله عبر نهر العالم الاسفل حين اخذه الى هناك كما اشرنا في الفصل السابق ، وهناك افتراض بأن الغاية من وضع النماذج الفضية او القيرية للقوارب في القبور العائدة الى عصر فجر السلالات في العراق القديم كانت لحمل روح الميت عبر نهر (خبر) الا انه أمر غير واضح تماما(٢٥) وتصل الروح بعد اجتيازها لنهر

---

(٢١) سنفصل الحديث عن مداخل العالم الاسفل في الفصل الثالث من البحث .

(22) S: N: Kramer, in Iraq, xxII, p: 65

(٢٣) يراجع الفصل الثالث من البحث بخصوص «خمط ــ تبال» وواجباته ونظرائه في معتقدات الشعوب الاخرى .

(24) SMR., p: 159: No: 47

(٢٥) وسنأتي في الحديث عن هذه القوارب التي عثر على عدد منها في قبور المقبرة الملكية في اور والغايات المحتملة من وضعها في القبور في الفصل الرابع من البحث .

(*) وذكر في بعض النصوص السومرية بهذا الشكل

ID7 LU. RU : GU اى «النهر الذى يعبر الانسان منه»

(خبر) الى البوابة الاولى الخارجية للعالم الاسفل ، ووردت الاشـارة عن ذلك في أحدى النصوص الاشورية التي تذكر : (دعهم يعبـرون نهر العالم الاسفل ولا يعودون ، دعهم يدخلون عبر البوابة الخارجية (للعالم الاسفل) ... ولا يرون (اكثر من ذلك)(٢٦) ، ويبدو ان جزءا من رحلة الارواح من القبر الى العالم الاسفل ، سواء قبل الوصول الى نهر (خبر) أم بعد عبوره ، كان يتم بطريق البر وتستخدم فيه العربات التي تجراها الحيوانات وهذا ما يشير اليه وضع العربـات مع حيواناتها وسياسها في القبور الملكية في (اور) وكذلك الحال في مقبرة (كيش)(٢٧) ، كما ترد الاشارة الى العربات المستـعملة في الانتقال الى العالم الاسفل في نص (موت أور - نمو) في الاسـطر التي تتحدث عن انتقال (أور - نمو) الى العالم الاسفل وترد بعـد هذه الاشارة مباشرة عبارة (طريق العالم الاسفل) الذي يبـدو ان العربات قد سلكته(٢٨) ، وعند الوصول الى البوابة الخارجية للعالـم الاسفل تكون الروح خاضعة لنواميس ذلك العالم والقواعد المتبعة فيه ويقوم كبير البوابين في العالم السفلي المسمى (نيتي) أو (نيـدو) بادخالها عبر بواباته السبع(٢٩) .

والآن يمكنني من خلال المادة التي تقدمها الاساطير والنصـوص الادبية والتعاويذ والرقى ومن الدليل الذي تقدمه الشعائر الخاصـة بالاموات ، أن أوضح ما يخص حالة الارواح بعد الموت في معتقـدات سكان وادي الرافدين القدماء في استعراض شامل بالشكل الاتي :

---

(26) CAD:, 6: hubur: p: 219

(٢٧) وسنتطرق الى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الرابع من البحث .

(28) S: N: Kramer. in Iraq, XXII, p: 60

(٢٩) وسناتي على تفصيل واجبات بوابي العالم الاسفل في الفصل الثالث.

ان أرواح الموتى او اشباحهم تبقى تحمل الملامح الاساسية لشخص صاحبها المتوفي بالرغم من التغيير الذي يحصل لها عند الموت والـذي يتمثل بتزودها بأجنحة من الريش كما ذكرنا سابقا وهذا ما توضحـه ملحمة (كلكامش) في اللوح الثاني عشر منها ، وذلك حين يـرد ذكر نزول (أنكدو) الى العالم الاسفل حيث أنه تمكن من معرفة مـن يحبهم ومن يبغضهم بمجرد رؤيته لاشباحهم(٣٠) ، كما ان هذا الشبـه بين روح الميت وبين هيئة الميت نفسه لم يكن يتأثر بحالة الجسد في حالة المـوت العنيف حيث أن (أور - نمو) ، الـذي يحتمل انـه لاقى حتفه في المعركة التي خاضها على رأس جيشه ضد الكوتيين)(٣١) قـد (سقط في ميدان المعركة مثل اناء محطم) كما يرد في النص الذي يتحدث عن موته مما يدل على جسامة الاذى الذي لحق به ، نزلت روحه الى العالم الاسفل بكامل سلامتها وقدمت الهدايا والقرابين الى آلهة ذلـك العالم(٣٢) ومن ثم ذهب للاستقرار في الموضع المخصص له والذي يبدو ان الملوك والشخصيات المهمة كانت تتمتع بمثله كامتياز خاص استمرارا لامتيازاتها في عالم الاحياء ، وهذا ما سنأتي على تفصيله في بقية هـذا الفصل ، كما ان أرواح الذين يموتون بالعنف كانت تنزل الى العـالم الاسفل(٣٣) ايضا بالرغم من الاذى الذي أصاب أجساد اصحابها ٠

وكما نوهت سابقا تبقى هناك صلة قوية بين روح الميت في العالم الاسفل وبين جسده سواء أكان مدفونا أم غير مدفون ، فبالنسـبة لروح الميت الذي دفن جسده تكون سـكينة هذه الروح واسـتقرارها

---

(٣٠) اللوح الثاني عشر : ٤٢ ـ ٤٥ (الترجمة في ملحق الراسلة) ٠

(31) KS., p: 68

(32) S.N. Kramer, in Iraq, XXII, p.60

(٣٣) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ١٤٤ـ٤٩

في العالم الاسفل معتمدة الى حد ما على بقاء الجسد مستقرا في موضعه وعدم تحريك عظامه من مكانها أو ازاحة التراب عنها ولذلك فان الملك الاشوري (اشور – بانيبال) نبش اضرحة الملوك العيلاميين الموتى واخرج بقايا عظامهم ونقلها معه الى آشور من اجل الانتقام من اولئك الملوك كما جاء في أحد نصوصه :

« لقد نبشت قبور ملوكهم السابقين والمتاخرين الذين لم يخافوا من هيبة اشور وعشتار الهتي الحامية والذين اقلقوا اسلافي من الملوك ، لقد نبشتها وعرضت هياكلهم للشمس واخذت عظامهم الى بلاد اشور ، انني فرضت الازعاج على ارواحهم وقطعت عنهم قرابين الطعام وسكب الماء(٣٤) .

وبذلك فانه يكون قد حرم ارواحهم من الراحة والاستقرار باخراج هياكلهم من القبور اذ ان أرواحهم تضطر نتيجة لذلك الى الخروج من عالم الاموات الى عالم الاحياء كما هي الحال بالنسبة للموتى الذين لم تدفن اجسادهم والذين سناتي على ذكرهم بعد قليل . والاذكر هنا بأن فتح القبور ونبش العظام لم يكن امرا مطلقا في حرمان الارواح من الهدوء والاستقرار ، اذ ان للنية الحسنة والاحترام المبدي لبقايا الهياكل البشرية اثرهما الكبير في عدم التأثير في سكينة الروح وهذا ما يبدو واضحا من اقدام (مردوخ ـ بلادان) باخراج هياكل اسلافه في جنوب بلاد بابل واخذها معه الى الساحل الاخر من الخليج العربي بعد فشل تمرده ضد الملك الاشوري(٣٥) ، ويبدو انه كان يتوجس خيفة من أن يقوم الملك الاشوري (سنحاريب) بالحاق الاذى بتلك الهياكل انتقاما منه(٣٦) .

---

(34) GE., p: 156
(35) CAD:, 8 : kimahu: p: 371
(36) M. Bayliss, in Iraq. xxxv, p, 124

وأما أرواح الذين لم تدفن أجسادهم فبالرغم من أنها تنـــزل الى العالم الاسفل الا انها تبقى قلقة فيـــه(٣٧) وتنتهز كل فرصة تلـــــوح لها لتخرج الى عالم الاحياء بهيئة اشباح تهاجم الاحياء وتلحق الاذى بهم انتقاما منهم لقدرها التعس(٣٨) حيث انها حرمت من الراحة في العالــــم الاسفل بسبب اهمالهم في دفن جسد صاحبها في القبر بعناية ووفـــــق الشعائر الخاصة(٣٩) وهكذا كان الدافع لعودة هذه الارواح الى الارض هو عدم تمكنها من الحصول على الراحة طالما بقي جسد صاحبها غير مدفـــون او غير مقرب له(٤٠) ٠

وهناك العديد من التعاويذ الخاصة بطرد الاشباح تشير الى اشباح الذين بقيت أجسادهم بلا دفن ، ومنها واحدة تذكر : (اذا كنت شـــبحا خرج من الارض ٠٠٠ أو شبح شـــخص مات في البرية او ظـل جسده في الصحراء لا يغطيه التراب أو شخص لم يدفن جسده ٠٠٠(٤١) ، واخـرى تشير الى اشباح : (من ألقي في خندق ٠٠ ، او من لم يغط قبـــره فتمدد جسده بلا غطاء (مثل) ابن الملك الذي رمى جسده في البرية أوفي الخرائب أو وسط السهول)(٤٢) ٠ وكان يوجد صنفان من الكهنـــة المعوذين متخصصين بطرد الارواح الشريرة عن الاحياء وهما (الآشيبو) ashipu و (المشماشو) mashmash (٤٣) ويساعدهما

(٣٧) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ١٥٠ ـ ١

(38) Sabatino Moscati, Ancient Semitic Civilization , (London, 1957), p.59

(39) A.T: Olmstead. History of Assyria, (New York) 1923,P: 625

(40) R.Campbell Thompson, in ERE:, lv,P: 568 :

(41) Ibid., P: 569 :

(42) R.C: Thompoon , Op: Cit:.p:569 ,

(43) M. Bayliss, Op.Cit, p.116

في ذلك الكهنة من صنف الـ (كالو) kalu المختصين بالندب والرثاء[٤٤] •

ونتيجة لكل ذلك اتخذ من بقاء جسد الميت بدون دفن وتعريضه للجوارح والكواسر وسيلة للانتقام من الاعداء لغرض حرمان أرواحهم من الاستقرار في العالم الاسفل وهذا ما نشاهده على مسلة تعود الى (أي ـ أناتم) أمير (لكش) (في حوالي ٢٦٠٠ ق٠م) تصور انتصاره على أهل مدينة (أوما) حيث تظهر جثث القتلى من الاعداء وهي مكدسة على الارض وجنود (أي ـ أناتم) يسيرون فوقها ويبدو انها بقيت عرضة للنسور التي ظهرت على المسلة وهي تطير من ميدان المعركة وتمسك بمناقيرها ومخالبها رؤوس وأيدي القتلى من الاعداء[٤٥] ، ووردت الاشارة الى تكديس جثث القتلى من الاعداء في نص (أنتيمينا) امير (لكش) الذي يصف الحرب مع (اوما) حيث يذكر بأن حاكم (اوما) قد هرب من المعركة فيما : قام انتيمينا « بذبح جيش أوما في مدينتهم وأباد صفوتهم المتكونة من ٦٠ فردا وذلك على ضفة نهر (لوما ـ كرننتا) Lumma - girnunta وترك أجسادهم في السهل (للطيور والوحوش لتلتهمها ومن ثم) كوم هياكلهم خمس كوم في خمسة مواضع منفصلة »[٤٦] ، وقد اضيف الحرمان من الدفن الى بعض العقوبات عند الاشوريين لتشديد قسوتها حيث يرد في أحد القوانين الاشورية : (اذا اجهضت أمرأة حامل نفسها فيجب أن يحاكموها واذا ادانوها توضع على

---

(٤٤) جان بوتيرو ، المصدر السابق ، ص١٥٩ •

(45) James B.pritchard, The Ancient Near East in Pictures, (New Jersey , 1969) . P: 288 f:

(46) KS. , P: 314

الخازوق ولا تدفن . اما اذا ماتت اثناء الاجهاض فيجب أن توضـــع على الخازوق ولا تدفن جثتها)(٤٧) . وقد وردت اشارات متعددة في الادعيـة على احجار الحدود (الكدورو) وعلى المسلات عن الحرمان من الدفـــن مثل : (عسى ان يتهاوى جسده ولا يدفنه أحد) أو (عسى أن لايدفـــن جسده في التراب)(٤٨) ، ويصف الملك الاشوري (أسرحدون) في أحد نصوصه الحالة التي ترك فيها مقاتلي اعدائه بقوله : (لم اسـمح بدفن جثث محاربيهم وانما اعطيتها الى بنات آوى لتأكلها)(٤٩) ، وقــد قــام (اشور ـ بانيبال) بنشـر جثـث البابليين الـذين اشتركوا في التمـرد الذي اثاره أخوه (شمش ـ شم ـ أوكن) Shamash - Shum - Ukin (مثل الاشواك اليابسة (٥٠) في ميدان المعركـة) ، واعطاهــــا للكلاب والخنازير والجوارح لتلتهمهما(٥١) .

وكانت لارواح الموتى صلة ما بعالم الاحياء تمكنها مـن ان تشـعر بما يحدث فيه وتتأثر به وذلك لعدة أيام من موت الشخص كما يبدو من نص (موت أور ـ نمو) ـ الذي سبقت الاشارة اليه ـ فقد ورد في النص أن (أور ـ نمو) كان يسمع بوضوح (عويل بلاد سومر) عليـــه

(47) G.R: Driver & John C.Miles, The Assyrian Laws, (Oxford , 1935) , P. 420f:, VII : 92- 101

(48) GE. p.156

(49) Ibid., 155f :

(٥٠) نشير هنا الى مايرد في العهد القديم : «كل ملوك الامـم باجمعهـم اضطجعوا بالكرامة كل واحد في بيته واما انت فقد طرحت من قبرك كغصن اشنع كلباس القتلي المضروبين بالسيف الهابطين الى حجارة الجب كجثة مدوسة (اشعيا ـ ١٤ : ١٨) .

(51) ARBA., p.359

(بعد انقضاء سبعة أيام وعشرة أيام) على موته ونزوله الى العالم الاسفل كما غمره القلق هناك على أسوار مدينة (أور) وعلى قصره الجديد لانه قتل قبل أن يتم بنائهما ، ويدفعه حزنه على زوجته وابنه الى البكاء بكاءا مريرا في ذلك العالم(٥٢) ٠ كما ان روح الميت تبقى محتفظة بمشاعرها للاشياء التي تحبها أو تكرهها بعد دفن جسده مباشرة وهذا ما يشير اليه احد النصوص العائدة الى احد الملوك الاشوريين(٥٣) ٠ الذي يتحدث عن مراسيم دفن ابيه حيث يذكر بأنه قام بدفن أوسمة ابيه الملكية (التي يحبها) sha irammu معه ، مستعملا صيغة الفعل الحاضر بدلا من صيغة الماضي (التي احبها) sha iramu والاستنتاج المنطقي هنا ان المتوفى لا يفقد احساسه وشعوره مطلقا(٥٤) ، كما ان روح (أنكيدو) بعد موته خرجت لمقابلة (كلكامش) من العالم الاسفل وكانت تحمل مشاعر المودة الى كلكامش كما يبدو من لقائها به(٥٥) ٠

ويبدو من بعض النصوص انه كان محظورا على أرواح الموتى في العالم الاسفل ارتداء الثياب النظيفة أو التطيب بالعطور او حمل السلاح أو العصا وكان يتوجب عليهم أن يكونوا حفاة فلا يحدثوا أي صوت وان يمتنعوا عن ابداء المشاعر تجاه أرواح الموتى الاخرين وهذا ما يظهر من وصية (كلكامش) الى (أنكيدو) قبل نزول الاخير الى العالم

---

(52) S.N: Kramer, in Iraq, xxll, P: 60

(٥٣) ستترد ترجمة هذا النص في الفصل الرابع من البحث ٠

(54) GE., P: 139

(٥٥) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ٨٥ ـ ٨٦ (الترجمة في ملحق الرسالة)

الاسفل ، وبالفعل حين خالف (أنكيدو) هذه القواعد تمكنت الارواح من تمييزه وأخذوا بالصراخ بوجهه كما انهم استنشقوا رائحة العطر الـذي تطيب به فتجمعوا حوله تتملكهم الرغبة بالانتقام منه(٥٦) ، وادى ذلـك كله الى موت (أنكيدو) في العالم الاسفل واستبقائه فيه حيث انفصلت روحه عن جسده الذي ظل طعاما للديدان(٥٧) وبقيت روحه تحوم في العالم الاسفل حتى فتح لها الاله (نركال) ـ الـه الاموات ـ ثغـرة تفضي الى الارض بعد أن طلب الاله (أيا) ذلك منه برجاء من (كلكامش) فخرجت بهيئة شبح لمقابلة (كلكامش)(٥٨) .

أما حالة أرواح الموتى في العالم الاسفل من حيث راحتهم وطعامهم وشرابهم فتختلف من شخص لاخر نتيجة أمرين أولهما مكانة الميـت بين الناس حين كان حيا وثانيهما الشعائر الجنائزية التي يقيمهـا الاحياء من اجل روحه ، وعلى ذلك كان الملوك والحكام يتمتعون بامتيازات خاصة ويحتلون مراكز مهمة في العالم الاسفل بعد موتهم ، مثل (كلكامش) الذي أصبح مرشدا فيه بعد موته وكانت تقدم له الهدايا والقرابين من قبل الموتى بعد نزولهم الى العالم الاسفل(٥٩) ، و (اور ـ نمو) الـذي خصص له موضع معين في العالم الاسفل استقر فيه بعد موته(٦٠) . ومما يلقي ضوءا على التمايز في حالة الموتى في العالم الاسفل ما نجده في

---

(٥٦) اللوح الثاني عشر من ملحمة گلگامش : ١٣ ـ ٤٦
(٥٧) اللوح الثاني عشر من ملحمة گلگامش : ٩٤ ـ ٩٦
(٥٨) اللوح الثاني عشر من ملحمة گلگامش : ٨٢ ـ ٨٤

(59) S.N: Kramer, in Iraq. xxll, P: 60
(60) Ibid., loc. Cit.

وسنأتي على تفصيل ماكان يحدث للملوك بعد موتهم في بقية هـذا الفصـل .

حديث شبح (أنكيدو) الى (كلكامش) بعد خروجه من هناك حيث انه يجيب على اسئلة (كلكامش) بخصوص حالة الموتى فيذكر بأنه رأى الميت الذي لم يخلف الا أبنا واحدا وهو ينطرح عند قاعدة الجدار باكيا والذي له ابنان يستقر في بناء من الاجر يأكل الخبز والذي له ثلاثة أبناء يشرب من قراب ماء العمق والذي له اربعة يكون مبتهج القلب ، أما المتوفى الذي ترك وراءه خمسة أبناء فانه كان يبدو كالكاتب الطيب مبسوط اليد ويسمح له بدخول القصر(٦١) ، ومن هذا يبدو ان درجة راحة روح الميت وتوفر احتياجاتها من الطعام والشراب كانت تزداد بازدياد عدد ابنائه ، ولما كان الورثة المتمثلين بالابناء يقومون بالدور الرئيسي في انجاز الشعائر الجنائزية ـ كما سنوضح في الفصل الرابع من البحث ـ فيمكنني القول ان الوصف السالف الذكر لارواح الموتى يشير الى انهم حصلوا على الراحة بنسب متفاوتة بحسب حجم الشعائر الجنائزية التي أقامها لهم ابناؤهم.ومن الطبيعي أن يزداد مقدار تلك الشعائر بازدياد عدد الابناء ، وبذلك يكون المغزى الرئيسي من هذا الوصف لارواح الموتى في العالم الاسفل التأكيد على اهمية اقامة الشعائرالجنائزية للموتى وتقديم القرابين لهم لتكون أرواحهم في أحوال افضل في العالم الاسفل لتقديم ضمانة للاحياء وبالذات (كلكامش)،بوجود أمل في ان يكون للراحل الى العالم الاسفل بعض الوسائل التي تخفف عنه كآبةذلك العالم وتعاسته .

وكانت أرواح الموتى تحصل في أوقات مختلفة على الطعام والشراب المقدم لها ضمن الشعائر الجنائزية اذ كان اشباع جوع الارواح في العالم الاسفل وارواء ضمأها أحد الاهداف المهمة للقيام بالشعائر

---

(٦١) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ٩٩ ـ ١١٢

(٦٢) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ١٤٨ ـ ٩

الجنائزية التي تقدم فيها قرابين الطعام وتسكب السوائل(٦٣) ، فقد كانت أرواح الموتى وفق العقائد العراقية القديمة بحاجة الى سد احتياجاتها من الطعام والشراب كما هو الحال بالنسبة للالهة الذين كانت تقدم لهم الوجبات المنتظمة التي توضع بهيئة قرابين أمام تماثيلهم(٦٤) . وكان انقطاع القرابين والسوائل عن الارواح يؤدي الى جعلها امام أمرين ، فهي أما ان تبقى معتمدة على الطين والماء العكر(٦٥) غارقة في بؤس العالم الاسفل او انها تخرج الى عالم الاحياء غاضبة منزعجة تأكل من فضلات الشوارع(٦٦) وتتربص بالاحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها وايفائها حقها وذلك بالحاق الاذى بهم(٦٧) أو للانتقام منهم لتسببهم في حرمانها الراحة في العالم الاسفل ، وقد ورد العديد من الاشارات في التعاويذ الى هذه الارواح التي تهاجم البشر بهيئة اشباح فنجد أحداها تذكر مخاطبة الشبح :

« سواء كنت شبح شخص غير مدفون(٦٨) ، أم كنت شبح الذي لم يلق عناية لائقة أم شبح الميت الذي لم نقدم له القرابين الجنائزية أو الذي لم يسكب له الماء ، او

---

(٦٣) وسنوضح هذا الموضوع في الفصل الرابع من البحث .

(64) M.Bayliss, Op: Cit:, P: 116

(٦٥) اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل (الرواية البابلية) : ٨ـ٩

(٦٦) اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش : ١٥٢ ـ ٣

(67) R.C: Thompson, in ERE:, P: 569

(٦٨) وقد سبق الحديث بخصوص عودة ارواح الموتى الذين لم تدفن اجسادهم او نبشت قبورهم لاحداث الاذى بالاحياء (على الصفحات السابقة) .

كنت الشبح الذي لم يذكر اسمه[٦٩] ... »[٧٠] .

وتشير أحدى التعاويذ الاشورية الى عودة ارواح الموتى الى عالم الاحياء للحصول على الطعام والشراب فتذكر :

« ان الاشباح الشريرة تخرج من القبر ، من اجل الحصول على الطعام والماء »[٧١] .

واما عن الاشارات التي جاءت الينا بخصوص نزول الشمس(المجسدة بالاله(اوتو)) الى العالم الاسفل بعد غيابها عن عالم الاحياء ونزول القمر (المجسد بالاله «نانا») اليه في الفترة التي يكون فيها في المحاق ، او كما سمي ب (يوم النوم)[٧٢] بالنسبة للبشر فنشير هنا الى انها لا تثبت لنا ان العالم الاسفل كان يغمر خلال وجود الشمس أو القمر فيه بالنور كما هي الحال على الارض وذلك على ما اعتقد نتيجة للطبيعة الموجودة في العالم الاسفل كما تصورها العراقيون القدماء والتي تختلف عن طبيعة (عالم الاحياء) فالعالم الاسفل كان بشكل تجويف في باطن الارض يملؤه الغبار كما يرد وصفه في النصوص القديمة وهي صورة مشابهة للايام المغبرة التي تمر فيها المناطق الوسطى والجنوبية من العراق حتى اليوم وخاصة في فصل الربيع ويكون الغبار فيها كثيفا يحجب نور الشمس بالرغم من بقائها في كبد السماء بشكل قرص قاتم[٧٣] ، ولذلك فلا أتوقع أن تكون في الاشارة الى نزول الشمس والقمر

---

(٦٩) سنوضح أهمية ذكر الاسم في الطقوس وذلك في الفصل الرابع من البحث .

(70) M. Bayliss, Op.Cit. p.116

(71) CAD., 21 : zaqiqu , P: 59

(٧٢) وقد ادرجنا ترجمة للنص الذى ترد فيه هذه الاشارات في هذا الفصل

(٧٣) وسنفصل هذا الموضوع ضمن وصف العالم الاسفل في الفصل الثالث من البحث .

الى هناك دلالة على فعاليتها في انارته باعتبارهما كوكبين منيرين وانما للرمز فقط الى فعاليتهما فيه كآلهة في حين يستمر العالم الاسفل غارقا بظلمته وغباره (وسنوضح هذا الدور للالهين الشمس والقمر في بقية هذا الفصل) .

ويبدو ان نزول الاله القمر الى العالم الاسفل كان بمثابة مناسبة شهرية(٧٤) تجتمع فيها الارواح حيث يرد في أحدى التعاويذ (اذا أمسكت برجل أيدي شبح أبيه وامه ، ففي اليوم الثالث او التاسع والعشرين حين تحتشد أرواح الموتى ، اصنع قاربا وحمله بمؤونة لهم(٧٥) ، كما أنه كان مناسبة تتم فيها اجتماعات شهرية مشتركة بين الهة السماء والعالم الاسفل حيث يرد في احدى التعاويذ : (في اليوم التاسع والعشرين تكون الرؤية الاخيرة للقمر ، في ذلك اليوم يجتمع الهة السماء والعالم الاسفل ، انه يوم رحمة)(٧٦) .

وكان ينظر الى أرواح الموتى على انها تبقى محتفظة بجزء من النشاط الجسدي(٧٧) كما انها تمتلك قوى خارقة للطبيعة(٧٨) ، وقد كان لاشباح الموتى القدرة على تخويف الاحياء الذين تطاردهم والحاق الاذى بهم كما أشرنا آنفا بوسائل خاصة بها فيرد في أحدى التعاويذ على لسان احد الذين تطاردهم (جموع الموتى ! لماذا تظهرون لي ؟ أنتم

---

(٧٤) وكانت توجد مناسبة سنوية لاجتماع ارواح الموتى في شهر آب (يراجع الفصل الرابع) .

(75) CAD., 4 : etemmu, P: 398

(76) CAD., 2 : bubbulu, p.299

(77) GE:, P: 139

(78) M: Bayliss, Op: Cit:. P: 117

الـذين تسكنون الخرائب ٠٠ انني لـم اذهب الى (كـوثى)(٧٩) مجمـع الاشباح لماذا تلاحقونني ؟ ٠٠)(٨٠) ، ولذلك فقد كان على الاحيـاء أن يهتموا بانجاز المناسك الخاصة بأرواح الموتى وان يعاملوها باحتـرام لتجنب اذاها وللاستفادة من قواها الخارقة ، وكانت هناك أرواح للموتى تختص برعاية الافراد وحمايتهم لاسيما اذا قاموا بتقديسها على أكمـل وجه ، ومن هنا فقد ارتبط الروح الحارس المسمى (شـيدو)(٨١) shedu بأرواح الموتى عند الاكديين(٨٢) ، ولدينا أدلة من العهد الاشوري الحديث والبابلي المتأخر ما تشير الى ممارسة التقديس لارواح الموتى من أعضاء الاسرة الحاكمة ومباركة هذه الارواح للاحياء مقابـل ذلك ، ففي أحد النصوص التي تحتوي على نبوءة لمفسرة الاحـلام (شائلتو) shailtu من العهد الاشوري الحديث ولا نعرف اسم الامير المتكلم فيه(٨٣) ، يرد ما يلي : بارادة الالهين اشـور وشمش أخبرتني الارواح بأنه (أي الامير) سيكون وليا للعهد على بلاد اشور، وان روحها (يقصد بها الملكة المتوفاة) تباركه مثلما أبدى هو التقديس للروح (وتقول) (ستحكم ذريته بلاد اشور)(٨٤) ، وقد قرن هذا التبجيل

---

(٧٩) وهو اسم للمدينة التي كان يعبد فيها الاله نركال «حاكـم العالـم الاسفل » كما انهـا كانت تستعمل ايضـا لذلك العالم (ينظـر بخصوصها الفصل الثالث) ٠

(80) GB:, P: 297

(٨١) وكان الشيدو يصور بهيئة ثور مجنح برأس بشري وتوضع تماثيله في بوابات المعابد او القصور ٠

(82) A:Leo Oppenheim, Ancient Mesopotamia. P: 201

(83) M.Bayliss, Op. Cit: P:124

(84) CAD., 4 : etemmu, P: 397

لارواح الموتى مع عبادة الالهة حيث يرد في احد النصوص : (لقد عظمت الالهة وبجلت أرواح الموتى)(٨٥) ، وكان باستطاعة الشخص الذي يبتلى بالارواح الشريرة ان يتضرع الى أرواح الموتى من عائلته لينقذوه فيـــرد في أحدى التعاويذ :

« يا أرواح عائلتي ، يا أرواح أبي وامي واجدادي واخي واختي وكـل أهلي واقربائي ، طـالما انت مستقرة في العالم الاسفل كنت أقدم اليك القرابين الجنائزية واسكب لــك الماء ، وكنت أبذل العناية لك وابجلك ، ففي الان امام شمش وكلكامش واعرضي قضيتي واحصلي على قرار رأفة بحقي، ليتسلم نمتار وزير العالم الاسفل الروح الشريرة التي في جسدي واعصابي وليحرسها ننجشزيدا منادي العالمالاسفل حراسة قوية وليمنعها (نيدو) رئيس بـوابي العالم الاسفل من العودة ثانية ، خذي هذه الروح الى أرض اللا عـــودة ودعيني ، انا خادمك ، حيا مرفها لاتطهر باسمك في المناسك، سأقدم الماء البارد لشربـك فامنحيني الحيـــاة لاغنـــي بمديحك »(٨٦) .

وهناك تعويذة بابلية توضح كيفية التخلص من شـبح الميت اذا قام بملاحقة احد الاشخاص ويرد فيها :

« اذا ظهر شبح أحد الموتى لشخص واذا عرفـه هذا الشخص او لم يعرفه فلاجل ابعاد هذا الشبح تصنع دمية تشبه ذلك الميت وتوضع فوق فراش المريض وفي اليومالثالث

---

(85) Ibid., Loc: Cit:

(86) H.W: F: Saggs, Everyday Life in Babylonia and Assyria, (Landon . 1967) , P. 188, and : GE:, P: 156f.

تكنس الارض في الظهيرة أمـام شمـش وترش بالمـاء النقي ويقام مذبح صغير توضع فوقه كمية من التمر وتنثر كمية من الطحين ثم تشعل مبخرة فيها عصير شجرة الســرو وتسكب جعة من النوع الجيد ، وبعد ذلك تلعن الدميـة بالتعابير التالية : (شمش ! انك دليل هذا الميت في العالم السفلي وفي العالم العلوي فامنحني (حلا لحالتي) ، انه مرعب قبيح المنظر بغيض ومخيف ليلا ، انني أتوسل واطلب ان تجعله بمكاني ، بحياة شمش ليبعد عني) ، وتكـرر هـذ الصيغة ثلاث مرات ثم تكفن الدمية وتدفن في ظلال شـجرة سدر ذات اشواك...(٨٧) .

ان الارواح التي تكـون عرضـة للقلـق في العالم الاسفل ويتوقع خروجها منه الى عالم الاحياء كانت بالاضافة الى الارواح التي ذكرناها ، تشمل أرواح الذين يموتون بحوادث معينة كأن يكونوا قد سـقطوا من على نخلة أو ماتوا في غرق سفينة(٨٨) وروح الذي مات موتا مبكرا بسبب الوباء أو الذي قضى نحبه بصورة فجائية وهذا هو السبب الذي جعـل الملك الاشوري (سنحاريب) يذكر في أحد نصوصه مبديا فرحته بموت ملك عيلام لانها كانت مفاجئة مصورا أياها على انها عقاب قاس عليـه فيذكر : (بأمر الهي اشور لم يكمل (كدور ـ ناخنتي) ملك عيـلام تسعة أشهر وانما مات فجأة ميتة مبكرة)(٨٩) ، ومن الذين تخـرج

---

(٨٧) جان بوتيرو ، المصدر السابق ، ص١٦٠ـ١

(88) CAD., 4: etemmu, P:398

(89) L.Delaport, Mesopotamia, the Babylonian and Assyrian Civilation , (London, 1970) . P.314

ونشير هنا الى مايرد في العهد القديم عن الشخص الشرير : « فلذلك تفاجئة بليته بغتة ، وفي لحظة ينكسر ولا شفاء له» (الامثال ٦ : ١٥)

أرواحهم من العالم الاسفل عائدة الى الارض من مات بمجاعة او جفاف أو ضربته صاعقة وكذلك المرأة التي ماتت وهي عذراء والشاب الذي مات بعمر الزواج وهو اعزب والمرأة التي ماتت في المخاض او في فترة الحضانة لطفلها(٩٠) والميت الذي قضى نحبه في الغربة ويشار الى روحه بـ(الروح الغريبة) ((etemmu ahu))(٩١) التي تأتي أيضا للدلالة على روح من ليس له أحد يقدم له القرابين الجنائزية(٩٢).

فكرة القيامة وبعث الاموات في حضارة العراق القديم :

لقد سبق وان تحدثت في الفصل الاول من البحث عن موت الالهة وقيامتها في معتقدات سكان وادي الرافدين القدماء وذكرت بأن أهم تلك الالهة هي الالهة (انانا) (عشتار) التي اشتهر موضوع نزولها الى العالم الاسفل وموتها فيه ثم انقاذها منه بتدبير من الاله (أيا) (انكي)(٩٣) وتطرقت كذلك الى عدد من الالهة الاخرى التي اشتهرموضوع موتها وقيامتها في الديانة العراقية القديمة ومنهم (مردوخ) و (دامو) و (ننورتا) و (ستران) ، و (تشباك) و (آبو) و « اشور » و « آنو »(٩٤) ، وقد شرحت المغزى من موتهم وقيامتهم في حينه واتضح لنا ان قيامة تلك الالهة من الموت كانت تحتل ركنا مهما من أركان

---

(90) R.C: Thompson, in ERE:, P: 569

(91) M.Bayliss, Op: Cit :. P: 119

(٩٢) ينظر الفصل الرابع بخصوص «الروح الغريبة» .

(٩٣) يراجع الفصل الاول

(٩٤) يراجع الفصل الاول

الديانة العراقية القديمة هذا فيما يخص الالهة ، اما بالنسبة للبشر مدار موضوعنا في هذا الفصل ، فانه لا يوجد في الواقع اي دليل في النصوص المسمارية يثبت وجود الاعتقاد بقيامتهم وبعثهم من المـوت وليس هناك ما يثبت امكانية عودة روح الميت (الاطمو) الى جسده ، وحين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها الى عالم الاحيـاء فانها تقصد عودتها بهيئة اشباح مستقلة عن الجسد كما أوضحت فـي ما سبق من هذا الفصل ، وبالرغم من انه وردت في النصوص المسمارية القديمة القاب وتعابير متعددة تشير ضمنا الى امكانية اعادة الحياة للموتى ثانية مثل لقب (محيي الاموات) أو (الذي يعيد الموتى الـى الحياة) وهو لقب يتكرر بكثرة في النصوص الادبية وخصوصا التعاويذ والادعية البابلية ، وقد وصفت به بعض الالهة مثل (مردوخ) ، (نبو)، (ننورتا) ، (شمش) و (كولا)(٩٥) الهة الشفاء التي وصفت في بعض النصوص المسمارية بأنها (الام السماوية لمعبد المدينة الرئيسي (فـي ايسن) ، الملكة التي تعيد الحياة للموتى)(٩٦) ، الا أن هذا لا يوجب علينا اخذ تلك الالقاب والنعوت بمعناها الحرفي ، حيث انها تحمـل الشيء الكثير من الاستعارات والمجازات اللغوية والمبالغة في الوصف، ذلك انه ليس بين ايدينا أي أشارة الى الاعتقاد بعودة أحد من الموتى الى الحياة فعلا في كل النصوص المسمارية المترجمة المعروفة ، وينطبـق القول نفسه على ما ورد في أحد النصـوص على لسـان الالـه (ننورتا) يقول فيه : (لقد شفيت جسد الذي أنزل الى العالم الاسفل)(٩٧) ، اذ

---

(95) GE., P: 208

(96) S.Langdon, Sumerian Liturgies and Psalms, (Philadelphia. 1919), P: 306, No: 24

(97) GE., P: 209

ان المراد من هذا القول الاشارة الى تخليص البعض من الموت أي تحقيق شفائه أو انقاذه من المصائب الفادحة ، ومما يؤيد كلامنا هذا ما يرد في كتابات الملوك مثل وصف الملك الفارسي (كورش) لنفسه ، بعد انتصاره على الملك البابلي (نبو نيدس) واستيلائه على مدينة (بابل) (٥٣٩ ق٠م) بأنه : (السيد الذي أعاد بقدرته الموتى الى الحياة وانعم عليهم بالعناية والحماية)(٩٨) ، ويقصد بالموتى البابليين الذين خلصهم من حكم (نبو نيدس) حيث كانوا خلاله موتى ، وفي أحدى الرسائل الموجهة الى الملك (سرجون) الاشوري من احد اتباعه يرد في معرض المبالغة بقدرة الملك ما يلي : (بعد خراب مدينة (برتا) Birta (٩٩) وسقوط الهها ، أصبحت رجلا ميتا ولكني حين رايت الختم الذهبي لسيدي الملك عدت الى الحياة ثانية)(١٠٠) واعيد القول ان مثل هذه الاشارات لا تخرج عن كونها مجازات لغوية كما هو واضح في هذه الرسالة ، واشير هنا كذلك الى تهديد اشتهرت باطلاقه الالهة (عشتار) بأن تقوم باحياء الموتى وتبعثهم الى الحياة ثانية ليفوق عددهم عدد الاحياء(١٠١) ، وهو قول لم يخرج عن حيز التهديد مطلقا ، والواقع ان خير ما يجسد نظرة سكان العراق القديم الى امكانية بعث الموتى هو ما يرد على لسان (كلكامش) حين ينـدب

---

(98) A.Jeremias, The Babylonian Conception of Heaven and Hell, P. 34

(٩٩) يرجح بعض الباحثين كون «برتا» الاسم القديم لمدينة تكريت الحالية وانه كان يعني «الحصن» ٠

(100) GE; p.209

(١٠١) «نزول عشتار الى العالم الاسفل» وجه الرقيم : ١٩ — ٢٠ «ملحمة كلكامش» ، اللوح السادس : ٩٧ ـ ٩٩

صديقه (أنكيدو) فيقول :

« آه ! لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابا

وانا ، ساضطجع مثله فلا أقوم ابد الابدين »(١٠٢) ٠

حيث يبدو واضحا من هذا القول عدم وجود أي اعتقاد ببعث الموتى وقيامتهم في عقائد سكان وادي الرافدين القدماء ٠

فكرة الحساب ودار العقاب والثواب :

لقد كانت لفكرة الحساب في ما بعد الموت أهمية كبرة في عقائد الحياة الاخرى عند العديد من أقوام الشرق الادنى وفي الديانات التي ظهرت في هذه المنطقة حيث كانت هذه الفكرة واضحة بدرجة كبيرة ومهمة في عقائد الحضارة المصرية القديمة(١٠٣) ، كما انها كانت معروفة

---

(١٠٢) طه باقر ـ ملحمة كلكامش (١٩٧١) ، ص١١٥

(١٠٣) وقد ورد العديد من الاشارات عن توقع المصرى القديم للحساب بعد الموت منذ عصر الاهرام حيث نجده يؤكد مرارا وتكرارا برائته من عمل المعاصي والسؤ مثل «لم ارتكب ابدا اى شيء سيء نحو اى شخص» وكان من الجلي ان مثل هذا الفضل الخلقي يعتبر ذا قيمة في نظر الآلهة ويمكن ان يؤثر تاثيرا ماديا على سعادة الميت في الحياة الاخرى ، وكان هناك عقابا منتظرا في الحياة الاخرى لكل من يرتكب الاثم حيث يرد في احد نصوص الاهرام» اما عن كل الناس الذين يرتكبون سوءا ضد هذا (القبر) . الذين يتلفون الكتابة الموجودة فيه فانهم سيقعون تحت طائلة دينونة الاله العظيم عنها ، اله الدينونه ، في المكان الذى تجرى فيه الدينونة «والمقصود بهذا الاله هو الاله» رع «وقد اعتبر الحصول على حياة النعيم بعد الموت في عصر المملكة الوسطى معتمدا على خصائص حياة المتوفى الدنيوية الخلقية وقد اعتبر حتى الفرعون الالهي الذي كان فوق وصاية

في الديانة الزرادشتية(١٠٤) وواضحة في الديانة الاسلامية(١٠٥) ، وقد كان

الحكومة الارضية خاضعا للمطالب الخلقية هـــنه (جيمس هنرى برستد ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، (القاهـرة ١٩٦١) ، ترجمة زكي سوس ، ص ٢٤٣ - ٥٣) بعد ان كان الملك في نصوص الاهرام يعرض كصاعد الى النعيم وهو يحظى بكل مباهجه الخالـدة كابن للاله «رع» : MRAE., p.218 وفي حساب الموتى كان الاله «اوزريس» يقوم بدور القاضي في « ردهة الحقيقـة» يعاونـه اثنان واربعون الها وهم يمثلون اقاليم البلاد كلها حتى يجد الميت نفسـه وقد واجهه قاضي على الاقـل يكون على علم بمكانته المحلية وكانت تقف وراء «اوزريس» في المحاكمة الآلهتين «ايزيس» Isis و «نيفثس» Nepthys والى جانب من الردهة يصطف الالهة التسعة الذين يتكون منهم تاسوع هليو بوليس برئاسة اله الشمس «رع» وفي الوسط يقوم «ميزان رع الذى يزن فيه العدالة» ويقوم على ادارته «انوبيس» ويقف الى الخلف منه الكاتب الالهى «تحوت» وهو يشـرف على عملية الوزن وفي يده القلم ولوح الكتابة ، وتقبع خلفه ماردة مروعة يطلق عليها «الملتهمة» ولها رأس تمساح ومقدمة أسد ومؤخرة فرس النهر وهي تنتظر التهام الروح المدانه ، وحين يدخل الميت الى الردهة يوضع قلبه في جانب من الميزان بينما توضع في الجانب الاخر ريشة رمز الحق أو الاستقامة ، ثم يعلن «تحوت» الحكم على الميت : (برستد المصدر السابق ، ص٤٠٤)

وقد كان الميت يطمئن بان «خطيئتك ستزال عنك وذنبك سـيمحى بالميزان يوم الحساب ، ويسمح لك بان تدخل زمرة الراكبين مركب (الشمس) » ، وبان «لا اله يناقشك باية قضية ، ولا الهة تناقشك باية قضية في يـوم الحساب» :

Th.Jacobsen, in IAAM:, P: 108

(١٠٤) كان المعتقد في الديانة الزرا دشتيه المرتكزة على مذهب «زرادشت» (القرن السادس ق٠م) بان الصراع قائم بين مجموعة من قـوى الخير ومجموعة من قوى الشر ، وقد دعت هذه الديانة كل انسـان واهابت به ان يختار احد الطريقين ، وسواء اتخـذ الانسان هـــذا

السبيل ام ذلك فانه سيلاقي جزاءه ويحاسب على ما اتـاه ، وكانت هذه العقيدة أقدم ديانة ظهرت في اسيا تقول بالحساب بعد البعث :
(جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة «تاريخ الشرق القديم ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ترجمة احمد فخرى ، ص٢٤٨ ـ ٩) وقـد كان المعتقد في الزرادشتية ان الحساب العام يجـري حين يتدفق المعدن المصهور وحين يصبح الشر مطرودا :
E:O:James, Comparative Religion. P: 294

وفي ذلك الحساب تدخل الروح البرزخ الذى يصنعه الزمن والمفتوح لكلا الصالح والطالح ثم تاتي «الشابة الجميلة المتناسقة ، القوية ، الحسنة التركيب تصحبها الكلاب والتي تستطيع التمييز ··· ذات الاطفال العديدين ···· سعيدة ··· ذات فهم رفيـع تجعـل روح الصالح تعبر الجسر وتضع تلك الروح في حضور الآلهة السماوية نفسها :
(جوزيف كاير ، حكمة الاديان الحيـة ، (بيروت ، ١٩٦٤) ، ترجمة حسين الكيلاني ، ص ٢٦٧ : ٥٣) ·

(١٠٥) تقدم الديانة الاسلامية وصفا ماملا ليوم الحساب وطريقته ، حيث يبعث الموتى الى الحياة ويقدمون للحساب على كل اعمالهم في الحياة الاولى وان الله هو الذى يقوم بمقاضاة البشر ويتقدم الانبياء امامـه للشهادة على اعمال البشر بينما يقوم الملائكـة باحصاء تلك الاعمال وتحاسب كل امة وفق شريعتها حيث يرد في القرآن الكريم : «وترى كل امة جاثية ، كل امة تدعى الى كتابها ·· فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » ويخرج الناس من الحساب وهم اصناف « السابقون والمقربون واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة: «فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ، واما ان كان مـن المكذبين الضالين ، فنزل من حميم وتصلية من جحيم» ويمرون جميعا على صراط من فوق جهنم يسرعون باجتيازه بمقدار قربهم من اللـه وكثرة حسناتهم فينجو منها المتقون ويسقط فيها الظالمون : «وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقـوا ونذر الظالمين فيها جثيا » ·

ويثاب على حسناته حيث انه يحاسب بعد الموت عن كل ما فعله اثناء حياته على الارض ثم يتقرر مصير الروح على ضوء ما ينتهي اليه الحساب الذي يثبت ما اذا كانت صالحة أم آثمة ٠

أما فكرة الحساب والعقاب والثواب في عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة وعلاقتها بحالة الارواح في عالم الاموات فلم يكن لها ذلك الوضوح الذي تميزت به في عقائد الاقوام الاخرى التي عددنا أشهرها ، وانما كان مصير الروح والمعاملة التي تتلقاها في العالم الاسفل لا يتقرران بموجب حساب واضح يجري لها كما سأبين ذلك فيما بعد ، وكما أوضحت فيما سبق من هذا الفصل ان الشعائر الجنائزية التي تقام لارواح الموتى من قبل معارفهم الاحياء كانت العامل الرئسي المؤثر في حالة تلك الارواح(١٠٦) دون الاشارة الى علاقة اعمال الميت في حياته بالمعاملة التي تتلقاها روحه بعد الموت وهذا ما يثير التفكير في مسألتين هما :

أولا : معرفة ما اذا كانت هناك عوامل اخرى تؤثر في تقرير مصير الروح وحالتها في العالم الاسفل والمركز الذي تحتله فيه ، اضافة الى الشعائر الجنائزية ٠ وكذلك معرفة المآل الذي تنتهي اليه خطايا الميت وفضائله وما اذا كانت تمحى بموت الشخص المسؤول عنها ٠

ثانيا : توضيح الاثر الذي تركه الاعتقاد بالطريقة التي يعاقب فيها الشخص أو يثاب عند سكان وادي الرافدين القدماء على تصرفاتهم وسلوكهم في الحياة وفي تبلور القيم والحوافز في حياة المجتمع العراقي القديم ٠

---

(١٠٦) وسنأتي على زيادة الشرح عن هذا الموضوع في الفصل الرابع من البحث ٠

فبالنسبة لمعرفة العوامل التي تؤثر في تقرير مصير الروح في العالم الاسفل من الممكن ان نستخلص من الاشارات الواردة في النصوص المسمارية التي تتحدث عن موت الملوك والشخصيات المهمة ان المركز الذي كان الميت يحتله في حياته في المجتمع يمثل عاملا مهما في تقرير مصير روحه في العالم الاسفل دون ان تتضمن تلك النصوص أي اشارة عن حساب يجري لاي من اولئك الملوك الذين نعرف منهم :

١) (ايتانا) : وهو الملك الثالث عشر من اول سلالة حكمت في (كيش) بعد الطوفان وفق ما ورد في اثبات الملوك السومرية[١٠٧]، وقد وردت الاشارة الى وجوده في العالم الاسفل في ملحمة كلكامش حيث رآه (انكيدو) في رؤياه عن ذلك العالم واخبر (كلكامش) بذلك[١٠٨] ، ويبدو ان (ايتانا) قد اصبح يتمتع بعد موته بمكانة تتيح له أن يتشفع للموتى ويساعدهم في العالم الاسفل كما يتضح من خاتمة مرثية (لودنجرا) التي أدرجنا ترجمتها في بقية هذا الفصل .

٢) (كلكامش)[١٠٩]، وقد اصبح بعد موته مرشدا وشفيعا للموتى في العالم الاسفل وترفع اليه الابتهالات اسوة بالالهة وتقدم له الهدايا من قبل الموتى وكان يقوم بارشاد الملوك الموتى الى أماكن اقامتهم في

---

(107) A. Leo Oppenheim, in ANET; p.265

وهناك اسطورة بابلية تتحدث عن صعود «ايتانا» الى السماء على ظهر نسر لجلب نبات خاص لازالة العقم عن زوجته :

Ibid: p.114ff.

(١٠٨) ملحمة كلكامش ، اللوح السابع : ٣٩

(١٠٩) ترد الاشارة في اثبات الملوك السومرية الى «كلكامش» باعتباره الملك الخامس من سلالة الوركاء الاولى :

A.L. Oppenheim, Op.Cit; p.265

العالم الاسفل حين وصولهم اليه ويشرح لهم مراسيم ذلك العالم وقواعده كما يتضح من نص (موت أور ـ نمو) الذي سبقت الاشارة اليه في الفصل الاول من البحث وسنتحدث عنه في الفقرة التالية وقد ذكر في نص متأخر بأنه يقوم في العالم الاسفل بدور مشابه لـ (مينوس) في العقائد الاغريقية القديمة من العالم الاسفل حيث وصف بأنه حاكم العالم الاسفل وهذا النص عبارة عن تعويذة تبتدىء بما يلي :

(كلكامش) ، الملك السامي ، حاكم الانوناكي)(١١٠) ٠

٣) (أور ـ نمو) : مؤسس سلالة اور الثالثة وقد جاءتنا معلومات مهمة عن موته ونزوله الى العالم الاسفل في النص المعروف بعنوان (موت أور ـ نمو)(١١١) حيث انه بعد ان قدم الهدايا الى آلهة العالم الاسفل (السبعة) وذبح الثيران والاغنام للموتى المهمين وقدم الاسلحة والحقائب الجلدية والآنية والثياب والحلي والمجوهرات الى الهة العالم الاسفل ومن بينهم (كلكامش) كل في قصره الذي يقيم فيه ثم وصل اخيرا الى الموضع الذي خصص له في الارجح من قبل كهنة العالم الاسفل حيث أحاط به هناك مجموعة من الموتى من المحتمل انهم أصبحوا حاشية له ومن ثم شرح له (كلكامش) (أخوه الحبيب) نواميس وانظمة ذلك العالم ٠

واضافة الى هؤلاء الملوك هناك اشارات بخصوص الاموات من الكهنة الكبار الذين كانوا يحتلون مراكز خاصة في العالم الاسفل بعد موتهم وتقدم لهم الهدايا والقرابين أيضا من قبل الموتى كما يبدو من النص المعروف باسم (موت كلكامش) حيث ترد الاشارة الى ان

---

(110) N.K. Sandars, The Epic of Gilgamesh, (London, 1972), p.21

(111) S.N. Kramer, in Iraq, XXII, p.60

(كلكامش) قدم بعد موته القرابين الى الكهنة الموتى من صنف الـ (سانجو) و (ماخو)(١١٢) وال (باشيشو) والكاهنة من صنف الـ (انتو)(١١٣) ٠

من الواضح ان هذا المصير المتميز الذي ينتظر الملوك وكبار الكهنة لم يكن يتقرر في حساب امام الهة العالم الاسفل كما سبق وذكرت آنفا ، حيث لم ترد أي اشارة عن مثل هذا الحساب في النصوص التي ذكرتها ، كما ان الملاحظ في حالتهم الجديدة في العالم الاسفل وتميزها عن حالة أرواح سائر الموتى انها كانت مشابهة لحالتهم في عالم الاحياء وعلاقتهم بعامة الناس وهذا ما يتيح لي القول بأنهم وضعوا في هذه الحالة في العالم الاسفل للاستفادة من ممارستهم للسلطات على الناس في حياتهم وذلك للمحافظة على تطبيق الانظمة والنواميس في العالم الاسفل حيث انهم مثلما نابوا عن الالهة في حكم البشر ، ينوبون عن الهة العالم السفلي في السيطرة على الارواح وحفظ النظام في ذلك العالم بغض النظر عما اقترفوه في حياتهم ، وهذا ما يدفعني للافتراض بأن الغاية من وجود العالم الاسفل والعدد الكبير من الهته واتباعها فيه ليست ليكون دارا للعقاب والثواب وانما كان مجرد محل لاقامة أرواح الموتى فيه(١١٤) بالشكل الذي وصفته فيما سبق من هذا الفصل٠

---

(١١٢) وقد كان كاهن ال «ماخو» يؤدي دورا مهما في الشعائر الجنائزية التي يقيمها الاحياء لارواح الموتى كما سنوضح في الفصل الرابع من البحث ٠

(113) S.N. Kramer, in ANET : p.51 : 23-6

(١٤) وهذا مايشابه عقيدة العبرانيين عن الحياة الاخرى حيث لم يكن في الديانة العبرانية اعتقاد بوجود دار عقاب وثواب بعد الموت وكان تصورهم للهاوية (عالم الارواح) باعتبارها مقرا ابديا لارواح الموتى مشابها لمعتقد العراقيين القدماء ٠

وقد ذهب الاستاذ أ٠هايدل(١١٥) الى ان الاشارة الواردة في اسطورة (نزول انانا (عشتار) الى العالم الاسفل) (الروايةالسومرية) عن حكم الموت الذي أصدره (الانوناكي) على الالهة (انانا) في حضرة الالهة (ايرش ـ كيكال)(١١٦) بأنه كان اشارة واضحة الى الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم ، كما ان بعض الباحثين(١١٧) افترضوا بأن (الانوناكي) يقومون بحساب الاعمال الحسنة والشريرة للميت بطريقة مشابهة للحساب الموجود في العقائد المصرية القديمة ، الا اننا في الواقع يجب أن لا ننسى بأنه لا يمكن اخذ ما حدث للالهة (انانا) على انه نموذج لما يحدث للبشر بعد موتهم حيث ان الحكم الذي صدر على (انانا) فيالعالم الاسفل لم يكن نتيجة لحساب أجرى لها بعد الموت على ما اقترفته ذلك انها لم تكن ضمن الموتى بل تعرضت للموت عقابا لها على دخولها الى العالم الاسغل ومنافستها لالهته (ايرش ـ كيجال) ولذلك فليس بوسعنا ادخال الحكم الذي صدر على (أنانا) في العالم الاسفل في موضوع الحساب ٠

كما ان الاستاذ كريمر افترض وجود حساب للاموات في العالم الاسفل(١١٨) استنادا على اشارة وردت في خاتمة مرثية سومرية من شخص يدعى (لودنكرا) يرثي فيها اباه المدعو (ننا) (Nanna) اذ يرد فيها ما يشير الى نزول الالهين (شمش) (أوتو) و (ننا)

---

(115) GE; p.191

(١١٦) وقد سبق ان شرحنا موضوع موت الآلهة «انانا» في الفصل الاول ٠

(117) Sir E.A. Wallis Budge, Babylonian Life and History, p.115

(118) in Iraq, XXII, p.63

(سين) (الالهين الشمس والقمر) الى العالم الاسفل بطريقة توحي بقيامهما بتقرير مصير الموتى فيه ونظرا لاهمية هذه الخاتمة فيما يتعلق بموضوع الحساب فقد آثرت ادراج ترجمة كاملة لها ومناقشتها بتفصيل على أن أنقل ترجمة المرثية كاملة في الفصل الرابع من البحث ، وفيمايلي خاتمة المرثية :

٨٧ ـ « يا (ننا) ، عسى أن تسر روحك ويستقر قلبك

عسى الاله (أوتو) ، سيد العالم السفلي العظيم ،

بعد ان ينور الاماكن المظلمة ، ان يحكم قضيتك (بعطف)

٩٠ ـ عسى الاله (ننا) أن يقرر مصيرك (برحمته) في يوم النوم

عسى (نركال) ، الذي هو (أنليل) العالم الاسفل ...

عسى الموكلون بالطعام أن ينادوا باسمك ...

...

عسى السقاة أن يرووا ضمأك بالماء المنعش

٩٥ ـ ...

عسى (كلكامش) ان ... قلبك بالقوة

عسى (نيدو) و (ايتانا) ان يكونا شفيعيك

عسى آلهة العالم الاسفل أن يرفعوا الدعوات لك

عسى ان يقول الهك (الشخصي) كفى ، عسى ان يقـــرر مصيرك (برحمته) .

١٠٠ـ عسى اله مدينتك ...

عساه أن يمحي عهودك وديونك

عساه أن يغفر اثم العائلة من الحساب

١٠٥ــ ...

عسى الارواح الصالحة ان يحموك

عسى الاطفال الذين أنجبتهم ان يحظوا بالقيادة

عسى كل بناتك أن يتزوجن

عساه أن يتلف الشر المخطط ضدك ...

عسى أن يكون الذين تركتهم وراءك سعداء ...

عسى أن تمكث زوجتك براحة ويتكاثر أقاربك

١١٠ ــ عسى ان يحظوا بالثروة والنعم يوما بعد يوم

عسى أن لا تنقطع الجعة والشراب وكل الاشياء الطيبة عنك

١١٢ ــ عسى أن يضم دعاء عائلتك الى دعاء الهك الشخصي »(١١٩) .

ان الاشارة الواردة في الاسطر (٨٨ ــ ٩٠) من هذه القطعة والتي استند اليها الاستاذ كريمر في افتراضه بوجود حساب في العالم الاسفل يقوم به الالهين (أوتو) و (ننا) لا تعني على الارجح اكثر من الرغبة في ان يشمل عطف هذين الالهين روح الميت ولاسيما انهما كانا ينزلان الى العالم الاسفل بين حين واخر ولذلك فقد تطلع سكان وادي الرافدين الى رضاهما على روح الميت أسوة بآلهة العالم الاسفل الاخرى التي تقدم لها الهدايا والقرابين لتشمل بعطفها أرواح الموتى وكما سنوضح في الفصل الرابع من البحث فقد كان رضا أي اله على روح الميت هدفا مهما من الاهداف التي تقام من اجل تحقيقها الشعائر الجنائزية فقد كان رضا الالهين (أوتو) و (ننا) وسائر الالهة مطمحا ساميا يصبو اليه العراقيون القدماء ليساعدهم في حل مشاكلهم

---

(119) Ks; p.214

ورعايتهم ، وهذا ما يتضح من احدى التعاويذ المرفوعة الى الالـــــه (جيرا) اله النار والتي يرد فيها :

« (جيرا) المنور ابن (آنو) البطل ، انت الشجاع بين
اخوتك ، انت الذي تحكم في القضايا مثـل الالـه (ســن)
و (شمش) ، احكم في قضيتي ، واجعل القرار يشملني »(١٢٠) ٠

فقد كان نزول أي من تلك الالهة الى العالم الاسفل فرصة سانحة المتضرع اليه ليشمل بعطفه أرواح الموتى في العالم الاسفل كما هــو الحال مع الاحياء على الارض وهو ما يبدو واضحا من أحدى الابتهـــالات المرفوعة الى الاله (شمش) حيث يرد :

« انك في العالم الاسفل تتفقد (الانوناكي) مستشاري
الـ (kusu) وفي العلى توجه كل شؤون البشر ٠
انك ترى الذين في العالم الاســـفل وتحفظ الذيـــن على
الارض »(١٢١) ٠

أما دور الاله (شمش) في الحاق العقاب بالمسيء وثواب المحسن بوصفه يجسد العدالة فقد كان يتم في عالم الاحياء حيث يرد في نفـس الابتهـــال :

« انك تحاسب المجرمين والعصاة
تطرد الاثم الى العالم الاسفل
وترفع المنكوب من نهر (خبر) »(١٢٢) ٠

كما يوجد في هذا الابتهال ما يشير بوضوح الى العقوبات التـــي

---

(120) GB; p.293f.
(121) BWL; p.127:31-3
(122) Lbid; p.129:58-62

يلحقها الاله (شمش) بالاشرار اثناء حياتهم وليس بعد موتهم حيث يرد :

« تنهال ضربات سلاحك (على الشرير) ، ولا يمكن
لاحد انقاذه
فابوه لا يهب لنجدته
وحين يحكم عليه القاضي فان اخوته لا ينصرونه
ويفاجأ بقيد نحاسي يقيده ،
انك تحطم مخالب الوغد الماكر
... وتقوض أسسه
انك تلقي بالقاضي الاعوج في غياهب السجون
والذي قبل الرشوة واضل العدالة توقع به العقوبة
والذي لم يقبل الرشوة فارضاك، تطيل عمره »(١٢٣) .

وهنا لابد ان أكرر الاشارة الى ان الموت نفسه في غير اجله كان يعتبر اقسى عقاب يلحق بالاثم على خطيئته، أي ان العقاب لا يكون الا في هذه الحياة بينما يكون الثواب على الاعمال الحسنة في هذه الحياة أيضا بأطالة العمر والتمتع بالحياة(١٢٤) كما تشير اليه هذه الاسطر

---

(123) BWL; p.131:91-100

(١٢٤) وقد سبق أن تطرقنا الى الحديث عن هذا الموضوع في الفصل الاول على الصفحات والواقع ان هذه النظرة الى الموت على انه عقاب وجدت ايضا عند العبرانيين حيث يرد في العهد القديم عدة اشارات عن ذلك : « انتهرت الامم ، اهلكت الشرير ، محوت اسمهم الى الدهر والابد » (المزامير ـ ٩:٥) . و « الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق معاقبون » (المزامير ـ ٣٤:٢١) . و « أما الاشرار فينقرضون من الارض ، والغادرون يستأصلون منها»

من الابتهال . وعلى العموم فانه من الطبيعي ان نجد شخصا مثل (لو - دنكرا) يتمنى لابيه الميت العطف وحسن المعاملة من قبل الالهة الموجودين في العالم الاسفل بنفس اللهجة التي اعتاد بها الاحياء رجاء عطف الالهة ورعايتهم وهذا بالتالي لا يشير الى ان نزول الالهين (أوتو) و (ننا) الى العالم الاسفل يقترن بحساب خاص يجري للاموات فيه ، اذ كانت القطعة موضوع البحث مجرد رثاء للميت يحمل عواطف اسرته وتمنياتهم الهدوء والسكينة لروحه بنيل رضا الالهة في العالم الاسفل ، أما الاشارة الواردة في الاسطر (٩١ - ٩٦) فهي تذكرنا بما ورد في (ملحمة كلكامش) عن قول (أنكيدو) لـ (كلكامش) بأنه رأى في منامه نواب الالهين (انو) و (أنليل) يوزعون اللحم والماء كخدم في العالم الاسفل(١٢٥) ومن المحتمل أن يكون هؤلاء النواب هم الملوك والحكام الذين كانوا يمثلون الالهة وينوبون عنهم في حكم البشر على الارض ، وتشير الاسطر (٩٨ - ٩٩) من المرثية السابقة الى اهتمام سكان وادي الرافدين القدماء بكسب رضا كل آلهة العالمين السفلي والعلوي على موتاهم حيث ان الميت يحتاج كما ذكرت آنفا الى رضا أي اله ليخفف عنه وطأة كآبة العالم الاسفل ، أما باقي خاتمة الرثاء

(الامثال - ٢:٢٢) .

وتتكرر الاشارات ايضا في العهد القديم الى ان العمر المديد ثواب على الفضيلة مثل : « لان الرب يحب الحق ولا يتخلى عن اتقيائه . إلى الابد يحفظون ، أما نسل الاشرار فينقطع » (المزامير - ٢٨:٣٧) و « لاينفع المال في يوم الغضب ، أما البر فينجي من الموت » (الامثال - ١١-٤) و « مخافة الرب ينبوع حياة لاجتناب اشراك الموت » (الامثال - ٢٧:١٤) و « تعليم الحكيم ينبوع حياة ، لتجنب اشراك الموت » (الامثال - ١٤:١٣) .

(125) E.A. Speiser, in ANET ; p.87 ; VII : 41-4

فهي تخص عائلة الميت التي تتحمل هي وليس الميت ما أقترفه من ذنوب في حياته وهذا ما نقف عليه في أحدى التعاويذ التي تذكر :

« عقوبة أبي وجدي ، عقوبة أمي وجدي وكل عائلتي
من اخوة واخوات ، عسى أن لا تأتي علي ولتذهب
الى أي مكان آخر »(١٢٦) ٠

فالميت كما يتضح هنا لا يحمل وزر خطاياه معه الى العالم الاسفل وانما تبقى يتحملها ورثته وافراد عائلته الاحياء ولم يكن وجوده هناك يتأثر بما اقترفه وانما بحسب مكانته في عالم الاحياء وبما تقدمه له عائلته وورثته من قرابين وما تقيمه لروحه من شعائر جنائزية كما اسلفت الاشارة وكما سنذكره في الفصل الرابع من البحث ٠

الخطيئة وعواقبها :

واذ نذهب الى انتفاء وجود حساب للموتى في عالم الاموات وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم فلابد لنا من ان نوضح الكيفية التي كان العراقيون القدماء يتوقعون فيها ان يتحمل المرء عواقب أعماله سيئها وخيرها وهذا ما يتطلب منا التعرف على مفهوم الخطيئة والحسنة ذاتهما في حضارة وادي الرافدين القديمة ، فالخطيئة عند العراقيين القدماء كانت على نوعين ، دينية تخص المراسيم والشعائر الدينية ، ومدنية تدخل ضمن النطاق السياسي والاخلاقي ، وكانت الخطيئة الدينية اكثر خطورة واوسع انتشارا من الخطيئة السياسية كما يتضح من النصوص المسمارية القديمة(١٢٧) ، وقد كان يطلق على الخطيئة الدينية في السومرية المصطلح (nìg.gìg) ويرادفه

---

(126) S.H. Langdon, in ERE; XI, p.532

(127) S.H. Langdon, in ERE; p.531



بالاكـــــدية (ikkibu) التـــي تعني (كبـــوة)، و (anzallu) (١٢٨) بمعنى (اثم) (١٢٩) كما استعمل المصطلح السومري (SE.BI.DA) للدلالة ايضا على الخطيئة الدينية التـــــي تثير غضب الالهة وتوصم الضمير (١٣٠) ويرادفه بالاكدية الكلمـــات (خطو) (khatu) ، (خطـــو) (khitu) و (خطيتـــو) (khititu) من مادة (خطيئة) العربية وترادفه ايضـــا الكلمتان الاكديتان (أيجو) (egu) بمعنى (ذنب) ، (عقـــوق) و (شرتو) (shertu) بمعنى (الشر) وهنا نشير الى ان هذه الكلمات تأتي للدلالة على الخطيئة وعلى عقوبتها ايضا (١٣١) . اما الخطيئة السياسية أو الاخلاقية فقد اطلق عليها السومريون المصطلح (NAM.TAG) الذي يعني (المعصية) المرتكبة ضد قوانين المدينة ، ويرادف هـــذا المصطلح بالاكدية (انو) (annu) و (ارنو) (arnu) التي يمكن ترجمتها بمعنى (الاساءة وهي تعنـــي العقوبـــة والقصاص أيضا (١٣٢) ، ومن الكمات الاكدية الاخرى التي تطلق على الخطيئـــــة السياسية نذكر (سلاتو) (sillatu) بمعنى (بذاءة) و(جلاتو) (gillatu) أو (خبلاتو) (khablatu) التي تعنـــي

---

(١٢٨) وقد آثرت هنا في ترجمة الكلمات الاكدية الى العربية استعمال الالفاظ القريبة من الكلمات الاكدية قدر الامكان .

(129) CAD; Vol. I, 2; p.153
(130) S.H. Langdon, Op. Cit; p.532
(131) Ibid; Loc. Cit.
(132) CAD; I, 2; p.294

(نقض المعاهدة) و (لموتو) (Iimuttu) أي (الشر)(١٣٣) .

وكان سكان بلاد وادي الرافدين القدماء يعتقدون ان الخطيئة قديمة وجدت مع وجود الانسان نفسه وانه معرض دائما لارتكابها كما يتضح من أحد النصوص السومرية ، اذ ترد الاشارة التالية :

« انهم يقولون - أي الحكماء - كلمة حق صادقة :

ما ولد لام طفل بلا خطيئة قط ،

... وما وجد طفل بلا خطيئة منذ القدم »(١٣٤) .

وكان الانسان يرتكب الخطيئة بوعي أو قصد او بدون وعي منه حيث يرد في أحدى التعاويذ السومرية مايلي :

« أيها الاله ، ان أخطائي جسيمة واساءاتي كبيرة

ان البشر خرس لا يعرفون شيئا

والانسان مهما كان مركزه ، ماذا يعرف ؟

سواء أتى اثما أم خيرا ، فهو لا يعرف شيئا »(١٣٥) .

ان ارتكاب اي من تلك الخطايا والذنوب ينجم عنه اضرار جسيمة سواء على المدينة التي يقترف أهلها الذنوب أم على الشخص المخطيء ، فقد كانت الالهة تتخلى عن المدينة المذنبة بحقهم ويتخلى عنها الهها الحامي انرئيس ايضا فتكون بذلك نهبا للكوارث والويلات والاضطرابات المخربة وتسليط الاعداء عليها(١٣٦) حتى يعود الالهة راضين عن

---

(133) S.H. Langdon, Op. Cit., p.532

(134) KS., p.128

(135) S.H. Langdon, Op. Cit., p.513

(١٣٦) راجع قصة تدمير مدينة « اور » السومرية ورثاءها وكذلك لعنة مدينة أكد (اكادة) . عن رثاء تدمير اور واكد :
S.N. Kramer, in ANET., p.455ff. ; p.611ff.

المدينة بعد ان يتم استرضاؤهم باقامة الشعائر وتقديم القرابين واداء مراسيم التطهير المتقنة وتلاوة الابتهالات الملائمة من قبل الملك على الغالب إذ كان يلقيها بصفته الرسمية وكان يعبر فيها بطريقة مؤثرة عن قلق الناس وشكواهم(١٣٧) ، وكانت اية شخصية مهمة من العائلة الحاكمة مؤهلة للقيام بذلك كما يتضح من شاهد قبر (أدد - كبي) - أم الملك البابلي (نبونيدوس)(١٣٨) والتي قامت باسترضاء الاله (سين) حين غضب على مدينة (حران) وتركها صاعدا الى السماء ولم يعد اليها راضيا الا بعد أن قامت (أدد - كبي) باداء الشعائر اللازمة لذلك. وقد كانت التراتيم الدينية تصاغ على نسق تلك الابتهالات الملكية وكذلك الادعية والاعترافات بالذنوب وكانت الصيغة نفسها تستعمل من قبل الافراد أيضا ، الا ان ما يمكن ذكره هنا هو ان ما كان يرد في تلك الابتهالات والادعية سواء كانت عامة أم فردية ، لم يكن تعبيرا حقيقيا عما هو واقع فعلا من المعاصي والذنوب وانما كان يذكر لمجرد استدرار عطف الالهة(١٣٩) بالافاضة في الاعتراف بالذنوب ولوم النفس. وقد كان سكان العراق القديم يتوجهون الى الالهة عند حدوث أي اعتداء من مدينة على أخرى لتوقع عقوبتها بالمدينة المعتدية وبالحاكم المسؤول عنها . ونذكر مثالا على هذا ما كتبه (أنتمينا) أمير (لكش) في نصه الذي يتحدث فيه عن الحرب مع مدينة (أوما) (وقد سبقت الاشارة الى النص على الصفحة ١١٨) ، حيث يذكر في نهاية النص ما يلي :

---

(137) CR., p.210

(١٣٨) وقد ادرجت الترجمة الشاملة لهذا الشاهد في الفصل الرابع من البحث .

(139) CR., p.211

« ان اي شخص من أهل (أما) (في أي وقت بالمستقبل) يعبر خندق حدود الاله (ننكرسو) وخندق حدود الالهة (نانشه) لكي يأخذ لنفسه الحقول والمزارع بالقوة ـ سواء كان من أوما أم اجنبيا ـ عسى الاله (انليل) ان يحطمه وعسى الاله (ننكرسو) ، بعد ان ينشر شبكته العظيمة عليه ، أن ينزل عليه يده السامية وقدمه السامية ، وعسى أهل مدينته ان يثوروا عليه ويسقطوه في وسط مدينته »(١٤٠) .

وكان يوجه الدعاء أيضا الى آلهة المعتدى الحامية لتتخلى عنه كما يتضح من أحد نصوص (أوروكاكينا) أمير (لكش) والذي يتحدث فيه عن الصراع بين (لكش) و (أوما) وحاكمها (لوكال زاكيزي)، حيث يذكر :

« لان أهل (أوما) قد حطموا آجر (لكش) وارتكبوا المعصية بحق الاله (ننكرسو) ، فانه (أي ننكرسو) سيقطع الايدي التي ارتفعت ضده ، انها ليست معصية (أورو كاكينا) ، ملك (جرسو) . عسى الالهة (نيدابا) الهة (لوكال ـ زاكيزي) أمير (أوما) أن تجعله (أي لوكال ـ زاكيزي) يحمل وزر كل تلك المعاصي »(١٤١) .

---

(140) KS., p.315

ان العاقبة الاولى التي تحل بالشخص على خطيئته هي تخلي آلهته عنه ووقوعه نتيجة لذلك فريسة للمصائب والكوارث والامراض وتلاشي السكينة والهناء ويتضح هذا من احد النصوص الاشورية الذي كان على ما يبدو خاصا بشعائر التكفير عن الذنوب اذ يرد فيه :

« من هو الذي لم يرتكب خطيئة ؟

ان البشر مهما كانت مراكزهم يرتكبون الخطيئة

اني خادمك قد اخطأت ...

اقف امامك الآن واركع ...

لقد ارتكبت المعصية واقترفت الاثم

لم أنطق بالحق ، ولكنك تعرف تماما ماهو شر

لقد أكلت من الطعام الخاص بالاله(١٤٢)

وانتهكت الحرمات وارتكبت الشر

وجهت رغبتي نحو ممتلكاتك الواسعة

واتجه طمعي الى فضتك الثمينة

لقد تركت يدي تلمس ما لا يمكن لمسه

فنالني غضبك الجامح ،

لقد اجتزت حدودك ، الامر الذي أغاضك

وتطاولت بفورة قلبي على قدسيتك

لقد ارتكبت المعصية المعلنة والمكتومة

واقترفت المخازي فالتصقت بي ،

يا الهي ، ان هذا كاف ، عسى ان يهدأ قلبك ،

---

(١٤٢) اغلب الظن ان المقصود بهذا المورد ليست تناول ما يتركه الاله من طعام من بعد اكله منه رمزيا وهو ما كان من واجبات الملك وانما الاموال الخاصة بالاله .

يا (عشتار) الحانقة ، عسى ان تغفري وتسامحي
أيتها المنقذة ، انت التي حولت قلبك الى الغيظ المدمر
ليكن عطفك الذي عودتني عليه رحمة علي
حقا ان اخطائي كثيرة ... آه ... حلي وثاقي
مضاعفة هي سيئاتي سبع مرات ، لكن عسى ان يهدأقلبك(١٤٣) .

وفي الدعاء المعروف بأسم دعاء (رفع اليد) (نيش ـ قاتي) الى الالهة « عشتار » يرد وصف مفصل للعقوبات التي تقع على الشخص نتيجة لآثامه وخطاياه نقتطف منه الابيات الاتية :

« الأني لا اخاف الهي او الهتي يقع علي الضيق ؟
فالشقاء والمرض والدمار والمصائب حلت بي
والقلق أوهن همتي ، والغضب المتفجر نصيبي ،
قد حلت بي نقمة كل الالهة وحنق كل الناس
اني اعيش يا سيدتي ، ايام الالم واشهر الحزن وسني الخيبة ،
يحيق بي ، يا سيدتي ، الخراب والاضطراب والهيجان
لقد جعلت الموت والبؤس نهايتي !
ان حاجتي ترهقني ، ومذلتي تعذبني
الى بيتي وبوابتي وحقولي تدفق الالم ،
طالما أدار الهي وجهه الى مكان آخره
تلاشت قواي ، وانكسرت همتي وعنفواني ،
لكنني أتيت اليك ، يا سيدتي ، فأنا احفظك في ذاكرتي ،
اني أبتهل اليك ، ان تمحي لعنتي
امحي اساءتي وذنبي (arni) وشـري (sirti)
واثمي (hablati) وخطيئتي (hititi)

---

(143) S.H. Langdon, in ERE., XI, p.531f.

تناسي خطيئتي واقبلي تضرعي »(١٤٤) ·

ومن القطع الادبية المشهورة التي تصف بطريقة مؤثرة ما يحدث للشخص الذي تتخلى عنه الالهة وتحيق به الكوارث نذكر القطعة البابلية المعروفة باسم (لأمجدن رب الحكمة)(١٤٥) (لدلـــل بيـــل نيميقـــي (Ludlul Bel Nemeqi والتي يسميها بعض الباحثيـــن بعنوان (أيوب البابلي) حيث يدور موضوعها عن شخص عابد تقـــي ولكن تتخلى عنه الالهة ويغضب عليه الملك وتتبرأ منه عائلته وتصـــادر ثروته ومن ثم تهاجمه الارواح الشريرة ويبتلى بأنواع الامراض فيـــأخذ بالشكوى بحرارة معلنا ان ما اصابه مشابه للعقاب الذي يصيب الاثمين والاشرار (وسنعود بعد قليل الى مناقشة هذه القطعة) ·

ويصف الملك الاشوري (آشور ـ بانيبال) في احد النصـــوص التي تصف الاحوال المتردية التي وصلت اليها أحوال الدولة الاشورية ، على انه عقاب تقرر عليه فيقول واصفا حالته :

« لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والالم ؟ ، في البلاد (تنتشر) الاضطرابات ، وفي البيت (تحـــاك) الدسائس ، انها تلازمني باســتمرار · الكــوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي ، لقد حنى مرض القلب ومرض الجسد قامتي · اني أقضي يومي بالزفرات والحسرات ، لقد تحطمت في اليوم المخصص لالــه المدينــة ، يــوم الوليمــة ، أصــبح

---

(144) L.W. King, The Seven Tablets of Creation, Vol. I, (London, 1902), p.233 : 68-82

(145) EWL., p.21 Seq.

الموت نهايتي ، انني اتعذب ، بالقلق والحزن اقضـــي
النهار والليل · ندبت : أيها الاله ! سلط هذه على الذي
لايخاف الآلهة ودعني أرى نورك ! ايها الاله لم قررت
كل هذا علي ؟ اني اتعذب كمن لا يخاف الآلهة »(١٤٦) ·

لقد كانت تلك هي العاقبة الاولى التي يتعرض لها الشخص بسبب ارتكابه للخطيئة أما العاقبة الثانية فقد كانت اشد وقعا وابلغ ضـررا من الاولى ذلك انها تؤدي الى تقصير أجل الحياة واحلال الموت بالمذنب عقابا له على ما اقترفه ، وهذا ما يتجلى واضحا في العديد من النصوص القديمة والادعية المسطرة على المسلات واحجار الحدود (الكدورو) والكتابات التذكارية التي تثبت كلها الاعتقاد بأن الآثم يلاقي الموت عقابا له على اثمه أو كما يعلن أحد النصوص المسمارية بأن (الذي لا يخاف ربه) يتحطم (كالقصبة)(١٤٧) ، فعلى سبيل المثال نقرأ في أحد احجار (الكدورو) الخاصة بأراضي مزروعة منحت من قبل الملك الكاشي (كوريكالزو) الى احد الاشخاص في مدينة (دير) (١٤٨) ويحتوي على تحديد تلك الارض مواصفاتها ويختتم بالدعاء التالي :

« اذا قال شخص ما في المستقبل بأن الحقل لم يواهب
فعسى الالهة آنو وانليل وايا وننا وشمش ومردوخ
ونسكو وسدرننا (Sadarnùnna) ونركال ولاز ان

---

(146) A.T. Olmstead, History of Assyria, p.414
(147) GE., p.138

(١٤٨) مدينة «دير» أو «دور-ايلو» تقع بقاياها الان في ضواحي بدرة وتعرف باسم تلول العقر ، عند الحدود الايرانية - العراقية (الحدود العيلامية - البابلية) ·

يستأصلوه من اساسه ويمحـوا ذريته ، عسـاهم ان ينهـوا أمره وان يقرروا بان لا يبقى حيا يوما واحدا »[149] .

ويرد في خاتمة حجر (كدورو) اخر من عهد (مردوخ-بلادان ، ٧٢١ ـ ٧١١ ق٠م) ما يلي :

« عسى الآلهة آنو ، انليـل ، أيا ، ننورتا ، وكولا أسياد هذه الارض ، وكل الالهة الـذين تظهـر مزاراتهم ورموزهم على هذا الحجر ، ان ينظروا اليه بغضب ، وعساهم ان يلعنوه باللعنة التي لا يمكن أن تزول وان يحطموا حجر حدوده وان يحلوا بذريته الشر والامراض وعساهم ان يوصلوه الى نهايته بأيام معدودات »[150] .

وكما أشرت سابقا كانت هاتان العقوبتان أي كدر العيش والمرض والقلق ، وقصر العمر والموت اقصى ما يلحق بالشخص من عقـاب الهي على ذنوبه وارتكابه الخطايا الدينية والسياسية والاخلاقية ، وبهذا المعنى سـطر (حمورابي) الدعوات على كل من يتجاهل احكـام شريعته او يمحو القوانين المشرعة فيها أو يمحو اسم (حمورابي) ليكتب اسمه بدلا عنه او يأمر شخصا اخرا بالقيام بذلك ، حيث يذكـر في خاتمة الشريعة ما يلي :

---

(149) L.W. King, Babylonian Boundary-stones and Memorial-tablets in the British-Museum, (London, 1912), p.4f. ; II : 9-17

(150) L.W. King, Op. Cit., p.29 ; III : 26-41

« عسى الاله (انليل) ، السيد الذي يقدر مصائر
(البشر) ، والذي لا تتبدل كلمته ، موسع مملكتي
أن يعمم الفوضى التي لا يستطيع اخمادهـــا
ويحل به الحســـرة لتهلكـــه في عقـــر داره ،
عسى أن يقدر العذاب مصيرا له مع ايـام الفاقة
وسنين المجاعة والظلام الحالك (وعسى ان يقدر
له) الموت المفاجيء كلمح البصر »(١٥١) .

ويوجد نص للملك الاشوري (تكلاثبليزر) الاول (١١١٥-١٠٧٧ق٠م) يذكر فيه عددا من الدعوات الموجهة على أي حاكم يجرؤ في المســـتقبل على تحطيم كتاباته التذكارية التي انجزها لتمجيد الالهة ، فيذكر فيه :

« من يحطم الواحي التذكارية وسجلات الاسس
العائدة لي (او) يقلبها (او) يرميها فـــي الماء
(او) يحرقها بالنار (او) يغطيها بالتراب (او)
يضعها سرا في غرفة مظلمة حيث لا يستطيع
احد رؤيتها (او) يمحو اسمي المنقوش ويكتـــب
اسمه ، (او) يضمر أي مكيدة شريرة اخرى ضد
كتاباتي ، عسى الآلهان العظيمان (آنو) و (ادد)،
سيداي ، أن ينظرا اليه بغضب ويلعنـاه بلعنـة
قاسية! عساهما ان ينهيا حكمه ويستأصلا أسس
عرشه الملكـي ، ويحطما ذريتـه ! عســاهما ان
أن يكسرا اسلحته الى قطع صغيرة ويجلبا الهزيمة

---

(151) G.R. Driver & J.C. Miles, The Babylonian Laws, p.101; Col. XXVI : 53-72

الى جيشه ويضعاه بالقيود أمام أعدائه ! عسى
الاله (ادد) ان ينسف بلاده بصاعقة مهلكة ويحل
المجاعة والقحط والعوز والفيضان ببلاده ! عساه
ان لا يدعه يوما واحدا على قيد الحياة (بل)
يحطم اسمه وذريته في البلاد »(١٥٢) .

الثـــواب :

وعلى العكس مما يلحق بالآثم فـان الثواب على حيـــاة الفضيـلـــة والحسنات والاعمال الورعة كالخوف من الالهة وتقديم القرابين وبناء المعابد وصنع التماثيل للالهة يكون بصفاء العيش وطول العمر حيث يرد في احد النصوص القديمة :

« ان الخوف (من الالهــة) مدعـــاة للعطف وان
القرابين تطيل العمر ... ان من يخاف الالهة
يطيل آلهة (الانوناكي) (عمره) »(١٥٣) .

وبهذا المضمون وصفت الالهة (كولا) الهة الشفاء والطب (ومركز عبادتها في مدينة أيسن) بأنها (حافظة الحياة لمن يخافها)(١٥٤) ، وقـــد ذكر (شلكي) ثاني ملوك سلالة (اور) الثالثة مفتخرا في احـدى تراتيلـه بأنه قد كتب له العمر الطويل مكافـأة له على ورعه واحترامه للشـعائر

(152) E.A. Wallis Budge & L.W. King, Annals of Kings of Assyria, Vol. I, (1902), p.106-18 : 63-88 ; and GE., p.139f.
(153) Ge., p.140, ref. CT. XIII, PI.30 : 19-23
(154) GE., p.140

الدينية (١٥٥) ، كما ان الملك الاشوري (تكلاتبليزر) الاول كتب متحدثا في احد نصوصه عن جده الملك (اشور – دان) الاول مايلي :

« ان منجزات يديه وقرابين عطاياه الى الآلهة
العظيمة قد استمرت بلا انقطاع ، (فطال عمره)
حتى ادرك ابيضاض الشعر والعمر
الطويل(١٥٦) ·

ويوضح أحد نصوص الملك الاشوري (سرجون) الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق·م) علاقة حياة التقوى بالرخاء وبطول العمر حيث يذكر ذلك الملك مايلي :

« لحفظ راحتي واطالة أيامي واستقرار حكمي
اركع على الدوام بنفسي في العبادة »(١٥٧) ·

ويوضح الملك الاشوري (سنحاريب) في احد نصوصه بانه قام بصنع طبل من النحاس واهداه للاله (اشور) بقصد (اطالة أيامه وتطيب قلبه واستقرار حكمه)(١٥٨) ، كما ان الملك البابلي (نبونيدس) (٥٥٥ – ٥٣٩ ق·م) تضرع الى الاله القمر (سين) في احد نصوصه بأن يهبه وابنه الحياة المديدة جزاء تقواهما وفضيلتهما إذ يذكر :

(155) G.R. Castellino, Two Shulgi Hymns (B,C), (Roma,1972), p.50f. : 19-5
(156) E.A.W. Budge & L.W. King, Op. Cit., p.94 : 51-4
(157) GE., p.140
(158) Lbid., p.141

« اني (نبونيدس) ، ملك بابل ، تجنبت الخطيئة
بحق آلوهيتك المقدسة ، فأمنحني الحياة لايام
طويلة ، ورسخ الخوف تجاه الوهيتك المقدسة في
قلب (بيلشازر) ولدى البكر ونسل صلبي ،
عسى ان لا يرتكب خطيئة ، ليحظى بالحيـــاة
المديـــدة »(١٥٩) ٠

الحياة الفاضلة والتمرد :

واذ نخلص في النهاية الى ان عالم الاحياء هو دار العقاب والثـــواب وليس عالم الاموات وفـق العقائد العراقية القديمة عن الحياة الاخرى ، فيفترض بنا ان نلقي ضوءا على اسلوب الحياة والنمط الذي كانت تجرى به في العراق القديم في ضوء هذا الاعتقاد والتعرف على الحوافز والقيـــم التي كانت تحدد طبيعة سـلوك العراقين القدماء في الحياة او عـــي الاقل تترك آثارا واضحة في ذلك السلوك ٠ في الواقع توجد علاقـــة وثيقة ما بيـن القيم التي يؤمن بها الفرد او المجتمع عموما في الحيـــاة وبين معتقدات ذلك الفرد أو المجتمع عن الفضيلة والشر والتصورات التي يضعها عن الطريقة التي يتم فيها العقاب والثواب ، فمـــن الطبيعي ان العقاب والثواب كانا يمثلان الوازع والواعز في تصرفات الانسان وفـــي لحظات اختياره ما بين ما يريد ان يفعله وبين ما يجب أن يمتنع عنه ، ومن مجموع هذه الخيارات بمجمل روادعها وحوافزها تتبلور القيـــم والانماط التي تميز عقائد وسلوك مجتمع عن آخر ، والآن يبرز أمامنـــا سؤال محدد هو : هل ان هذه الصورة في تبلور القيم مطلقة فـــي اي

---

(159) GE., p.140



مجتمع انساني ؟ واجيب بالنفي ، ذلك ان ديناميكية المجتمعات الانسانية وازدخارها بالفضائل والمساوىء في وقت واحد معا ووجود الخير والشر في المجتمع الواحد مهما وصلت درجة تطوره الحضاري تجعل المرء حائراً في فهم حالة رجحان كفة الشر على كفة الخير في أحيان كثيرة مثل نجاة الاشرار من العقاب بينما يلحق الظلم بالابرياء والضعفاء ، وتستمر حيرة المرء أمام هذه الحالة اللا منطقية لتصبح مدعاة للتطلعات القلقة الى الحياة عموما والى جدواها بصورة خاصة ومن هنا درجت المجتمعات والديانات على الخلاص من هذه الحالة وعلى تطوير معتقداتها عن العقاب والثواب لتكون ملائمة للقيم التي تؤمن بها وبذلك ظهرت فكرة كون العالم الاخر دارا للعقاب والثواب كما هو الحال في مصر القديمة وفي الديانات الزرادشتية والمسيحية والاسلامية كما نوهت في بادىء هذا الفصل ، ولا ريب في ان هذا الاعتقاد قد ساعد بدرجة كبيرة على ازالة التوتر والقلق من حياة تلك المجتمعات وبلورة المثل العليا والنظر باستصغار الى هموم الحياة الدنيا والايمان بأن الشر مهما طال انتصاره وان الاشرار مهما نجوا من العقاب فانه لابد أن يكون هناك حين تنقلب فيه الآية في ما بعد الموت ، وفيما يخص حضارة وادي الرافدين القديمة فان رسوخ الاعتقاد فيها بان عالم الاحياء هو دار العقاب والثواب كما وضحت آنفا وان العالم الاخر ليس الا مكانا لاقامة الموتى الدائمة بشكل متساو بين الاخيار والاشرار جعل سكان العراق القدماء عزلا من أي ضمان بانهزام الشر في الحياة الاخرى في العالم الاسفل وفي انصاف المظلومين وثواب الخيرين ، وهذا ما حمل الحياة في ظل حضارة وادي الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات اليائسة اضافة الى نوع من الشعور بالاحباط . وكانت كل تلك التطلعات القلقة تبرز بصورة واضحة عبر العديد من

النصوص المسمارية القديمة والتي تكرر في مضمونها سؤال لم يجد له العراقي القديم جوابا شافيا ، ذلك السؤال كان كما يقول الاستاذ (سبا تينوموسكاتي) ما هو معنى الحاضر ، وما هي طبيعة الغد ؟(١٦٠) . وقد ترك الاعتقاد بانتفاء وجود حساب يقرر فيه عقاب المرء او ثوابه في ما بعد الموت اثرا بالغا في فكر وحياة مجتمع حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة اذ انه ميزهما بسمات من التأزم والقلق مرجعها تشبث العراقيين القدماء بالحياة بشكل لا يمكن لاي شقاء او ألم ان يضعفه (كما أوضحت في الفصل الاول من البحث) في الوقت الذي كانوا واثقين فيه بأن الحياة الدنيوية هي المجال الوحيد للتنعم بالوجود البهيج ، وهو مجال لم يكن من السهولة أن يتاح لجميع الافراد ان يتنعموا به مع وجود المظالم والمساوىء التي أشرت سابقا الى وجودها في المجتمع البشري والتي كانوا واثقين في قرارة نفوسهم بحتمية وجودها ، وهذا ما أدى الى تاصل التأزم في نفوس اولئك الناس نتيجة لاضطرارهم الى تقبل كلا الحقيقتين أي حقيقة وجوب التشبث بالحياة وانها مهما تحمل من مساوىء فهي أثمن من ان تترك وحقيقة ان المظالم الواقعة فيها تمضي بلا عقاب حين يموت اصحابها وينتقلون الى عالم لا يحاسبون فيه على ما اقترفوه، وقد جر هذا التأزم العراقيين القدماء الى الابتعاد عن الصيغ المثالية بدرجة اكثر مما هي عليه عند سائر اقوام الشرق الادنى القديم الذين اقترن ذكرهم بالحضارات القديمة التي قامت في هذه المنطقة من العالم والسبب في ذلك هو بقاء الصراع بين الخير والشر محصورا في أفق ضيق متكرر في الحياة اليومية لسكان وادي الرافدين القدماء ، ولعل

(160) The Face of the Ancient Oreint, (London, 1963), p.75

من أبلغ القطع الادبية في حضارة وادي الرافدين القديمة التي تعالج هذا الموضوع القطعة البابلية التي يدور موضوعها عن الصراع بين الخير والشر والعدل الالهي والتي أطلق عليها الباحثون المحدثون مصطلح "The Babylonian Theodicy"[161] (أي التوفيق بين العدل الالهي وبين وجود الشر في الحياة) وهي بشكل مناقشة بين شخص معذب يشكو الظلم الاجتماعي السائد وبين صديقه الذي يحاول أن يوفق بين حقيقة وجود ذلك الظلم وبين الافكار العامة للمجتمع عن عدالة التنظيم الالهي للكون ، والمرجح أن هذه القطعة كتبت في النصف الثاني من الالف الاول ق٠م ، ويتساءل المعذب المتشكك فيها عن السبب الذي يمنع الالهة من حماية الضعفاء وسبب موت الاباء قبل ان يشب أطفالهم ويصبحون قادرين على العناية بأنفسهم والسبب في معاناة الشخص المتقي من الشقاء والبؤس بينما ينعم الاشرار بالغنى والثروة أو كما يقول بالنص مخاطبا صديقه :

« ان افكارك هي الريح الشمالية والنسيم المبهج للناس
أيها الصديق المختار ان مشورتك سديدة
ولكني أقول لك كلمة واحدة
عن الذين جحدوا الاله ولكنهم امتلكوا الثروات
بينما سلب الذين تضرعوا للالهة ما يملكون وتعرضوا للطرد ،
لقد نشدت في صباي رضا الهي
وتبعت الهتي بالتمجيد والدعاء
ولكني تحملت مشقة السخرة كالثور
فالهي قرر لي الحرمان بدلا من الثروة ،

---

(161) BWL., p.63-91

واصبح العجز نصيبي ، وتقدم علي المجنون ،
الآثم رقيت رتبته اما انا فقد خفضت رتبتي »(١٦٢) .

ثم يعلن ذلك المعذب عن رغبته في ان يحيا حياة التشرد ليخلص من ظلم المجتمع ، واخيرا فأن المعذب يحتج بأن الاغنياء والاقوياء ينجحون دائما في دعاوي الزور التي يقيمونها على الفقراء ، ومقابل كل هذه الحجج يحاول الصديق ان يقنع المعذب بأن الموت نصيب مشترك لكل البشر وان الفكر الالهي عميق وغامض على الفهم البشري وان الاشرار مهما طال بهم المدى فانهم لابد ان يواجهوا نهاية قاسية ، الا ان الصديق يوافق المعذب اخيرا على وجود الظلم الذي يرجعه الى طبيعة البشر ذاتها .

ومن القطع الادبية الاخرى التي تكشف جزءا من القلق الكامن في أعماق حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة هي القطعة التي سبقت الاشارة اليها في هذا الفصل ـ والمعروفة باسم (لا مجدن رب الحكمة) حيث يرد فيها بخصوص معاناة الفاضل وعذابه مايلي :

« مثل شخص لم يسكب الماء لالهه ،
ولم يهيىء المائدة لالهته ،
ولم يمارس العبادة ولم يعرف الركوع
ما أطلق في يوم دعاء ،
كالذي لم يفعل شيئا في الايام المقدسة وازدرى بيوم الراحة ،
الذي اهمل بجحوده شعائر الاله ،
ولم يعلم اهله التبجيل والعبادة ،
واكل طعامه بدون ان يدعو الهه ،
وهجر آلهته ولم يقدم الطحين المقرب لها ،

(162) BWL., p.75-6 ; VII : 67-77

مثل شخص بالغ البلادة ناسي الهه ،

حنث باليمين المقدس ، بالهه ، أبدو انا ،

لقد راعيت شعائر العبادة من نفسي ،

جعلت من الدعاء اختيارا لي ومن التقريب سنة لي ،

وكان يوم تبجيل الاله سعادة لقلبي ،

ويوم موكب الالهة ربحاً وفائدة لي ،

دعوة الملك كانت سعادتي ،

وصاحبني صدح الانغام البهيجة في كل وقت

أوصيت معارفي بأن يحفظوا شـعائر الاله ،

وحضضت اهلي على احترام اسم الاله ،

لقد ابتهلت للملك مثلما ابتهل للاله ،

وعلمت العوام أن يبجلوا القصر ،

كنت أعرف بأن هذه الاشياء ترضي اله الشخص !

(ولكن) ماهو ملائم لنفس الشخص مسيء للالهة ،

وما يبدو دنيئا للشخص فهو ملائم لالهه ،

فمن يعرف رغبة الالهة في السماء ؟

ومن يدرك خطط آلهة العالم الاسفل ؟

واين للفانين ان يعرفوا سبيل الاله ؟ »(١٦٣) .

وهناك القطعة الادبية الاخرى المعروفة بأسم (حوار التشاؤم) أو الحوار بين سيد وعبد (١٦٤) التي تعبر ضمن سطورها بوضـوح عن يـأس العراقيين القدماء من وجود أيةفرصة أخرى عدا الحيـاة

---

(163) BWL., pp.39-41 : 12-38

(١٦٤) وقد سبق الحديث عنها في الفصل الاول من البحث .

الدنيوية في مجازاة الخيّر والشرير بحسن العاقبة او سيئها ، حيث ان السيد في هذه القطعة يخبر عبده بعزمه على انجاز خدمة عامة لمدينته فيستحسن العبد ذلك مبررا استحسانه بأن من يفعل ذلك فان كف الاله (مردوخ) تبارك أعماله ، وحين يغير السيد رأيه ويقرر عدم أداء أية خدمة لمدينته يؤيده العبد بقوله :

« اعلى فوق تلال الخرائب القديمة

وتمشى حولها ،

وانظر جماجم القاصي والداني ، من هو الشرير ومن هو المحسن ؟ »(١٦٥) ·

حيث ان الكل متساوون ، فاعل الخير وفاعل الشر تنتهي حياتهما بالموت ولن يذكرهما أحد في المستقبل وتمضي روحاهما الى مصير واحد بعد أن يكونوا قد تعرضوا لنيل ثوابهم وعقابهم في حياتهم(١٦٦) ، وهذا ما يدفع في كثير من الاحيان الى التشاؤم من جدوى أية حياة أخرى بعد الموت وعدم الاهتمام بأي وجود آخر بعد الموت وخاصة في لحظات القلق والحزن وهو ما حدث لـ (كلكامش) بعد موت صديقه (انكيدو)

(165) BWL., p.148 : 78-70

(١٦٦) وقد وجد الصدى الذي يتركه عدم وضوح فكرة العقاب والثواب فيما بعد الموت عند العبرانيين ايضا عبر العديد من نصوص العهد القديم مثل « فقلت في قلبي كما يحدث للجاهل كذلك يحدث لي انا · واذ ذاك فلماذا انا اوفر حكمة ، فقلت في قلبي هذا ايضا باطل · لان ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الابد ، كما منذ زمان كذا الايام الاتية الكل ينسى · وكيف يموت الحكيم كالجاهل » (الجامعة ـ٢، ١٥ـ١٦) ·

إذن أنه يقول مخاطبا صاحبة الحانة كما يرد في ملحمة (كلكامش) :

« وصديقي الذي أحببت صار ترابا

وانا افلا أكون مثله فاضطجع ضجعة لا اقوم من بعدها

ابـــد الدهـر »(١٦٧) .



(١٦٧) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١١٨ ، اللوح العاشر ـ العمـود الثاني : ١٢ـ١٤



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثالث

العـــالم الاســـفل

أسماؤه ، وصفه ، وآلهته

« عبر الاسوار العالية السميكة ، يمرون كالطوفان

يمرقون من بيت لبيت

لا يمنعهم باب ولا يصدهم مزلاج

فهم ينسلون عبر الباب كانسلال الافاعي

ويمرقون من فتحته كالريح

ينتزعون الزوجة من حضن زوجها

ويختطفون الطفل من على ركبتي ابيه

وياخذون الرجل من بين اسرته »

» وصف للشياطين مقتبس من تعويذة بابلية «



تكررت الاشارة اكثر من مرة في ماسبق من البحث الى (العالم الاسفل) أو (عالم الاموات) باعتباره العالم الخاص بالاقامة الابدية لارواح الموتى وفق ماهو واضح في عقائد ما بعد الموت في ديانة سكان وادي الرافدين القدماء(١) ، والواقع ان الاقامة في ذلك العالم لم تكن مقتصرة على أرواح الموتى فقط وانما جعلت منه عقائد حضارة وادي الرافدين مكانا يخدم اكثر من غرض واحد اضافة الى اقامة أرواح الموتى، استطيع اجمالها في مايلي :

اولا : كان العالم الاسفل مقرا لاقامة آلهة الموت والامراض واتباعها من صغار الآلهة والشياطين الموكلة بتنفيذ أوامرها ٠

ثانيا : اعتبر العالم الاسفل مكانا تقيم فيه بعض الآلهة التي ذكر موتها في الاساطير الدينية اضافة الى آلهة أخرى كانت لها صلة بشكل او بآخر بعالم الاموات ، وسنأتي الى تفصيل الحديث عنها في هدا الفصل ، كما كان محلا لاسر الآلهة الرئيسة أسرا مؤقتا في احتفالات المدن بأعياد رأس السنة كما سبق الحديث عنه في الفصل الاول من البحث ٠

ثالثا : كان عالم الاموات بمثابة منفى تبعد اليه الالهة المخطئة بصورة مؤقتة كما حدث للاله (انليل) الذي قرر مجمع الالهة طرده الى العالم الاسفل بسبب اغتصابه للالهة (ننليل) وهو الموضوع الذي سبق شرحه في الفصل الاول من البحث ٠

رابعا : كان ينظر الى العالم الاسفل على انه مصدر تأتي منه الشياطين

---

(١) وقد سبق أن أوضحت في الفصل الثاني معتقدات سكان العراق القديم عن الكيفية التي تنتقل بها أرواح الموتى الى العالم الاسفل والحالة التي تكون عليها هناك وتطرقت في الحديث الى كل ما يؤثر على سكينتها فيه وما يضطرها الى الخروج منه الى عالم الاحياء ٠

المؤذية والاشباح او الارواح الشريرة ومن ضمنها أرواح الموتى التي حرمت من الهدوء والسكينة فيه بسبب عدم دفن اجساد اصحابها أو نبش قبورهم أو بسبب انقطاع القرابين عنهم فتخرج الى عالم الاحياء لتنتقم بالحاق الاذى بهم وقد سبق ان شرحت هذا الامر بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث ٠

ان هذه الوظائف التي خص بها العالم الاسفل تجعلنا ندرك الاهمية التي حازها في العقائد الدينية لحضارة بلاد وادي الرافدين القديم، ولتوضيح التصورات التي قدمتها تلك العقائد لهذا العالم وما ارتبط به في أذهان سكان العراق القدماء ينبغي بنا في مستهل هذا الفصل ان نتعرف بشكل مفصل على ما أطلقه اولئك السكان سواء السومريون منهم ام الاكديون على العالم الاسفل من اسماء ونعوت وما خصوه به من أوصاف لندرك ما كان يجول بأذهانهم من افكار وتصورات بخصوصه وذلك في الموضوع الآتي :

اسماء وصفات العالم الاسفل :

عرف عالم ما بعد الموت في نصوص العراق القديم بجملة أسماء ونعوت أشهرها :

١ ـ (القبر) (قبرو : qabru) وهي كلمة أكدية مرادفة ومشابهة لكلمة (قبر) العربية وقد استعملت للدلالة على العالم الاسفل اضافة لدلالتها على القبر ، كما استعملت كلمة أخرى مرادفة لها للاشارة لذلك العالم وهي الكلمة الاكدية (كماخّو : kimahhu) التي كانت تطلق على القبر أيضا وهي من الاصل السومري (كي ـ ماخ: KI.MAH) وتعني حرفيا (الارض العظيمة)(٢) ، وهناك

(٢) ينظر الفصل الرابع من البحث فيما يخص هذا المصطلح ودلالته ٠

مصطلحان أكديان استعملا ايضا للدلالة على القبر والعالم الاسفل في نفس الوقت هما (شتو : suttu و (خرو : hurru)[3] وكلاهما يعني بالاصل (حفرة)[4] ومن الواضح ان المغزى من اشتراك العالم الاسفل مع القبر في تسمية واحدة هو الاشارة الى كونهما يخدمان غرضين متشابهين بعد الموت باعتبار الاول منهما مقرا لاقامة روح الميت والثاني لجسده اضافة الى ان القبر قد اعتبر امتدادا للعالم الاسفل في العقائد الدينية القديمة في بلاد وادي الرافدين وهذا ما سأوضحه بالتفصيل في مواضع أخرى من هذا الفصل .

٢ ـ (الارض العظيمة) ، بالسومرية (كي ـ كال : KI.GAL)[5] وبالاكدية (كيكلو : kigallu ، وقد استعمل هذا المصطلح كثيرا في الشعر والنصوص الادبية[6] كما انه يرد ضمن اللقب الذي عرفت به آلهة العالم الاسفل (ايرش ـ كيكال) Eres-kigal والذي يعني حرفيا (ملكة الارض العظيمة أو (ملكة العالم الاسفل) .

٣ ـ (ارلي) aralli او (ارلو) arallu

---

(3) SANT., p.3 .. ref. TUL., p.21f.

(٤) لقد استعمل العبرانيون كلمة (بور bôr) التي تعني حفرة للدلالة على العالم الاسفل (شيئول se'ol) ايضا في المواضيع التالية من العهد القديم :
المزامير ١:٢٨ ، ٤:٣٠ ، ٥:٨٨ ؛ اشعيا ١٥:١٤ـ١٩ ، ١٨:٣٨

(٥) « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » (الرواية السومرية):١ـ٣

(6) CAD., Vol. 8; kigallu, p.349

وتكتب بالمقاطع السومرية (A.RA.LI)[7] ، والواقع اننا نجهل مغزى هذا الاسم الا انه يمكن القول على وجه العموم بأنه كان تسمية شعبية الاصل للعالم الاسفل اكثر من كونه مصطلحا دينيا[8]، ونذكر هنا ان هذا الاسم يرد ضمن احد القاب الالهة (ايرش ـ كيكال) وهو (شرت ارلي : sarrat arralli)[9] بمعنى (ملكة ارلي (أو) ملكة العالم الاسفل) .

٤ ـ (أبسو) Apsu ، وقد استعمل هذا الاسم للاشارة الى العالم الاسفل[10] اضافة الى استعماله الاصلي كاسم يطلق على مياه العمق[11] ، والظاهر ان اطلاق هذا الاسم على العالم الاسفل يعود الى اعتقاد سكان العراق القدماء بوجود كل من مياه العمق والعالم الاسفل تحت سطح الارض حيث انهم اعتقدوا ان العالم الاسفل يقع مباشرة تحت مياه العمق التي يكون موضعها تحت سطح الارض وسنأتي على توضيح ذلك في ما يلي من هذا الفصل .

٥ ـ (الارض) (ارصيتو : irsitu) ، وهو اسم أكدي للعالم الاسفل[12] وقد ورد ضمن أحد القاب الالهة (ايرش ـ كيكال)

---

(7) Ibid., Vol. 1, 2 ; arallu, p.226

(8) M. Jastrow, The Religion of Babylonia and Assyria,557

(9) CAD., Vol. 1,2 ; arallu, p.227

(10) Ibid., apsû, p.196

(١١) يراجع الفصل الاول من البحث بخصوص الاله «ابسو» زوج «تيامة» في قصة الخليقة البابلية وعلاقته بمياه العمق .

(١٢) « رؤيا الامير الاشوري عن العالم الاسفل » : ٢ ، و « ملحمة كلكامش اللوح السابع ـ العمود الرابع : ٥٠ واللوح الثاني عشر : ٢٣

وهو (بعلة – ارصيتم : bêlit-irsitim) الذي يعني (سيدة الارض) او (سيدة العالم الاسفل)(١٣) ٠

٦ – (الارض السفلى) (ارصيتو شبليتو : irsitu saplitu

وهو مصطلح أكدي يأتي لتمييز العالم الاسفل بوصفه الارض السفلى عن كل من (الارض العليا) (ارصيتو اليتو : irsitu elitu

و (الارض الوسطى) (ارصيتو قبليتو : irsitu qablitu

التي كانت مقرا للاله (ايا) (انكي)(١٤) ، وكان يكتفى احيانا بكلمة (السفلى) (شبلاتي : shaplâti) للدلالة على العالم الاسفل(١٥) ، وقد كان الموتى يوصفون وفقا لهذا المصطلح الذي أطلق على عالمهم بأنهم (الناس السفليون) (نشي شبلاتي : nise saplati)(١٦) ٠

٧ – (الارض الفسيحة) (ارصيتو ربشتو : irsitu rapastu

وهو مصطلح أكدي يرادفه بالسومرية المصطلح (كي – كال دامال : KI.GAL DAMAL)(١٧) ، وكان يطلق على العالم الاسفل أحيانا

---

(١٣) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٤٤ وما بعده ٠

(14) SANT., p.12

(15) Ibid., p.13

(16) SANT., p.11

ونذكر هنا ان هناك ما يشابه هذه التسمية من الاوصاف التي ينعت بها الموتى في اللغة العربية « الارواح السفلية » ، « الارضيين » و « أهل الارض » ٠

(17) SANT., p.14 ; No.6

مصطلح مشابه لهذا المصطلح وهو (البلاد الفسيحة) (ماتو ربشـــتو : matu rapastu)[١٨] ويشير هذا المصطلحان على العموم الى اتساع العالم الاسفل كما هو ظاهر ٠

٨ ـ (ارض اللاعـــودة) (كــر ـ نوكــي : KUR.NU.GI أو كرنوكيـــا : KURNUGIA)[١٩] ، وهو مصطلح ســومري يرادفه بالاكدية المصطلح (ارصت لاتارى : irsit lâ târi)[٢٠] ، ويتضح من هذا المصطلح الذي أطلق على العالم الاسفل الاعتقاد بكونـــه مقرا للاقامة الابدية لارواح الموتى وباستحالة الخلاص منه والعـــودة الى الحياة ثانيـــة ٠

٩ ـ «الارض البعيدة» ويعبر عن هذا الاسم بالسومرية ب (كي ـ سد: ويـــرادفـه بالاكـــديـــة المصطلـــح (ارصيتـو ـ روقتــو) ، ونذكر هنا ان هذا الاسم يرد في احدى الاشارات عن العالم الاسفل تصفه بأنـــه « الارض البعيـــدة أو القاصـــية (ارصيتو روقتو) التي لا يمــكن رؤيتها »[٢١] ٠

١٠ ـ « الارض الحصينـــة » (كي ـ بــاد) وهـــو مصطلـــح سومري استعمل للدلالة على العالم الاسفل[٢٢] ، والواضح انه يشير الى صعوبة الدخول اليه وقوة اسواره وشدة الحراسة عليها ٠

١١ ـ « ارض المـــوتـــي » (ارصـــت ميتـــوتي) وهـــو

---

(18) Ibid., 14 ; No.3

(١٩) « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » : ٨٢

(٢٠) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ١

(21) SANT., p.16

(22) Ibid., p.17

تعبير أكدي عن عالم الاموات ويرادفه بالسومرية المصطلح (كر–أك)[٢٣]٠

١٢ – « أرض النحيب » (ارصت تانيخي) ، مصطلح أكدي يرادفه بالسومرية (كر آ–شي–ار–را–كي)[٢٤] ، وهذا المصطلح يشير كما هو واضح الى التعاسة التي تخيم على سكان العالم الاسفل والى البؤس الذي يعانون منه ٠

١٣ – « الصحراء » أو « السهل » (صيرو) بالاكدية و (ادن :   )[٢٥] بالسومرية ، وهذا الاسم يرد ضمن أحد القاب الالهة « ايرش – كيكال » وهو « سيدة الصحراء » (نن – ادن) بالسومرية و (بعلة صيري) بالاكدية[٢٦] ، ولعل في هذا الاسم ما يشير الى خلو العالم الاسفل من التضاريس وانبساط ارضه كالسهل ٠ ارضه كالسهل ٠

١٤ – « الخربة » (خربو)[٢٧] ، وهي تسمية أكدية للعالم الاسفل من الظاهر انها تشير الى الخراب الذي يعم فيه[٢٨] ٠

١٥ – « البادية » (نساتي) مصطلح أكدي للعالم

---

(23) Ibid., p.17
(24) Ibid., p.17
(25) SANT., p.17ff.
(26) Ibid., p.19
(27) SANT., p.22f.

(٢٨) ونقارن هذه التسمية الاكدية للعالم الاسفل مع ما ورد في العهد القديم من تسمية عبرانية للعالم الاسفل « شيئول » وهي (ابادون:) التي تعني «الخربة» أو «موضع الخراب» :
(ايوب ٦:٢٦ ، ٢٢:٢٨ / المزامير ١٢:٨٨) ٠

الاسفل[29] .

١٦ - « القفـــراء » (كي-آري-آ) وهـــو مصطلـــح سومري للعالم الاسفل يرادفه بالاكدية (نمو : أو (نموتي :بمعنى المكان القفر[30] ، وهو يشير بوضـــوح الى القفرالذي يسود العالم الاسفل والى خلوه من سمات الحياة .

١٧ - « الجبـل » (كـر) مصطلح ســومري يشـير الى العالـم الاسفل يرادفه بالاكديـة (نمو) أو (نموتي) بمعنى المكان القفر[30] ، الاسفل[31] ، ويرادفه بالاكدية (شدو) و (خرشانو)[32] . وقد كـان لكلمـة « كـر » عـدة معـاني فقـد وردت ضـمن اشـارة موجـزة في مقـدمـة الاسـطورة السومريـة المعنونـة « كلكامش وانكيـدو والعالم الاسفل » باعتبارها اسما لوحش خرافي تروي الاسطورة الواردة في تلك المقدمة ان صراعا حدث بينه وبين الالـه «انكي» (ايـا) وذلك بعد الاسطر الخاصة بالخليقة مباشرة مما يمكن الاستنتاج منه بان ذلك الصراع قد وقع بين الاله والوحش بعد انفصال السماء عن الارض ، وبالرغم من ان الغموض يطغي على النص الا انه يمكن معرفة ان انكي قد شرع بالسفر في سفينته الى «كور» لغرض غير معلن بوضوح في النص وهناك اخذ «كر» يقاتله قتالا وحشيا بجميع أنواع الاحجار وهجم على سفينة «انكي» من مؤخرها ومقدمها مسلطا عليها المياه الاولى التي يسيطر عليها ، وعنده هذا الحد تنتهي المقدمة القصيرة لينتقل النص الى رواية قصـة «كلكامش»

---

(29) SANT., p.17

(30) Ibid., p.22f.

(٣١) « اسطورة نزول اناننا الى العالم الاسفل » : ٣٢

(32) SANT., p.23ff.

و «انكيدو» والعالم الاسفل(٣٣) ، كما انها ترد في العديد من النصوص الكتابية لتعني « البلاد الاجنبية » ، الا ان المعنى الذي اعتقد ان له علاقة باطلاقه على العالم الاسفل هو « الجبل » وارجح أن يكون السبب في هذه العلاقة عائدا الى احدى الاساطير السومرية عن الاله «ننورتا» حيث ترد الاشارة الى «كر» في بداية الاسطورة باعتباره مقاما لشيطان المرض والحمى «آساك» وتروي الاسطورة ان الاله «ننورتا» شن الحرب على هذا الشيطان وتمكن من قتله الامر الذي أدى الى حدوث سلسلة من الكوارث على بلاد سومر حيث ان المياه الاولى الموجودة في «كر» صعدت الى الارض ومنعت المياه العذبة من الوصول الى الحقول والبساتين وفي آخر الامر كوم الاله «ننورتا» الاحجار على «كر» وجعلها بهيئة سور عظيم يحمي بلاد سومر فصدت هذه الاحجار « المياه القوية » ثم قام الاله بجمع المياه الاولى التي غمرت البلاد وحصرها في دجلة التي اصبحت الآن قادرة على ري الحقول(٣٤) ، وتكريما للالهة الخالقة «نن خرساك» فقد سمى الاله «ننورتا» السد الذي اقامه «خرساك» التي ترادف «كر» في المعنى ، ومن هنا فعلى الارجح ان المطابقة ما بين الجبل وبين العالم الاسفل منشؤها مما فعله الاله «ننورتا» من تكديس الاحجار واطلاقه اسم الجبل عليها ، اذ ان هذا الركام من الاحجار (أي الجبل) كان يحجز العالم الاسفل «كر» عن عالم الاحياء (على سطح الارض) وبالتالي فانه يشكل بطريقة ما مدخلا الى ذلك العالم اضافة الى مطابقته له وهذا ما يتضح من الاشارات المتوافرة في النصوص الكتابية والتي تدور حول أسر بعض الالهة ، مثل الاله «مردوخ» ، في الجبل ثم عودته الى الحياة منه وكذلك ما مثل من مشاهد

---

(٣٣) صموئيل كريمر ، من الواح سومر ، القاهرة ١٩٥٧ ، ترجمة طه باقر ، ص٢٨٤-٦

(34) KS., p.151

على الاختام الاسطوانية وهي تصور خروج الاله الاسير من الجبل الذي يطابق العالم الاسفل (وقد سبق أن فصلنا الحديث عن هذا الموضوع في الفصل الاول من البحث) ٠

١٨ ـ « البيت الجبل » (اي ـ كر) بالسومرية و (ايكرو) بالاكدية[٣٥] ، كما سمي العالم الاسفل ايضا « البيت الجبل الحصين » وبالسومرية (اي ـ كر ـ باد)[٣٦] ، ونشير هنا الى ان هذه التسمية كانت مشتركة بين العالم الاسفل ومعبد الاله «انليل» في مدينة «نفر» ٠

١٩ ـ «خبر» : وكان هذا الاسم بالاصل خاصا بنهر العالم الاسفل[٣٧] ، الا انه استعمل ايضا للدلالة على العالم الاسفل ككل في عدد من النصوص الكتابية القديمة[٣٨] ٠

٢٠ ـ « مسكن اركالا » (مشب اركالا) أو (شبات اركالا)[٣٩] وهي تسمية أكدية للعالم الاسفل ، و «اركالا» لقب لالهة العالم الاسفل «ايريش ـ كيگال» وكان يقتصر احيانا في الدلالة على العالم الاسفل على هذا اللقب فقط اي «اركالو» أو «اركالم»[٤٠] ٠

٢١ ـ « بيت دموزي » (اي ـ دموزي) بالسومرية

(35) SANT., p.26

(36) ARBA., p.354

(٣٧) يراجع موضوع وصف العالم الاسفل في نفس هذا الفصل بخصوص نهر « خبر » ٠

(38) SANT., p.33f.

(٣٩) « نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٤ ، « ملحمة گلگامش ـ اللوح السابع : ٣٣

(40) GE., p.171

و « بيت تموز » بالاكدية[41] ، ولعله بالامكان القول بأن هذه التسمية للعالم الاسفل خير دليل على عدم وجود الاعتقاد بالبعث السنوي للاله «دموزي» (تموز) منه بعد نزوله الى ذلك العالم وانضمامه الى مجمع الآلهة الموجودة هناك (وهو الرأي الذي ذهبت اليه في الفصل الاول من البحث ، مما استحق معه اعتباره بيتا له ٠

٢٢ ـ « بيت الظلام » (بيت اكليتي) وهي تسمية أكدية للعالم الاسفل[42] تشير الى حلكته وانعدام النور فيه[43] ٠

٢٣ ـ «بيت الاسر » (بيت ميسر) وهو مصطلح أكدي يشير الى العالم الاسفل[44] ٠

٢٤ ـ « كوتو »[45] ، وقد كان هذا الاسم بالاصل خاص بالمدينة الاكدية « كوتو » (وفي التوراة كوثى . تل ابراهيم حاليا جنوب بغداد بحوالي ٥٠ ميلا) الا انه اصبح يستعمل للدلالة على العالم الاسفل منذ أن أصبح الاله « نركال » اله الوباء والموت ملكا وحاكما فيه[46] حيث انه كان الاله الرئيس في تلك المدينة ، وسنأتي على قصة صيرورته ملكا على العالم الاسفل في موضوع آلهة العالم الاسفل فيما يلي من هذا الفصل ٠

---

(41) ARBA., p.354 ; SANT., p.36

(٤٢) « ملحمة كلكامش » ، اللوح السابع ـ العمود الرابع : ٣٣

(٤٣) ونقارن هذه التسمية الاكدية مع الاشارة الواردة في العهد القديم : « لان العدو قد اضطهد نفسي سحق الى الارض حياتي ٠ اجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر » (المزامير ١٤٣:٣) والتي تدل بوضوح على اعتقاد العبرانيين بظلمة عالم الاموات وهو ما يشابه المعتقد العراقي القديم ٠

(44) SANT., p.37f. ; ref. TUL., 25,6

(٤٥) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٤٠

(46) ARBA., p.354

٢٥ ـ « المدينة العظيمة » (اورو ـ كال) وهو مصطلح سومري اطلق على العالم الاسفل(٤٧) ٠

٢٦ ـ « البيت الذي لا يخرج من يدخله » (بيتي شا اربشو لا آصو: وهذا من الاوصاف الاكدية للعالم الاسفل(٤٨) ٠

٢٧ ـ «الطريق الذي لارجعة لسالكه» (خراني شا الكتشا لا تارت)(٤٩) وهذه ايضا من الاوصاف الاكدية للعالم الاسفل ٠

٢٨ ـ « كانزر » وهذا الاسم كان بالاصل خاص بالبوابة الاولى للعالم الاسفل(٥٠) الا انه اطلق على ذلك العالم ككل ايضا(٥١) ٠

وقبل ان انتهي من الحديث عن موضوع اسماء وصفات العالم الاسفل اجد انه لابد من التطرق بشكل موجز الى ما ذهب اليه بعض الباحثين(٥٢) من أن اسم العالم الاسفل عند العبرانيين « شيئول » مشتق من أصل بابلي هو « شاآلو » الذي يعني « سؤال » وانه كان يطلق عند البابليين

---

(47) SANT., p.2f.

(٤٨) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٥ ، «ملحمة كلكامش»، اللوح السابع ـ العمود الرابع : ٣٤ ٠

(٤٩) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٥ ، «ملحمة كلكامش»، اللوح السابع ـ العمود الرابع : ٣٥ ٠

(٥٠) وسنأتي على شرح هذا الاسم ومدلوله في موضوع وصف العالم الاسفل في ما يلي من هذا الفصل ٠

(51) CAD., Vol. 8 ; kanisurru, p.152

(52) M. Jastrow, The Religion of Babylonia and Assyria, p.559

على العالم الاسفل ، وكذلك ما ذهب اليه آخرون[53] من ان السبب في اشتقاق هذا الاسم للعالم الاسفل من الجذر الذي يحمل معنى السؤال يعود الى الاعتقاد بأن عالم الاموات كان موضعاً يوجه اليه السؤال حيث ان أرواح الموتى مزودة بالقدرة على الاجابة على الاسئلة الموجهة لها من قبل الاحياء ، والحقيقة ان الاستنتاج بان اسم « شيئول » مشتق من جذر بابلي يعود بالاصل الى باحث قديم هو الاستاذ « فردريك ديلج »[54]، الا ان هذه الفكرة بأكملها قد فندت منذ أمد بعيد من قبل الاستاذ بيتر ينسن الذي اثبت بشكل قاطع عدم صحة اشتقاق كلمة « شيئول » من الجذر البابلي « شا ئو »[55] ، وعلى العموم فان مصطلح « شيئول » العبراني يأتي لندلالة على عالم الاموات والقبر وحالة الاموات وحافة الموت وما أشبه ذلك[56] .

موقع العالم الاسفل ومداخله :

قسم سكان بلاد وادي الرافدين القدماء الكون الى ثلاثة اقسام ، الاول منها السماء ، التي اعتبرت مقرا للآلهة ، والثاني الارض التي يسكن عليها البشر والثالث هو ما يفصل بينهما حيث اعتبروه عالم الما بين وجسدوه بالاله «انليل» (السيد الهواء) ، وقد قسمت الارض بدورها

---

(53) Percy S. P. Handcock, Mesopotamian Archaeology , (London, 1912), p.401

(54) GE., p.173 .. ref. Wo Lag Paradies ?, (Leipzig, 1881), p.121

(55) GE., p.173 .. ref. Die Kosmologie der Babyloier, (Strassburg, 1890), p.222-4

(56) GE., p.173

الى ثلاث طبقات حيث يرد تحديدها في أحد النصوص المسمارية عثر عليه في مدينة «آشور»(٥٧) بأنها « الارض العليا » التـي يسـكن عليها البشر و « الارض الوسطى » التي اعتبرت مقام الاله «انكي» (أيـا) و « الارض السفلى » وهي العالم الاسفل(٥٨) ، وكما هو واضح من هذا التقسيم ومما نملكه من اشارات ان مقام الاله «انكي» كان فـوق سـطح العالم الاسفل مباشرة حيث ترد الاشارة في قصة «كشكانو» كما يلي :

« ان مقام انكي في اريـدو ممتلىء بالمحصـول ،
هناك حيث يمتد سـطح العالم الاسفل تـوجد
غرفة « نمو »(٥٩) .

أما بالنسبة لمداخل العالم الاسفل فاننا نستطيع تحديدها وفقا لما توفر لدينا من معلومات على النحو الآتي :

١ ـ القبر ، حيث اعتقد سكان وادي الرافدين القدماء بأنه يمثـل مدخلا للعالم الاسفل ويفضي الى داخله(٦٠) ، ومن هنا تتمثل اهمية دفن جسد الميت لضمان وصول روحه الى العالم الاسفل والا فانها تكون عرضة للقلق والاذى فيما اذا حرم جسده من الدفن وذلك للمشاق التي تعترض وصولها الى عالم الاموات كما هو ظاهر(٦١) .

٢ ـ هناك مدخل آخر للعالم الاسفل يقع في الجهة الغربية البعيدة

---

(57) GE., p.170 .. ref. E, Ebeling, in Keilschrifttexte aus Assur Religiösen Inhalts, No.307 : 34-73

(٥٨) بخصوص هذا التقسيم لطبقات الارض تراجع الصفحة ١٧٣ .

(59) TITC., p.363 .. ref. CT., XVI ; 46-7, 187-92

(60) GE., p.170 .. ref. CT., XVII ; 37 : 1-10

(٦١) راجع الفصل الثاني من البحث بخصوص أرواح الذين لم تـدفن اجسادهم .

من الارض حيث مغيب الشمس ، وهذا ما يتضح من احدى التعاويذ التي تتعلق بطرد الارواح الشريرة حيث يرد فيها :

« يا شمش ! ان الشبح المرعب الذي جثم على ظهري منذ عدة أيام لا يرخي قبضته عني ، انه يلاحقني طول النهار ويرعبني طول الليل ، ان اضطهاده لي مستمر بلا انقطاع ، لقد جعل شعر رأسي يقف على نهايته ، انه يهاجم جبهتي ويجعل وجهي متقدا ، لقد جفف ريقي وايبس لحمي وانهك جسدي كله . فسواء كان شبحا لواحد من اقاربي أم كان شبح رجل مات ميتة قاسية أم كان شبحا تائها ، فأنا اتضرع اليك يا شمش أن تخلصني منه لقد هيأت ما يحتاجه : ثيابا للبسه وصندلا لقدمه وحزاما جلديا لعورته وقرابة لشربه واعددت شعيرا لرحلته ، دعه يذهب هناك ، حيث مغيب الشمس ليودع الى «نيدو» رئيس حجاب العالم الاسفل وعسى «نيدو» أن يشدد قبضته عليه ، عسى مفتاحه أن يغلق القفل عليه »(٦٢) .

ومن المحتمل أن يكون هذا المدخل قد استخدم لمرور الالهة مثل «تموز» و «عشتار» عند هبوطهما الى العالم الاسفل(٦٣) .

---

(62) GE., p.157 .. ref. TUL., pp.140-1

(63) Ibid., p.171

٣ ـ هناك بوابات خاصة تفضي الى العالم الاسفل في بعض المدن المهمة في بلاد وادي الرافدين مثل البوابة الموجودة في الوركاء والتي يرجح ان «انكيدو» قد دخل منها الى العالم الاسفل ليأتي بالـ «بكو» والـ «مكو» اللذين فقدهما «كلكامش» كما ورد في اللوح الثاني عشر من «ملحمة كلكامش» .

٤ ـ كان بالامكان النفاذ من والى العالم الاسفل بواسطة أي حفرة عميقة في الارض ، وهذا ما حصل حين طلب الاله «ايا» من الاله «نركال» بعد تضرع «كلكامش» له ، إن يفتح ثغرة في العالم الاسفل لتنفذ منها روح «انكيدو»(٦٤) . وقد تكررت الاشارة مرارا متعددة في كتابات الملوك عن وصول أسس القصور والمعابد التي شيدوها الى «صدر العالم الاسفل» (irat kigalli) وذلك في معرض المبالغة في وصف عمق أسس القصور والمعابد والتعميق فيها وكمثال على هذا نذكر ما ورد في أحد نصوص الملك سرجون حيث يذكر : «أقام اسسه (معبد اي-انا) في صدر العالم الاسفل كالجبل »(٦٥) ، ومع ان هذه الاشارات تأتي للدلالة على رسوخ أسس البناء الا انها تعبر بصورة واضحة عن عمق العالم الاسفل .

٥ ـ كان المعتقد عند سكان العراق القديم لن هناك سلما خاصا يوصل بين العالم الاسفل والسماء وتستخدمه الالهة عند نزولها أو صعودها من ذلك العالم الى السماء وبالعكس ، وقد وردت الاشارة لهذا السلم في اسطورة «نركال وايرش-كيكال »(٦٦) .

---

(٦٤) «ملحمة كلكامش» ، اللوح ١٢:٧٦-٨٤

(65) CAD. Vol. 8 ; kigallu, p.349

(٦٦) يراجع ملحق الرسالة «اسطورة نركال وايرش-كيكال» : ١٦-١٥ (نسخة سلطان تبه) .

وصف العالم الاسفل :

كان العالم الاسفل ، كما ذكرت آنفا ، يمثل الطبقة الاخيرة تحت الارض ، وفوق سقفه كانت تمتد مياه العمق ، وبعبارة اخرى كان بشكل تجويف هائل تحت الارض ، وحين احاول تقديم وصف لذلك العالم ، بالاستناد على ما توفر لدينا من معلومات مستقاة من النصوص الكتابية القديمة ، فلابد لي من التطرق أولا الى نهر العالم الاسفل المعروف باسم « خبر » والذي يوجد في العالم الاسفل ذاته حيث انه يتقدم اسوار مدينة الموتى ، التي سنأتي على وصفها بعد قليل ، والظاهر ان موضع نهر «خبر» وعلاقته بتلك المدينة كانت اشبه بموضع الخنادق التي تحفر حول اسوار المدن في عالم الاحياء وعلاقتها بتلك الاسوار حيث انها تحفر زيادة في التحصين بوجه القادمين اليها ٠ ولم يكن يسمح بعبور الموتى لنهر «خبر» للوصول الى الاسوار الا بعد انجاز الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين الى آلهة العالم الاسفل وهو ما تطرقنا اليه في الفصل الثاني من البحث اثناء الحديث عن انتقال الارواح الى العالم الاسفل وكذلك سنعود الى معالجته بالتفصيل في الفصل الرابع ، وكان يقوم بمهمة تعبير الموتى على ذلك النهر اله خاص به يدعى بالاكدية «خمط تبال» ويعني اسمه « احمل على عجل »[٦٧] ، والواقع ان لفظة «خبر» أكدية وقد ذكر اسم ذلك النهر في بعض النصوص السومرية بشكل (اي-لو-رو-گو) اي « النهر الذي يعبر منه الانسان » وهنا لابد أن نشير الى ان الشهر العاشر من السنة الآشورية والمسمى «تبت» والذي يتوافق مع شهر شباط كان يسمى احيانا « شهر (نهر) خبر » ولعل في هذا الشهر اشارة الى ازدياد فعالية

---

(٦٧) يراجع بشأنه موضوع آلهة العالم الاسفل في موضع آخر من هذا الفصل ٠

شياطين العالم الاسفل في هذا الشهر كما هي الحال بالنسبة لمعتقـــدات العبرانيين عن شهر شباط الذي اعتبروه شهر الشياطين(٦٨) ٠ وبعـد نهر «خبر» يأتي السور الاول من أسوار العالم الاسفل حيث توجد فيـه البوابة الاولى المسماة «گانزر» ومن المحتمل ان هذا الاسم يعني « دعنـي اتحرك »(٦٩) وعلى ما يبدو انه من أصل سومري حيث يكتب بالسومرية بالمقاطع (گا-آن-زى-ار) أو (گا-آن-زير) وكان يلفظ بالاكدية ايضا بصيغة «كانسرو»(٧٠) ، وقد استعمل اسم هذه البوابة للدلالة على العالم الاسفل أيضا كما أشرت في أثناء الحديث عن أسماء ذلك العالم ، وبعـد السور كانت تأتي الاسوار الستة الاخرى وكان في كل منها بوابة واحدة أيضا لا تعرف اسماؤها في الوقت الحاضر ، ويقوم بحراسة كل بوابة من هذه البوابات السبع اله خاص بها من آلهة العالم الاسفل الثانوية يراسهم الاله «نيتي» أو «نيدو» الموكل بحراسة البوابة الاولى ايضا ، أما عـــن مهمات هذا الاله وأسماء بقية الحجاب فسنأتي على تفصيل الحديث عنها في موضوع آلهة العالم الاسفل في موضع آخر من هذا الفصل ٠

ويوجد خلف الاسوار السبعة القصر الذي تقيم فيه الالهة «ايرش-كيگال» وعدد من اتباعها من الآلهة الصغرى والشياطين ، وهذا ما نستشفه من الروايتين السومريـة والبابليـة الخاصتين باسطورة « نزول انانا (عشتار) الى العالم الاسفل » التي تروي قصة مرورها عبر البوابات السبع للعالم الاسفل ومن ثم وصولها الى قصر اختها الالهة «ايرش-كيگال» وهو

---

(68) S. Langdon, Babylonian Menologies and the Semitic Calenders, p.38

(69) CAD., Vol. 5 ; Ganzir, p.43

(70) CAD., Vol. 8 ; Kanisurru, p.152

مقر مشيد من حجر اللازورد ويدعى «قصر العدالة» (اي-كال-كي-نا)(٧١)، وبالرغم من انه لم تصلنا معلومات محددة عن سائر تفاصيل العالم الاسفل الا انه يمكننا الاستنتاج اعتمادا على ما ورد في نص « موت اور-نمو »(٧٢) انه توجد قصور اخرى خاصة بالموتى المهمين من الملوك ورجال الدين الكبار ، وفي العالم الاسفل تحوم أرواح الموتى هائمة داخل أسواره ولانعلم بالضبط ان كان مجال وجودها مقتصرا على ما يحيط بـ « قصر العدالة » داخل السور السابع أو في المساحات المحصورة بين الاسوار ، غير انني استطيع الافتراض بأن الاحتمال الثاني هو الارجح استنادا على ما كان يرد في تعاويذ طرد الاشباح التي استشهدنا بعدد منها سواء في الفصل الثاني من البحث أم في هذا الفصل حيث كان المتضرع فيها لا يذكر سوى الاله «نيتي» حين يدعو الى تشديد الحراسة على الروح الشريرة في العالم الاسفل دون الاشارة الى البوابين الستة الاخرين وكما أشرت قبل قليل فان «نيتي» كان موكلا بالبوابة الاولى في السور الخارجي من اسوار ذلك العالم مما يدل على ان مكان وجود الارواح كان في كل مساحة خلف هذه البوابة ، أما حالة العالم الاسفل ، فكما أشرت أكثر من مرة فيما سبق من البحث ، وخاصة في موضوع أسماء العالم الاسفل فيما سبق من هذا الفصل ، كان معتما ممتلئا بالغبار الذي كان يغطي كل شيء فيه ، والحقيقة ان هذه الحالة ليست بعيدة عن واقع المناخ في العراق حتى في العصر الحديث حيث انه يحدث ولعدة أيام من فصل الربيع من كل عام أياما مغبرة يحجب فيها الغبار نور الشمس التي تصبح بشكل قرص قاتم

---

(٧١) « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » : ٧٢ ، و « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٦٨ ·

(٧٢) يراجع الفصل الثاني من البحث ·

في السماء[٧٣] ويغطي الغبار البيوت والابواب والشبابيك والاشجار وكل شيء ويغمر الضيق الناس أثناء ذلك ويعمهم الانزعاج وتطغى عليهم موجة من التوتر والقلق ، وعلى ما ارجح كان تصور سكان العراق القدماء للعالم الاسفل مستمدا من هذه الحالة التي كانوا يمرون بها كل عام[٧٤] ٠

« آلهة العالم الاسفل »

ونبتدىء الحديث في هذا الموضوع عن الالهين الزوجين الحاكمين فيه «ايرش-كيگال» و «نرگال» ثم اتباعهما من آلهة ثانوية وشياطين ٠

الالهة « ايرش ــ كيگال »

وهي الالهة الرئيسة في العالم الاسفل وكانت تحكم بمعاونة عدد كبير من الآلهة الاخرى والاتباع من صغار الآلهة والشياطين الذين كانوا مكلفين بتنفيذ أوامرها وتحقيق رغباتها ، والمقطع الاول من اسمها (ايرش)

---

(٧٣) يراجع الفصل الثاني بخصوص ما افترض عن نزول الاله الشمس « شمش » الى العالم الاسفل وردنا على اعتقاد الاستاذ كريمر بان العالم الاسفل يغمر بالنور اثناء ذلك ٠

(٧٤) ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان العرب في الجاهلية كانوا يطلقون على هذا الغبار اسم « الهابي » وهو نفس الاسم الذي اطلقوه على تراب القبر مما يثبت بان مصدر هذا الغبار من القبر الذي اعتبره سكان العراق القدماء امتدادا للعالم الاسفل كما سبق ذكره ، يراجع بخصوص هذه التسمية شرح معلقة النابغة الذبياني التي يقول مطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار
اقوى واقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بهابي الترب موار

لفظ أكدي يعني حرفيا سيدة أو ملكة[٧٥] ويرادفه بالسومرية (نن) أو (كاشان)[٧٦] ، وقد عرفت الآلهة «ايرش-كيكال» بعدة القاب نذكر منها «اللاتو»[٧٧] ، «اركالا» ، «لاز»[٧٨] ، «ماميتم» ، وقد وصفت تحت هـذا اللقب في « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » (السطر : ٧) بأن لها رأس عنزة ويدين وقدمين بشريتين ، ومـن القابهـا أيضـا « اما - أبزيكرا »[٧٩] ، «نن-كردا»[٨٠] و «اخاتـو ربيتو» ، ويعني هـذا اللقب «الاخت العظمى» و «رباتو صيرتو» اي «الاميـرة السامية» و «التو ربيتو» أي «الآلهة العظمى» و «شرت ارلـو» بمعنى «ملكة ارلو» و «شرت ارصيتي» أي «ملكة الارض» ، وكما سبقت الاشـارة في هـذا الفصـل فان «ارلـو» و «ارصيتي» من أسماء العالم الاسفل ، وقد عرفت الالهة «ايرش-كيكال» أيضا بلقب «تامتو»[٨١] و «بعلة-ارصيتي» أي «سيدة الارض» (أو سيدة العالم الاسفل) و « ساكنة معبد اورو-كال في كوثى »(آشيبت اى اورو-كال ان كوثى)[٨٢] .

وقد اعتبرت الآلهة «ايرش-كيكال» اختا لكل من الالهين «شمش»[٨٣]

---

(75) CAD., Vol. 4 ; eresu, p.281

(76) A. Deimel, Panthoen Babylonicum, p.119 ; No.101?

(٧٧) نشير هنا الى مشابهة هذا اللقب مع اسم الالهة « اللات » التي عبدت في الجزيرة العربية حتى العصر الاسلامي .

(78) A. Deimel, Op. Cit., p.120

(79) AG., p.307

(80) E. Douglas Van Buren, "The God Ningizzida", in Iraq, Vol. I, (London, 1934), p.63

(81) AG., p.308

(82) Ibid., p.308

(83) ELBA., (London, 1955), p.252

و «عشتار»(٨٤) وابنة للالهة «نن كلا»(٨٥) ، وذكرت تحت لقب «نن-كردا» بأنها ابنة الاله «انكي» (ايا)(٨٦) وزوجة الاله «ننازو»(٨٧) ، الـه الشفاء والطب وجعل الاله «نن-كنبزيدا» ابنا لهما(٨٨) ، غير ان الالـه «ننازو» اعتبر في مورد آخر ابنا لها(٨٩) ، في حين انه اعتبر في الاسطورة السومرية «انليل ونليل : ولادة الاله القمر «سين» ابنا للالهين انليـل ونليـل»

ويبدو أن ورود الاشارة الى الاله «ننازو» باعتباره ابنا لكل من الالهتين «ايرش-كيكال» و «ننليل» هو الذي أوحى للاستاذ «كريمر» بفكرة كون كلتا الالهتين شخصية واحدة باسمين مختلفين(٩٠) وهي فكرة وجيهـة الا انها بحاجة الى المزيد من الادلة الواضحة ، واضافة الى الالـه «ننازو» سمي الاله «كوكال-انا» زوجا للالهة «ايرش-كيكال» وذلك ضمن اشارة غامضـة في الاسـطورة السومريـة « نـزول انانا الى العالم الاسـفل » (السطر ٨٦)(٩١) ، وعلى العموم اعتبر الاله «نركال» زوجا وشريكا لها في حكم العالم الاسفل ، وسنتطرق بعد قليل الى اسطورة زواجهما هـذا كما ترويها الاسطورة الاكدية «نركال وايرش-كيكال» .

---

(٨٤) « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » : ٨٦ و « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٢٥ .

(85) AG., p.308

(86) TITC., p.24

(87) A. Deimel, Op. Cit., p.120

(88) E.D. Van Buren, Op.Cit., p.63 .. ref. CT., XXV, 5:16-70

(89) TITC., p.24

(90) SMR., p.155 ; No.10

(٩١) وقد سبقت مناقشة هذه المسألة في الفصل الاول مـن البحث ،

وبالنسبة لعبادة الالهة «ايرش_كيگال» على الارض فكل ما نعلمه عنها انها كانت تمارس بالدرجة الاولى في مدينة «كوثى» بالمشاركة مع زوجها الاله «نرگال» في معبده المسمى (اي_مسلام)[٩٢] ، الا انه لم يتوفر لدينا الدليل على وجود معبد خاص بها باستثناء اشارة وردت في أحد نصوص «حمورابي» تثبت بأنه خصص حصنا او سورا الى الالهة «لاز» (وهو كما ذكرت آنفا لقب للالهة «ايرش_كيگال») وذلك في السنة السادسة من حكمه[٩٣] ، ولهذه الاشارة أهمية كبيرة حيث أنها تثبت لنا ان تقديس الالهة «ايرش_كيگال» كان معروفا خلال العهد البابلي القديم.

أما عن الكيفية التي أصبحت فيها الالهة «ايرش_كيگال» ملكة على العالم الاسفل فقد اختلفت الاراء بخصوصها . وكان الرأي الذي قدمه الاستاذ «كريمر» ان الالهة «ايرش_كيگال» كانت بالاصل الهة سماوية ولكنها اختطفت بالقوة الى العالم الاسفل من قبل الشيطان «كر» الامر الذي أدى الى نزول الاله «انكي» الى ذلك العالم وقيامه بقتل «كر» وذلك استنادا الى الاسطورة السومرية (وهي الاسطورة التي أشرت اليها فيما سبق من هذا الفصل أثناء الحديث عن اسماء العالم الاسفل) التي لم يتبق سالما منها سوى أسطر لا يزيد عددها عن اثني عشر اكثرها غير كامل[٩٤] . الا ان الاستاذ «ياكوبسن» يختلف مع الاستاذ «كريمر» حول ترجمة الاسطر التي افترض «كريمر» انها تتحدث عن اختطاف الالهة

---

(92) E.A.W. Budge, Babylonian Life and History, p.108

(93) L.W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, Vol. I, p.170

(٩٤)صموئيل نوح كريمر ، من الواح سومر ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ترجمة طه باقر ، ص٢٨٤ .

«ايرش-كيكال» ، وقد بين ان تلك الاسطر تخلو من الاشارة الى الاختطاف، والواقع اني ارجح هذا الرأي المفترض استنادا الى الترجمة الجديدة التي اقترحها الاستاذ «ياكوبسن» لنفس الاسطر ، وهي بالشكل الآتي :

« بعد ان اخذ «آنو» السماء

بعد ان اخذ «انليل» الارض

وبعد ان اهديت الارض(٩٥) الى «ايرش-كيكال» مهرا لها

في العالم الاسفل ٠٠٠ »(٩٦)

وعلى العموم يفترض الاستاذ «ياكوبسن» ان المغزى من هذه الاسطورة تفسير كيفية صيرورة الاله «انكي» الها للمياه الموجودة فوق العالم الاسفل والفاصلة بينه وبين الارض وليس تفسير نزول الالهة «ايرش-كيگال» الى العالم الاسفل وصيرورتها حاكمة عليه ٠

الاله « نرگال »

كان الاله «نرگال» بالاصل الها للامراض والاوبئة وكان مركز عبادته في مدينة «كوتو» أو «كوثى» كما جاء ذكرها في العهد القديم (ويسمى موقعها حاليا - تل ابراهيم - في الجزيرة السفلى ما بين النهرين حوالي ٥٠ ميلا جنوب بغداد) حيث اعتبر الاله الرئيس فيها ، وتروي اسطورة « نرگال وايرش-كيگال » (سنأتي على تفصيل الحديث عنها بعد قليل) انه قد أصبح شريكا للالهة «ايرش-كيكال» في حكم العالم الاسفل بعد زواجه منها ، غير اننا نعلم بأن علاقة الاله «نرگال» بالعالم الاسفل تعود

---

(٩٥) المقصود بالارض (KI) هنا العالم الاسفل حيث انه يراد القول هنا « الارض العظيمة » (KI.GAL) اى العالم الاسفل وليس الارض التي يقيم عليها البشر ٠

(96) TITC., pp.121-3

في اصلها الى ولادته حيث انه ولد في ذلك العالم وفق ما ورد في الاسطورة السومرية المعروفة باسم «انليل وننليل ، ولادة الاله القمر سين (ننا)»(٩٧) وموجزها ، ان الاله «انليل» نزل الى العالم الاسفل مبعدا من قبل مجمع الالهة عقابا له على اغتصابه للالهة «ننليل» الا ان الاخيرة لحقت به الى هناك وهي حامل بابنهما الاله القمر «سين» (ننّا) مما اثار قلق الاله «انليل» من احتمال ولادة ابنه الاله القمر في العالم الاسفل المظلم مما يؤدي الى حرمانه من النور المعدوم في ذلك العالم ، فابتكر لتلافي ذلك حيلة غريبة اذ انه تقمص ثلاث مرات شخصيات ثلاثة من الهة العالم الاسفل الثانوية، وهم على التوالي ، حاجب العالم الاسفل الرئيس ، والاله الموكل بتعبير الموتى ، وصاحب «المعبر» كما تشير الاسطورة ، وقام في كل مرة بمضاجعة الالهة «ننليل» بدون علمها بحقيقة شخصيته ، وكان قصده من ذلك كله هو ان تحمل الالهة «ننليل» بآلهة اخرى تعتبر من نسل آلهة العالم الاسفل وتمكث في ذلك العالم بعد ولادتها بدلا عن ابنه «سين» الذي سيمكنه بعد ذلك الصعود الى العالم العلوي والتخلص من حلكة العالم الاسفل وهذا ما يتجلى بوضوح في الاسطر التي ترد على لسان الاله «انليل» في الاسطورة وهو متقمص لشخصية الحاجب الرئيس للعالم الاسفل حيث ترجمها الاستاذ «ياكوبسن» بالشكل الآتي :

« لتذهب الذرية الثمينة للملك الى السماء ، لتذهب ذريتي الى العالم الاسفل .

لتذهب ذريتي بدلا من الذرية الثمينة للملك الى العالم الاسفل »(٩٨)

---

(٩٧) وقد وردت الاشارة اليها في الفصل الاول من البحث

(98) TITC., p.110

أما الآلهة الثلاثة الذين حملت بهم الالهة «ننليل» نتيجة لمضاجعة الاله «انليل» لها في العالم الاسفل فهم «ميسلامتايا» (وهو كما سبق ان ذكرت لقب للاله «نرگال») و «ننازو» واله ثالث اسمه غير واضح في النص الا انه لايشك في كونه احد آلهة العالم الاسفل ، وتنتهي الاسطورة اخيرا بترنيمة قصيرة في تمجيد الاله «انليل» بصفته اله الخير العميم والرخاء والازدهار(٩٩) . ان ما يمكن استخلاصه من هذه الاسطورة هو أن الاله «نرگال» كان منذ البداية من آلهة العالم الاسفل وان استمرار عبادته على الارض وبناء المعابد والمزارات له في العديد من المدن القديمة واعتباره الها للاوبئة والامراض السارية بين البشر لم يكن يتناقض مع كونه واحدا من آلهة ذلك العالم ، وحتى حينما تتحدث الاسطورة الاكدية «نرگال وايرش-كيگال» ، والتي سنأتي الى الحديث عنها بعد قليل ، عن وجوده في السماء قبل نزوله الى العالم الاسفل فان هذه الاشارة لا تنفي كونه من آلهة العالم الاسفل ولم يكن المراد منها توضيح كيفية تحوله من اله سماوي الى اله للعالم الاسفل كما قد يتبادر الى الذهن وانما كان المقصود منها تفسير كيفية صيرورته زوجا للآلهة «ايرش-كيگال» وشريكا لها في حكم ذلك العالم الذي لم يكن من قبل الا واحدا من آلهته الذين كان بامكانهم الصعود الى السماء والمكوث فيها في احيان عديدة وهو ما حصل بالنسبة للالهين «تموز» و «نن-گشزيدا»(١٠٠) اللذين سنتطرق الى دورهما في العالم الاسفل والسماء وعبادتهما على الارض فيما سيلي من هذا الفصل واود الاشارة هنا الى ان هذا كله ينسجم مع ما ابديته من رأي في الفصل

---

(٩٩) كريمر ، المصدر السابق ص١٦٧ .

(١٠٠) .وقد وردت الاشارة الى وجودهما في السماء في اسطورة « ادابا » التي سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من البحث .

الاول من البحث(١٠١) بخصوص انضمام الاله «تموز» الى آلهة العالم الاسفل بعد اخذه اليه بالطريقة التي سبق شرحها وعدم وجود اي اعتقاد لدى سكان العراق القدماء بموته سنويا واسره في العالم الاسفل لفترة معينة ثم بعثه بعدها الى الارض ٠

وبالرغم من الاثبات الواضح في الاسطورة التي تحدثت عنها أعلاه لكون الاله «نرگال» ابنا للالهين «انليل» و «ننليل» الا انه اعتبر ايضا ابنا للاله السماء «آنو» حينا وللاله «ايا» (انكي) حينا آخر فيما اعتبرت الالهة «كوتو-شار» اما له(١٠٢) كما انه ذكر باعتباره ابنا للالهة «بعلة-ايلي»(١٠٣) وهو لقب كان يطلق بالدرجة الاولى على الالهة «دام-كينا» زوجة الاله «ايا»٠

أما اسم الاله «نرگال» (nè-iri(unu)-gal) فيعني حرفيا « سلطة المدينة العظيمة (العالم الاسفل) »(١٠٤) ، وقد اطلق عليه العديد من الالقاب والنعوت اذكر منها «المجم»(u-gur)، «اللاگلا» ، «اللامو»، «آلمو» ، «بل-تشا» و «بعل-صربي»(١٠٥) — ويعني هذا اللقب « سيد شجرة الصفصاف » — ، ومن القابه الاخرى «البطل» (dun-ga) «الموقد المقدس»،(hus-ki-a) «غضب الارض السفلى» ((é-) gir-kù) «غضب العالم الاسفل» (hus—uru) ، «العديم الشفقة» (la-ma-har)

---

(١٠١) تراجع الصفحات ٥٧-٦٨ ٠

(102) E.A.W. Budge, Op.Cit., p.108f.

(١٠٣) « ملحمة كلكامش » - اللوح الثاني عشر : ٧٨ ٠

(104) AG., p.389

(105) AG., p.389f.

«الذي لايترك» (la-ta-rak) ، «الرجل المرعب» (lú—hus) ، « ملـك البحار (السفلية) » (lugal-a-a(ba-ba)) ، « الملك المسبب لكوارث الشمس » (lugal-dù-sú-a) ، «ملك كوثى» (lugal-gú-du-aki) «الملك المحارب المرعب» (lugal-gud-si-su) ، «ملك (نهر) خبر» (lugal-hu-bur) ، «ملك النهر» (نهر لعالم الاسفل) (lugal-id-da) «ملك العين المظلمة» (lugal-igi-hukku-a) ، «ملك العالم الاسفل» (lugal-kés-da) ، «ملك غروب الشمس» (lugal-ki-dù-sú-a) «ملك الارض العظيمة» (lugal-ki-gu-la) «ملك مدخل العالم الاسفل» (lugal-ki-urù-ki) ، «ملك المحتوم» (lugal-sag-gi-a) «الملك السفلي (lugal-sig-ga) ، «الملك المتقمع» (lugal-sig-a) «ملك الطريق الطويل» (lugal-tillá) «ملك المدينة الغريبة او البرانية» أي الخارجيـــــة (lugal-uru-bar-ra) « ملـك المدينـة السفلية » (lugal-uru-sà-ga/gé) « المحـرق » (sar-ra-pu) «بطل المدينة العظيمة» (umun-uru-gal-la) (١٠٦) .

ولقد عرف الالـه «نرگال» منذ عصور مبكرة على انـه من الالهـة الشمسية ، وكما نعرف فان سـكان العراق القدماء كانـوا قـد جسدوا

(106) AG., pp.390-3

الشمس بهيئة اله سمي بالسومرية «اوتو» أو «ببّار» وبالاكدية «شمش».
وكان مركز عبادته في مدينة «سبار» بالقرب من مدينة اليوسفية الان وفي مدينة لارسا وقد حظي هذا الاله باهمية كبيرة في عقائد حضارة وادي الرافدين القديمة حيث انه اعتبر مصدراً للعدالة والقوانين كما يتضح من العديد من النصوص القديمة الحاوية على ادعية وابتهالات مرفوعة له وكما يتضح أيضا وبصورة جلية من مسلة «حمورابي» الذي صور نفسه على الجزء العلوي منها واقفا يتسلم رموز العدالة من الاله «شمش» ، ومن الواضح ان علاقة العدالة بالشمس تعود الى العدالة التي توزع بها الشمس اشعتها على الارض كما انها عند شروقها تغمر الارض باشعتها الباعثة للبهجة والطاردة للظلام الذي يستر الآثمين واللصوص والذي تنسل تحت جنحه الارواح الشريرة لتلحق الاذى بالناس ، الا انه في منتصف النهار وحين تصبح الشمس في وسط السماء مرسلة أشعتها الساخنة (وخاصة في فصل الصيف) فانها تتخذ بذلك صفة مغايرة تماما لصفة الاله «شمش» ولحل هذا التناقض ما بين صفات الاله (شمش) الخيرة وبين ما تسببه شمس منتصف النهار من حرارة في المناخ وأذى للانسان والحيوان على حد سواء وتكاثر الاصابات بضربات الشمس والحمى والاوبئة التي تكثر في المناخ الحار واخيرا الموت ، فقد جسد سكان العراق القديم الشمس وهي بهذه الحالة بالاله (نركال)(١٠٧) الذي كان الها للاوبئة والموت كما سبق ذكره ، وبخصوص علاقته بالاوبئة نذكر هنا ان الطاعون قد وصف في رسائل تل (العمارنة) في مصر بأنه (يد الاله نركال)(١٠٨) ، ومما يذكر

(107) ELBA., (1955), p.249

(108) A. Jeremias, The Old Testament in the Light of the Ancient East, p.139

بهذا الصدد ان الاله «نرگال» قد تطابق لصفاته هذه في كثير من الاحيان مع اله الطاعون (ايرا)(١٠٩) كما انه يطابق احيانا اله النـار (كبـل)(١١٠) لاشتراك صفة الحرارة بينهما ٠

وتوضح لنا الاسطورة الاكدية (نرگال وايرش ـ كيگال) (الملحقـة ترجمتها الكاملة في آخر البحث) الكيفية التي أصبح فيها الاله (نرگال) الهـا حاكما للعالم الاسفل ، وموجز هذه الاسطورة ان الألهة اقامت مأدبة حضرها جميع الآلهة باستثناء (ايرش كيگال) التي لم يكن بأمكانها مغـادرة العالم الاسفل فأرسلت وزيرها (نمتار) ليأخذ حصتها منها ويقدمهااليها، وعند دخول الاخير على مجمع الالهة وقف الجميع احتراما لـه باعتباره ممثلا لالهة العالم الاسفل (ايرش كيگال) عدا النهاواحداً وهو الالـه (نرگال) الذي لم يبد احترامه للرسول المبعوث من قبل آلهة عالـم الاموات ، وحين علمت هذه الآلهة بما حدث استشاطت غضبا وقررت الانتقام من الاله (نرگال) حيث طلبت مثوله في حضرتهـا في العالـم الاسفل ، وفعلا نزل الاله (نرگال) الى ذلك العالم بأمر من مجمع الالهة الا انه كان مزودا بعدة تعاويذ سحرية ومجموعة من الشياطين الذيـن أمرهم الاله (أيا) (انكي) بمرافقته لمقاومة الالهة «ايرش ـ كيگال» ، وبذلك تمكن «نرگال» من قهرها والتغلب عليها غير انه لما هم بذبحها تضرعت اليه طالبة الرحمة وعارضة عليها يدها وعرشها ، فقبل بذلك وتم زواجهما الذي اصبح (نرگال) بعده شريكا لـ (ايرش ـ كيگال) في حكم العالم الاسفل ، وهكذا تحاول هذه الاسطورة الاكديـة ان تفسر وجود الهين حاكمين في العالم الاسفل ، ولعل الباعث على ذلـك

---

(١٠٩) جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٤٢ ـ ٤٣ ٠

(110) Henri Hubert & Marcel Mauss, Sacrifice : its Nature and Function, (London, 1964), p.87

ما افترضه الاستاذ (ساكز)[111] بأن اسطورة (نركال) و (ايرش ـ كيكال) تعبر عن تغير في مكانة المرأة في مجتمع بلاد وادي الرافدين القديم ، اذ ان انفراد الهة انثى وهي (ايرش ـ كيكال) بحكم العالم الاسفل وفق التصور السومري لم يكن أمرا مقبولا من قبل الاكديين الساميين الذين كانت مكانة المرأة عندهم أقل من مكانتها عندالسومريين فوضعوا هذه الاسطورة التي تجعل للالهة (ايرش ـ كيكال) شريكا ذكرا في حكم العالم الاسفل وهو زوجها الاله (نركال) .

وفي صدد ذكر الاله (نركال) في التعاويذ نقتبس محتويات ثلاث تعويذات تلقي لنا الاولى منها الضوء على مركز الاله (نركال) ومكانته بين الآلهة الاخرى وعلاقته بهم من جهة وبالناس من جهة أخرى وهي مرفوعة اليه والثانية تتضمن وصفا لهيئته والثالثة تطلق اسماء آلهة أخرى على اعضاء جسده . وفيما يلي ترجمة هذه التعويذات الثلاث :ـ

١ ـ التعويذة الاولى :

(ايها السيد . القوي ، السامي ، الابن البكر لـ (ننامر[112])
حاكم الانوناكي ، اله الحرب
ذرية الالهة (كوتوشار)[113] ، الملكة العظيمة
نركال ! انت الاقوى بين الآلهة ، محبوب الالهة
(ننمينا)[114] .
انت المتألق في السماء اللامعة ، وذا المقام السامي
انت العظيم في عالم الاموات ، وليس لك من منافس

---

(111) GR., p.323

(١١٢) أحد القاب الاله «انليل» .
(١١٣) وهذه الالهة هي كما سبق ذكره ام الاله «نركال» .
(١١٤) لقب للالهة « كوتوشار » .

مشورتك في مجمع الآلهة مسموعة كمشورة الاله (ايا)
انت مشرق في السماء مع الاله (سين)
ابوك الاله (انليل) يشق بك وذوي الرؤوس السود
وكل الاحياء وحتى دواب الحقل وكل المخلوقات في
يدك)»(١١٥) ٠

٢ ـ التعويذة الثانية وتصف الاله (نركال) بأن له :
« قرني ثور ، وعرفا متهدلا على ظهر ، له وجه رجل ، ٠٠٠
جناحا ٠٠٠ ، له قدما اسد ، انه يقف منتصبا على اربعة
أرجل »(١١٦) ٠

٣ ـ التعويذة الثالثة وتصف اعضاء جسد الاله (نركال) بالشكل
الآتي :
« ان عينيه هما الالهين (انليل) و (ننليل) ، وحدقتيهما
الاله (سين) ، ردفيه الالهين (آنو) و (آنتو) ، اسنانه
هي الالهة السبعة «سبتو»(١١٧) ، واذنيه
الالهين (ايا) و (دام ـ كينا) ، ورأسه الاله (أدد) ،
ورقبته الاله (مردوخ) ، وصدره الاله (نبو) »(١١٨) ٠

---

(115) M. Jastrow, The Civilization of Babylonia and Assyria, p.207

(116) A. Jeremias, Op.Cit., p.140 .. ref. CT. IX, 121

(١١٧) عبد البابليون والاشوريون الآلهة السبعة التي يرجع انها النجمات المعروفة باسم « بنات نعش » (Pleides)
وقد وجد معبد في مدينة « خرسباد » بالقرب من نينوى كان مخصصا لعبادتها ٠

(118) S.H. Hooke, Babylonian and Assyrian Religion, p.34

وقد صور الاله (نرگال) على عدة اختام اسطوانية منها ختم يعود الى سلالة (بابل) الاولى يظهر فيها وهو يسدد رمحه الى صدر رجل واقع على الارض ويرفع بيده الاخرى سيفا مقوسا(١١٩) . ويوجد ختم اسطواني آخر يظهر فيه الاله (نرگال) وهو يمسك بيده اليسرى سيفا مقوسا وبيمينه صولجانا ذا فرعين ينتهيان برأس نسر ويضع أحدى قدميه على رجل منطرح على سفح تل وفي خلفية المشهد نقشت تسعة اعمدة من الكتابة مخصصة له(١٢٠) ، اما في العصور المتأخرة فقد اقترنت رسوم الاله (نرگال) على الاختام الاسطوانية بالشياطين(١٢١) .

أما الرموز التي اقترنت بالاله (نرگال) فقد تمثلت في قضيب ينتهي برأس أسد(١٢٢) ، كما كان يرمز له بصولجان له رأس تنين(١٢٣) ، وقد اعتبرت المطرقة ايضا رمزا له(١٢٤) ، وكان الحيوان الخاص به الاسد(١٢٥) ، ورمز اليه عند الآشوريين بالاسد المجنح(١٢٦)

---

(119) Custavus A.Eisen, Ancient Oriental Cylinder and other Seals with a description, p.70 ; No.60
(120) James B.Pritchard, The Ancient Near East in Pictures, (New Jersey, 1969), p.333 ; No.699
(121) H. Frankfort, Cylinder Seals, (Lonlon, 1939), p.176
(122) E. Douglas Van Buren, Symbols of the Gods in Mesopotamian Art, (Roma, 1945), p.177
(123) Ibid., p.145f.
(124) Ibid., p.160
(125) M. Jastrow, Op.Cit., p.207
(126) C.W. Ceram, Gods, Graves and Scholars, (London.1960), p.252

ايضا ، وقد وردت الاشارة اليه في (رؤيا الامير الاشوري عن العالـــم الاسفل) : السطر ١١ ، بأنه يجلس على عرش ملكي معتمرا تاج الملوكية ويمسك بكل يد من يديه صولجانا خاصا به ، واذكر هنا انه قد ورد ذكر الاله (نركال) في بعض النصوص بأنه (حامـــل السيف للالـــه انليل)(١٢٧) ، واختتم الحديث عن رموز الاله (نركال) بالاشارة الى ان الكوكب الذي اقترن به كان (المريخ)(١٢٨) ، الذي لم يـزل حتى الوقت الحاضر مقترنا بالموت والشر ، وكان عند الرومان اله الحرب والموت .

عبادة الاله «نركال» :

ان عبادة الاله (نركال) تعود في اصلها الى فترات تسبق العهـــد البابلي القديم حيث كان الها رئيسا لمدينة (كوثى)(١٢٩) (تـل ابراهيم حاليا) التي كانت مركزا أساسيا لاحدى دويلات المدن المتعددة فـــي بلاد وادي الرافدين وقد مارست السيادة كاقليم مستقل(١٣٠) ، الا انه بالرغم من ذلك ظلت تفاصيل تاريخها مجهولة والاشارات عنها قليلة الا فيما ندر أذ . اننا نعرف مثلا ان الملك الآشوري (سنحاريب) هاجمها واجبر ملكها المسمى (نركال ــ ناصر) على التســـليم واضـــرم فيهـــا النـــار(١٣١) ، وعلى العموم كان معبد الاله (نركال) في هذه المدينة يعرف

---

(127) S. Langdon, Sumerian Liturgies and Psalms, p.339 ..
ref. CT., XXIV, 10, 16

(128) A.T. Olmstead, History of Assyria, p.592

(١٢٩) وقد اقترن اسم هذه المدينة باسطورة سميت « اسطورة الخليقة الكوثية » وهي اسطورة لا علاقة لها بقصـــة الخليقة البابلية ، وسنأتي في الحديث عنها قبيل نهاية هذا الفصل .

(130) M. Jastrow, Op. Cit., p.206

(131) A.T. Olmstead, History of Assyria, p.592

باسم (أي ـ ميسلام) او (ميسلام) ويعني حرفيا «شجرة الميسو» اليانعة[١٣٢] ويبدو ان اسم هذا المعبد مشتق من أحد القاب الاله (نركال) وهو (ميسلامتايا)[١٣٣] الذي يعني حرفيا «ذرية ميسلام» أي الخارج من ميسلام ، ويعود تاريخ هذا المعبد الى عصر (سلالة أور الثالثة) حيث قام بتشييده ثاني ملوكها (شلكي) كما يذكر ذلك في أحد نصوصه(★) ، والواضح من هذه الاشارة ان سلطان ملوك سلالة أور الثالثة قد وصل الى مدينة (كوثى) التي تعتبر من مدن بلاد (أكد) . كما ان «كوديا» امير «لكش» يذكر في احد نصوصه بأنه بنى معبدا في منطقة (كرسو) وخصصه لعبادة الاله (ميسلا متايا) (نركال)[١٣٤] ، وفي وقت معاصر تقريبا لسلالة (كوديا) في «لكش» في الفترة ما بين السلالة الاكدية وسلالة اور الثالثة ، مورست عبادة الاله (نركال) من قبل الحوريين حيث عثر في منطقة (سامراء) وبالتحديد على بعد «٦٠» كيلومترا شمالي بغداد على لوح من البرونز موجود في متحف (اللوفر) في (باريس) يحتوي على كتابة منقوشة من قبل حاكم حوري يدعى « آريشن » يعرف فيها نفسه بأنه ملك (اوركش) و (ناوار) ، وهما منطقتان واسعتان في الشمال ، الى الشرق من نهر دجلة ، ويعلن بأنه قد بنى معبدا للاله (نركال) في تلك المنطقة التي عثر فيها على

---

(132) TITC., p.33f.
(133) Ibid., Loc. Cit.
★ G.A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, (New Haven, 1929), p.276 ; No.7 : rev. 1-3
(134) Ibid., p.254 ; No. 18 : 1-6

اللوح(١٣٥) ، وقد خصص للاله (نركال) مزار خاص به في منطقة المعابد المقدسة في مدينة (نفر) مثله في ذلك مثل الآلهة (ننكرسو) اله مدينة «لكش» و «سين» اله مدينة (اور) و (مردوخ) اله مدينة «بابل»(١٣٦)، وحين اصبحت بابل عاصمة سياسية ودينية للبلاد انتقلت عبادة الاله (نركال) اليها واستمرت فيها حتى نهاية الدولة البابلية الحديثة(١٣٧) ، كما مورست عبادته في مدينة (ايسن) ايضا(١٣٨) ، وقد وردت الاشارة في أحد نصوص الملك البابلي الاخير (نبو نائيد) (نبو نيدس) بانه نذر ابنته «بيل-شالتي-ننا» لخدمة كل من الالهين «نركال» و «سين»(١٣٩) ، أما في بلاد آشور فقد عبد اسوة بالالهة الكبيرة التي كانت تأتي بعد الاله «آشور» في المرتبة مثل «شمش» «ننورتا» ، «سين» و «انليل»(١٤٠) . والواقع ان عبادة كل من الاله «نركال» والاله «ننورتا» لاقت اهتماما كبيرا من قبل الآشوريين فاق ما كان عند البابليين(١٤١) . وعلى العموم يمكن القول بأن ما يقرب من نحو (١٠٨) معبدا من المعابد والمزارات الموجودة في بلاد وادي الرافدين القديمة كانت مخصصة للاله «نركال»(١٤٢) ، وهذا وحده كاف للدلالة على مدى

---

(135) Jorgean Laessoe, People of Ancient Assyria, (London, 1963), p.83

(136) ARBA., p.18f.

(137) M. Jastrow, Op. Cit., p.206

(138) S.H. Hooke, Op. Cit., p.32

(139) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.54

(140) ARBA., p,18f.

(141) Robert William Rogers, The Religion of Babylonia and Assyria, (New York, 1908), p.86f.

(142) ELBA., p.279

انتشار عبادة الاله «نركال» في مدن العراق القديم ، ومما يجدر ذكره عن الاله «نركال» انه كان يطابق في زمن الكاشيين الالـه «شكامونا» الالـه الرئيس عندهم(١٤٣) ، وقد عبدته القبائل العربية في منطقة «الحضر» كما يدل على ذلك المعبد الصغير (الثامن) الذي كشفت عنه تنقيبات مديريـة الآثار العامة العراقية ووجد فيه أقدم نص آرامي من الحضر (القرن الثاني / الثالث الميلادي) وجاء فيه اسم معبد «نركال» وان الذي شيده قبيلتان عربيتان هما «تيم» و «بلعقب»(١٤٤) وقد طوبق الاله «نركال» في الحضر مع «هرقل» ووجدت له عدة تماثيل تصوره واقفا وهو يمسك بيده هراوة ثقيلة ، أما في خارج بلاد وادي الرافدين فقد انتشرت عبادته الى الغرب حيث عرفه العبرانيون وورد اسـمه في «العهد القديم» بصيـغة «نركول» واستمرت عبادته الى ما بعد ميـلاد المسيح حيث ورد ذكـره في نصـوص مدينة «تدمر»(١٤٥) ، كما عبدته ايضا الجالية الفينيقية في ميناء «بيرايوس» (ميناء اثينه) باليونان في القرن الثالث الميلادي بدليل ما وجد من نقوش فينيقية ـ يونانية هناك(١٤٦) .

وقد كان الشهر المخصص له «كسليف» وهو شـهر كانـون الاول ويكون ترتيبه التاسع في السنة البابلية التي تبتدىء في نيسان ، ومـن ضمن الشعائر التي تقام للاله «نركال» في هذا الشهر رفع المشاعل فـي

---

(143) M. Jastrow, Op. Cit., p.155 ; No. 54

(١٤٤) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضـر مدينة الشمس ، (بغداد ، ١٩٧٤) .

(١٤٥) جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٤٣ .

(146) G.A. Kook, A Text-Book of North Semitic Inscriptions, (Oxford, 1903), p.101

الليل في بيوت وشوارع المدن البابلية والآشورية وفي اليوم الاول منه يسكب الماء وينشر التمر في الهواء وفي السادس والخامس عشر منه يسكب الماء للالهة «ايرش-كيكال» زوجة الاله «نركال»(١٤٧) واضافة الى هذا الشهر كان اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان يشهد اقامة الشعائر المصحوبة بالترانيم الى الاله «نركال» ايضا(١٤٨) .

اتباع آلهة العالم الاسفل :

لقد كان الالهان «نركال» و «ايرش-كيكال» محاطين بالعديد من الالهة الصغرى والاتباع من الشياطين المتعددة الاصناف والاعداد ، وفي هذا الموضوع من البحث نذكر الآلهة الثانوية الموجودة في العالم الاسفل ومن ثم شياطين هذا العالم .

١ - « نمتار »

ويعني اسمه في السومرية «مقدر المصير» وكان بيده زمام ستين نوعا من الامراض والاوبئة(١٤٩) ويعتبر بمثابة الوزير للالهة «ايرش-كيكال» والمنفذ لاوامرها وقد وردت الاشارة في معرض وصفه بأنه يحمل سيفا مسلطا على البشر(١٥٠) ، وكان بامكانه تسليط الاوبئة التي يسيطر

---

(147) S. Langdon, Babylonian Menologies and the Semitic Calendars, p.138

(148) Ibid., p.81

(١٤٩) « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل » : ٦٧ - ٧٥ .

(١٥٠) رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » : ٢

بها حتى على الآلهة كما حدث بالنسبة للآلهة «عشتار» عند نزولها الى العالم الاسفل[١٥١] ، وقد نسبت الالهة المسماة «خشبيشاك» زوجة له[١٥٢] وورد اسمها احيانا بصيغة «نمتارتو» وهي الصيغة المؤنثة من اسمه ، وورد في معرض وصفها بأن لها رأس حيوان مركب يدعى «كوريبو» أما يداها ورجلاها فتشبه أيدي البشر وارجلهم[١٥٣] ، هذا وقد وصف «نمتار» في بعض النصوص بأنه «الابن المحبوب للاله انليل»[١٥٤] ويفترض بعض الباحثين[١٥٥] بأن أمه الالهة «ايرش-كيگال» نفسها ٠

٢ - « بعلة - صيري »

وهي كاتبة آلهة العالم الاسفل «ايرش-كيگال»[١٥٦] وكانت على ما يبدو تسجل لها مختلف شؤون العالم الاسفل مثل أسماء القادمين الجدد على سبيل الافتراض[١٥٧] ، وكما وضحت في الفصل الاول من البحث فان «بعلة-صيري» هي نفسها الالهة «گشتن-انّا» اخت الاله «دموزي» (تموز) التي نزلت الى العالم الاسفل للحاق به ، ولرغبتها في البقاء معه في ذلك العالم من جهة ولما عرفت به من سعة المعرفة من جهة اخرى فقد ضمت الى مجمع آلهة العالم الاسفل واستمرت في البقاء هناك على ما افترض بينما استمرت عبادتها على الارض دون ان يؤثر نزولها الى

(١٥١) « نزول عشتار الى العالم الاسفل » وجه الرقيم : ٦٧ - ٧٥ ٠

(152) A. Deimel, Op. Cit., p.189 ... CT., XVI ; 13, 15

(١٥٣) « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » : ٣

(154) A. Deimel, Op. Cit., p.189 ... ref. CT., XVI, 12:5

(155) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.108

(156) AG., p.66

(157) GE., p.172f.

العالم الاسفل في ذلك . وقد عرفت الآلهة «بعلة-صيري» بالقاب مختلفة منها «كاتبة السماء والارض» و «كاتبة الآلهة العظيمة»(١٥٨) ، والواقع ان اسمها «بعلة-صيري» يعني حرفيا « سيدة الصحراء (العالم الاسفل » اما «كشتن-انا» فيعني بالسومرية (خمرة السماء أو كرمة السماء)»(١٥٩) ، وقد طوبقت عند الساميين فيما بعد بالالهة «آشراتو»(١٦٠) .

وقد وردت عدة اشارات في بعض النصوص الآشورية بخصوص تقديم الضحايا البشرية لتمجيد الالهة «بعلة-صيري» ومنها نص يشير الى انه يتوجب حرق الابنة الكبرى للشخص الناكث بصفقة تجارية مع عشرين «كا» من خشب الارز تمجيدا للالهة «بعلة-صيري»(١٦١) ، ويرد في نص آخر يخص سيدة تدعى «منو-كي-اللا» تعهد مشابه حيث تذكر عن الذي يتراجع عن اتفاق بيع ثلاثة عبيد :-

« ابنه الاكبر ، أو ابنته الكبرى ، يجب أن تحرق تمجيدا ل «بعلة-صيري» مع كيل »اميرو« من التوابل الفاخرة(١٦٢)

الا انه يبدو ان هذه العادة توقفت مع بداية القرن السابع قبل الميلاد(١٦٣) .

٣ - « خمط - تبال »

وهو ملاح العالم الاسفل واسمه يعني حرفيا «احمل بسرعة» وكان

---

(158) GE., p.172

(١٥٩) جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٠ .

(١٦٠) نفس المصدر ، ص٥٠

(161) L. Delaporte, Mesopotamic, the Babylonian and Assyrian Civilization, (Lonlon, 1925), p.302

(162) Ibid., Loc. Cit.

(163) M. Jastrow, Op. Cit., p.358f.

يقوم بتعبير الموتى عبر نهر العالم الاسفل الذي مر ذكره باسم «خبر» وقد وصف بأن له رأسا يشبه رأس الطائر «زو» ويدين وقدمين بشريتين ، والحقيقة ان دوره كان مشابها لدور «خارون» في المعتقدات الاغريقية عن بعد الاموات والذي كان يقوم بنقل الموتى عبر نهر «اخيرون» في العالم الاسفل ويصور بهيئة شخص اسود بشع الخلقة يرتدي ملابس قذرة وقبعة وكان يطلب من كل ميت اجرته قبل أن ينقله عبر النهر(١٦٤) ومن هنا اعتاد الاغريق وخاصة في أدوارهم الكلاسيكية أن يضعوا في ايدي الموتى عند دفنهم نقودا ليدفعوها الى «خارون» اجرة له على تعبيره لهم وقد كشفت عن هذا الحفريات التي اجريت في المقابر الاغريقية الموجودة داخل اليونان وفي شمال افريقية ٠

٤ ـ حجاب العالم الاسفل السبعة :

لقد سبقت الاشارة في هذا الفصل الى ان العالم الاسفل كان محاطا بسبعة أسوار في كل سور منها بوابة ، وكان يحرس البوابة الاولى رئيس حجاب ذلك العالم المسمى «نيتي» أو «نيدو» وهو الذي كان يقوم بابلاغ أسماء القادمين الى العالم الاسفل للالهة «ايرش-كيكال» ويدخلهم اذا سمحت له بذلك الى حضرتها مرافقا اياهم عبر البوابات السبع للعالم الاسفل ، وهذا ما حدث للالهة «اتانا» (عشتار) في اسطورة نزولها الى ذلك العالم بروايتيها السومرية والآشورية ٠ وقد وصف «نيدو» بأن له رأس أسد ويدي بشر ورجلي طائر(١٦٥) ٠

---

(١٦٤) هاوك وهاور ، معجم الاعلام في الاساطير اليونانية والرومانية ص ١٨٣ ٠

(١٦٥) رؤيا الامير الاشورى عن العالم الاسفل : ٧ ٠

أما الحجاب الستة الاخرون للعالم الاسفل فلم تصلنا عنهم معلومات سوى اسمائهم التي وردت في اسطورة «نركال» و «ايرش-كيكال»(١٦٦)، وهم على التوالي بدءا من البوابة الثانية :

١ ـ « كشار » .

٢ ـ « انداشرمـا » واعتبرت « نداشرما » زوجة له(١٦٧) .

٣ ـ « انـــرلا » .

٤ ـ « اندكـكا » وقد وردت اليه الاشارة في نص «موت كلكامش» واعتبرت « نندككا » زوجته(١٦٨) .

٥ ـ « اندشـــبا » .

٦ ـ « انكيكي » .

٥ ـ « ايشوم »

وهو اسم أكدي لاحد آلهة العالم الاسفل وقد عرف بالسومرية باسم «خيندرساك» ، ووصف في أحد النصوص المسمارية بأنه « الرسول العظيم ومشير الآلهة »(١٦٩) وزوجته هي الالهة «نن-مك»(١٧٠) ، ووردت الإشارة عنه في « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » (السطر ١٦) بأنه مستشار الاله «نركال» في ذلك العالم ، وقد ذكر في تعاويذ طـــرد الارواح الشريرة بأنه حاكم ذلك العالم(١٧١) ، أما على الارض فقد اعتبـر

---

(١٦٦) الاسطر : ٤١ أ ـ ٤٧ أ

(167) ANET., p.51

(168) Loc. Cit.

(169) A. Deimel, Op. Cit., p.141

(170) Ibid., p.142

(171) CAD. ; ersetu : p.311

الهاً مجسداً لنهر دجلة فيما كان الاله «شبالا» مجسداً لنهر الفرات(١٧٢)، وقد مورست عبادته منذ عصر فجر السلالات الثالث تقريبا حيث ورد أقدم ذكر له في أحد نصوص «اي-اناتم»(١٧٣) وكان له مزار في مدينة «اور»(١٧٤)

- « نن - كشزيدا »

ابن الالهة «ايرش-كيكال» وقد اعتبر الاله «ننازو» أبا له(١٧٥) في بعض الاحيان وفي أحيان اخرى اعتبر ابنا للاله «نركال»(١٧٦) ، أما زوجته فهي الالهة «ننازيموا»(١٧٧) ، وكان الاله «ننكشزيدا» الها رئيسا لمدينة ورد اسمها بهيئة «كشباندا» وهي قريبة من «اور» في جنوبي العراق اضافة الى كونه احد آلهة العالم الاسفل(١٧٨) ، واسمه يعني حرفيا «سيد الشجرة الطيبة» . وقد وردت الاشارة الى دوره في العالم الاسفل باعتباره رسولا (guzalu) فيه(١٧٩) ، وكان الحيوان الخاص بـه

---

(172) AG., p.13
(173) KS., p.309
(174) Th. Jacobsen, in The Gimilsin Temple and the Palace of the Rulers at Tell Asmar, p.110
(175) E. Douglas Van Buren, "The God Ningizzida", in Iraq, Vol., I, (London, 1934), p.63
(176) S. Langdon, Sumerian and Babylonian Psalms, (Paris, 1909), p.160 ; No.4 ... ref. Cuneiform Inscriptions of Western Asia, Texts of the British Museum, IV, 30 : No. 2:15
(177) TITC., p.24
(178) Loc. Cit.
(179) AG., p.75

الثعبان ويصور أحيانا بهيئة انسان ينتصب على كل كتف من كتفيه ثعبان[180] ، وكان يرمز اليه في الرسوم بثعبانين مضفورين احدهما بالاخر[181] .

وقد وردت الاشارة الى الاله «ننكشزيدا» في اسطورة «ادابا»[182] بأنه يقف بحراسة بوابة الاله السماو «آنو» برفقة اله آخر من آلهة العالم الاسفل هو الاله «تموز» وهذا أمر يؤيد امكان وجود بعض آلهة العالم الاسفل في السماء دون أن يتطلب ذلك تغييرا في أفكار الناس عن كونهم من آلهة عالم الاموات .

٧ ـ « آللو خبو »

ويعني اسمه المختطف أو القابض[183] ، وقد وصف بان له رأس أسد وايدي واقدام بشرية[184] .

٨ ـ « نصير الشر » او « الموكل بالشر »

مخلوق له رأس طير واجنحة ويدان وقدمان بشرية وهو يطير ذهابا وايابا في العالم الاسفل[185] .

---

(180) TITC., p.24

(181) E.D. Van Buren, Symbols of the Gods in Mesopotamian Art, p.40

(١٨٢) الكسرة ب : ٢٠

(183) AG., p.18

(١٨٤) « رؤيا الامير الآشورى عن العالم الاسفل » : ٤

(١٨٥) « رؤيا الامير الآشورى عن العالم الاسفل » : ٥

٩ ـ « اوتوكو »

وهو اسم اطلق على احد الآلهة الصغرى في العالم الاسفل ووصف بأن له رأس أسد وأطرافاً مشابهة لاطراف الطائر «زو»(١٨٦) ويعتبر رسولا للالهة «ايرش-كيكال»(١٨٧) ، كما ان هذا الاسم كان يطلق ايضا على صنف من شياطين العالم الاسفل غير معروفي العدد بالضبط الا ان العديد من التعاويذ تحددهم بسبع(١٨٨) ومعنى اسمه «الشرير» .

١٠ ـ « شلاك »

أحد الالهة الصغرى في العالم الاسفل(١٨٩) وقد وصف بأن له جسم أسد منتصب على قدميه الخلفيتين(١٩٠) .

١١ ـ « ممو ـ لمنو »

ويعني اسمه « كل ما هو شر » . له رأسان احدهما رأس أسد(١٩١)

١٢ ـ « لوكال ـ سولا »

ويعني اسمه «ملك الذباب» ومن اسمائه الاخرى «پيتو» و «آتو»(١٩٢)

---

(١٨٦) « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » : ٦
(187) AG., p.75
(188) ELBA., (1966), p.254
(189) AG., p.465

(١٩٠) « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » : ٦
(١٩١) « رؤيا الامير الآشوري عن العالم الاسفل » : ٧
(192) AG., p.357

ووظيفته في العالم الاسفل أن يقود الخارجين عليه وهذا ما يشير اليه اسمه كما ترد الاشارة اليه في « رؤيا الامير الأشوري عن العالم الاسفل » (السطر ١٩) .

هذا وترد الاشارة في نص «موت كلكامش» الى آلهة اخرى موجودة في العالم الاسفل لانعرف عنهم اكثر من اسماؤهم وهم «انمل وزوجته»(١٩٢) كما وردت الاشارة الى وجود الاله «شلباية» وهو زوج الالهة «ننخرساك» وأحد أربعة آلهة خلقت بلاد سومر ، في العالم الاسفل ايضا وكذلك الى وجود الاله «سموكان»(١٩٤) .

شياطين العالم الاسفل :

تقسم معتقدات سكان العراق القدماء الشياطين الى ثلاثة أصناف حسب الاصول التي تنحدر منها ، فالصنف الاول كان كما يوصف في النصوص القديمة بأنه « ذرية الاله العظيم آنو »(١٩٥) ويقصد بهم الشياطين المنحدرة من أصل سماوي ، ولا علاقة لهذا البحث بهم ، والصنف الثاني من أصل بشري وهم أشباح الموتى الذين تحدثت عنهم بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث ، أما الصنف الثالث فينحدرون في اصلهم من العالم الاسفل ، وهم موضوع حديثنا هذا ، وكانوا حشدا غفيرا من مختلف الانواع والاعداد ولهم القدرة على الحاق الاذى بأرواح

---

(193) ANET., p.51
(194) Ibid., p.52
(195) H.W.F. Saggs, Everyday Life in Babylonia and Assyria, (London, 1967), p.184

الموتى الموجودة في العالم الاسفل(١٩٦) وبكل المخلوقات على الارض كما تشير الى ذلك احدى التعاويذ التي تصفهم على النحو الآتي :

« انهم ليسوا ذكورا ولا اناثا

انهم الرياح الهابة المهلكة

ليست لهم زوجات ولا ذرية

لا يعرفون شفقة ولا رحمة

ولا يستجيبون لتضرع ولا لدعاء

انهم كالخيول الجامحة في الجبال ، يناصبون الاله

«اياء» العداء

انهم حاملو عرش الآلهة

يقفون في الطرق ويلوثونها

انهم شر ، وكل الشر

انهم سبعة وسبعة

انهم سبعة مضاعفة(١٩٧)

وكانوا يحوزون على قدرات لايمكن أن يقف ازاءها شيء إذ ، تذكر احدى التعاويذ في معرض الحديث عنهم :

« عبر الاسوار العالية السميكة ، يمرون كالطوفان

يمرقون من بيت لبيت

---

(196) M. Jastrow, Hebrew and Babylonian Tradition, (New York, 1914), p.202f.

(197) ARBA., p.311

لاحظ استعمال رقم ٧ للتعبير عن ١٤ ، وقد ورد ما يضاهي ذلك في الاستعمالات الطقوسية اليونانية حيث عبارة (Dis hepta) للتعبير عن رقم ١٤ ، مثل الاستعمال الوارد في ملحمة كلكامش « سبعة وسبعة قدور » .

لا يمنعهم باب ولا يصدهم مزلاج

فهم ينسلون عبر الباب كانسلال الافاعي

ويمرقون من فتحته كالريح

ينتزعون الزوجة من حضن زوجها

ويختطفون الطفل من على ركبتي ابيه

ويأخذون الرجل من بين اسرته(١٩٨)

أما الاسماء التي كانت تطلق عليهم فتعبر في معانيها عن دورهم المخرب وعما يسببونه من أذى ودمار ، ومن تلك الاسماء « الآخذ » (Ahhazu) «المتربص» (Rubisu) ، «المخرب» (Labassu) «روح الليل» او «شيطان» (Lilu) وانثاه «ليلتو»(١٩٩) ، وكانوا يصورون بهيئة مخلوقات مسخة بشعة الخلق والهيئة سفاكة للدماء لا تستثني في هجومها وضررها حتى الآلهة(٢٠٠) وكانوا كما تصفهم احدى التعاويذ : « يهاجمون قطعان الماشية في المراعي وينشرون الامراض في اسطبلات الخيول ، يملأون فم الحمير بالطين ويحلون الوباء في بيت الاتان »(٢٠١) ، وعندما يهاجمون البشر يختص كل صنف منهم بمهاجمة عضو معين من جسد الضحية ويكون سببا لعلته ، فـ «اشاكو» يسبب

---

(198) ARBA., p.311f.

(199) M. Jastrow, The Vivilization of Babylonia and Assyria, p.242f.

(٢٠٠) وهو مالاحظناه في الفصل الاول عند الحديث عن اخذ الاله « دموزى » الى العالم الاسفل وعن مهاجمتهم للاله « سين » في السما(.

(201) GB., p.292

الصداع و «اتوكنو» (الذي كان يطابق في بعض الاحيان أرواح الموتى الشريرة) يهاجم البلعوم ، و «آلو» يهاجم الصدر و «اطمو» (وهو يطابق ايضا أرواح الموتى أو الاشباح الشريرة التي سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من البحث) يهاجم الخاصرة و «رابيصو» يسبب أمراض الجلد والشيطانة «لبرتو» تسبب الكوابيس والرؤى المزعجة و «لباسو» يسبب الصرع[٢٠٢] . وكان شياطين العالم الاسفل هم الذين يقومون بنقل البشر ، الذين تقرر الآلهة موتهم . الى العالم الاسفل حيث ترد الاشارة بخصوص ذلك في «ملحمة كلكامش» حيث يتحدث «كلكامش» عن موت صديقه «انكيدو» فيقول : « لقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني »[٢٠٣] .

وللتخلص من ملاحقة شياطين العالم الاسفل للناس ، كان هؤلاء يلوذون بمعبد يسمى «بيت رمكي» حيث يوجد كاهن من صنف «آشيبو» (وقد سبقت الاشارة الى دوره في طرد الارواح الشريرة في الفصل الثاني من البحث) كان يقوم باداء مراسيم طرد الشياطين والارواح الشريرة[٢٠٤] بمساعدة كاهن من صنف «رمكو» كان مختصا بطقوس التطهير[٢٠٥] . ومن المواد المهمه في القاء الضوء على طرق طرد الشياطين يوجد لوح برونزي موجود الان ضمن مجموعة (de clercq) في « باريس » ويحتوي على ثلاثة افاريز مصورة يعلوها رأس شيطان مرعب مجسم النحت ، وفي الافريز الاعلى منه توجد رموز تمثل الالهة «آنو» ، «ايا» ، «ادد» و «مردوخ» و «نبو» و «عشتار» و«شمش»و«سين»والالهة السبعة

(202) GB., p.293

(٢٠٣) « ملحمه كلكامش » ، اللوح الثامن ، العمود الثاني : ٧

(٢٠٤) وتسمى هذه المراسم في السومرية EN2 وفي الاكدية shiptu

(205) Svend Aage Pallis, The Antiquity of Iraq, (Copenhagen, 1956), p.706

وفي الافريز الثاني تظهر مجموعة من سبعة شياطين بهيئة حيوانات مركبة ، وفي الافريز الثالث تبدو بوضوح شعائر طرد الشياطين حيث مدد الشخص المبتلى بملاحقتهم على محفة عالية وقف عند طرفها كاهن يرتدي ثوبا مفصلا بهيئة سمكة وبجانبه يوجد مذبح يحتوي على مصباح ، بينما وقف أحد الشياطين خلف الكاهن . وعند رأس المريض وقف كاهن آخر بوضع يصد فيه شيطانين يحاولان الهجوم على الشخص الممدد ، وفي الاسفل يبدو مشهد تظهر في طرف منه جرتان وقدح وقربة ماء واطعمة متنوعة يبدو انها كانت قرابين مقدمة للشياطين لاقناعها بالكف عن مهاجمة الضحية بينما يظهر في وسط المشهد الشيطانة المسماة «لبرتو» أو «لمشاتو» وقد أمسكت في كل يد من يديها ثعبانا وتدلى على صدرها خنزير وكلب يرضعان من ثدييها وقد ثنت ركبتيها على ظهر حصان يربض في زورق يسير في المياه وخلفه مثل شيطان آخر وهو واقف . أما المشهد الممثل في قفا اللوح فيقتصر على تصوير ظهر الشيطان المجنح الذي يطل رأسه المجسم على وجه اللوح[206] ، وهناك دليل كتابي عن طرق التخلص من ملاحقة شياطين العالم الاسفل تتضمنه احدى التعاويذ التي تصف ما يدور في تلك الشعائر وهو ان يمدد الشخص المهدد بالموت (أي انه مطلوب من قبل آلهة الموت التي بعثت اتباعها من الشياطين لجلبه الى العالم الاسفل) ويمدد معه جدي ، وعند الفجر يقوم الكاهن الخاص باداء الشعائر الخاصة ومنها السجود الى اله الشمس «شمش» بينما يحمل الشخص المريض الجدي في حضنه ويذهب به الى بيت توجد فيه شجرة سدر حيث يقوم الكاهن هناك بتمديد الرجل المريض والجدي معا على الارض ويمس رقبة الرجل بخنجر خشبي متظاهرا بذبحه ثم يقوم بذبح

(206) ARBA., Pl. 25 : Fig.1

الجدي بخنجر برونزي ، وبعد ذلك يلبس الجدي ثيابا وتوضع في ارجلـه صنادل وتكحل عيناه ويصب الزيت على رأسه ثم توضع عليه عمامـة الشخص المريض ويوضع في مدخل البيت في حين يترنم الكاهن بتعويـذة خاصة ثلاث مرات وبعدها يعطي الشخص المريض ثوبه للكاهن الذي يقوم بندبه ويرفع صوته صارخا «ارحل» لعدة مرات ثم يأمر باقامة الحـداد ويقوم بدفن الجدي ليشفي الشخص بعد ذلك . وكانت توجد بالاضافـة الى هذا شعائر اخرى مماثلة في حالات مشابهـة مثـل ان يصنع تمثـال للشخص المريض ويدفن وفق المراسم المعتادة في دفن الموتى ، والواضـح ان المغزى من كل تلك المراسم كان خداع شياطين العالم الاسفل لجعلها تقبل ببديل عن الشخص الذي جاءت لاماتته واخذه الى العالم الاسفل(٢٠٧) سواء كان ذلك البديل جديا أم تمثالا .

وقبل ختام الحديث عن شياطين العالم الاسفل لابد من الاشارة الى ملحمة مكتوبة في لوح مهشم وغير كامل وقد سماها الباحثون بـ « قصة الخليقة الكوثية » نسبة الى مدينة «كوثى» (وهي مدينة الاله «نركال» ملك العالم الاسفل كما سبقت الاشارة) ، وقد أوضح الاستاذ «كنك» منـذ أمد طويل بأنه لاتوجد اية علاقة ما بين هذه الملحمة وبين « قصة الخليقة البابلية » ، أما موضوع ملحمتنا هذه فيدور على ذكر تفاصيل حرب ضارية جرت ما بين الملك الاكدي «نرام-سين» وبين جيش من شياطين العالـم الاسفل الذين كانت لهم اجساد مركبة ورؤوس كالطيور كما يرد فـي الملحمة ، وخلال ثلاث سنوات قام الملك بارسال جيوش جرارة للقضاء على الشياطين الا ان جيوشه تلك كانت تتعرض للابادة ، واخيرا قرر الذهاب بنفسه لمحاربتهم والقضاء عليهم بغية انقاذ بـلاده من تخـريبها فاستعد

(207) Eeatrice Laura Goff, Symbols Prehistoric Mesopotamia, (New Haven, 1963), p.190 ... ref. TUL. pp. 134-55

للحرب واتم الشعائر والمراسم المعقدة واللازمة للنصر علـى الشياطين . واخيرا تمكن من هزيمتهم والقضاء عليهم ، وبعد عودته سجل وقائـــع انتصاره على عدة ألواح وضعها في معبد الاله «نرگال» في «كوثى» ، ومن المرجح عموما ان هذه الاسطورة لم تكن الا صدى لانتصار الاله «نرگال» على ما اضمرته له الالهة «ايرش-كيگال» (وقد سبق تفصيل ذلك فيمـــا سبق من هذا الفصل) ، كما انها ترمز الى المكانة الدينية لمدينة «كوثى» باعتبارها في حماية الاله «نرگال» نفسه(٢٠٨) .

ونختتم الحديث عن شياطين العالم الاسفل بالاشارة الى دورها في نقل الذين يحكم عليهم بالموت الى ذلك العالم ســواء كانوا آلهة ، مثــل الاله (دموزي) الذي سردت في الفصل الاول من البحث قصة ملاحقتـــه من قبل شياطين العالم الاسفل ومالاقاه على أيديهم قبل ان يأخذوه الىعالم الاموات ، ام بشرا مثل (انكيدو) الذي ترد الاشارة الى موته على لســـان (كلكامش) بأنه قد « ظهر شيطان رجيم وسرقه مني »(٢٠٩) .

---

(208) D.A. Mackenzie, Myth of Babylonia and Assyria, p.215f.

(٢٠٩) ملحمة كلكامش ، اللوح الثامن ـ العمود الثاني : ٧

الفصـــــل الرابع

« طـرق الدفن والشعائر الجنائزية »

« ندبته الالنية
واجابتها السواقي ،
اتشحت الاشجار بالسواد عليه
وبكته البساتين ... »

ـ احد الملوك الآشوريين من ســـــلالة
سرجون الثاني يرثي اباه ـ


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

« مـواضع الـدفن »

قبل تفصيل الحديث عن طرق الدفن والقبور لابد من التحدث عن المواضع التي اتخذت لدفن الموتى منذ اقدم فترات استيطان الانسان في بلاد وادي الرافدين حتى سقوط الحضارة البابلية وفي شتى المواقع الاثرية في هذه البلاد لان ذلك يلقي ضوءا على معتقدات القوم بخصوص ما بعد الموت وعلاقة الاموات بعالم الاحياء . ومن الممكن تحديد مواضع الدفن على النحو الاتي :ـ

اولا ـ تحت ارضيات المساكن :

لعل الدفن تحت ارضيات المساكن يمثل اقدم ما اتبع في دفن الاموات في تأريخ وادي الرافدين حيث كشفت التنقيبات الجارية في كهف (شانيدار) في شمالي العراق عن تسعة هياكل عظمية لسبعة من البالغين ولطفلين من نوع الانسان المسمى بالـ (نياندرتال) وذلك في الطبقة (D) من الكهف والتي تعود الى العصر الحجري القديم الاوسط ـ حوالي ٦٠ الف سنة مضت ـ وقد كان رأي المنقب الذي اكتشفها ، وهو الاستاذ (رالف سوليكي) ، في بادئ الامر ان اولئك النياندرتاليين ماتوا نتيجة لانهيار الصخور من سقف الكهف، الا انه وجد نفسه بعد ذلك امام امر آخر هو اكتشاف اكداس من الحجارة مرتبة فوق مواضع بعض الهياكل التي عثر بقربها على بعض الادوات والعظام الحيوانية ، بل وحتى بعض الفحم الحاصل من حرق الخشب[١] وكانت بعض الهياكل مدفونة

---

(١) آرليت لوروا كوران ، « انسان نياندرتال » (٤) في كهف شانيدار، ترجمة جميل حمودي في مجلة سومر ، د٢٥ (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص٢٧٥ .

وهي (ملمومة) داخل دائرة من الاحجار كما هو الحال بالنسبة لاحدها .
وهو المعين برقم (٤)[٢] ، وكان الشيء المذهل هو اكتشاف ان هذا الانسان
(أي شانيدار ٤) قد دفنت معه كمية من الورد كما اثبت تحليل العينات
المأخوذة من تراب القبر[٣] . ومورس الدفن تحت مساكن الاحيـــاء في
العصر الحجري الحديث حيث كانت العادة الغالبة في طرق الدفن في موقع
(جرمو) ان يلحد الميت في قبر يحفر تحت ارضيات بيــوت السـكنى[٤]
وكذلك الحال بالنسبة لسكان الطبقة (I) في تـــل الصوان[٥] ،
وفي (حسونة) اكتشفت هياكل الاطفال تحت ارضيات البيوت[٦] ايضـا
واتبعت كذلك الطريقة من قبل اهل (العبيد) في جنوب العراق[٧] .
وقد اتبعت طريقة الدفن تحت ارضيات البيوت في تل (قاليج آغا) في اربيل
ايضا وذلك في الطبقات البنائية العائــدة الى دور الوركاء[٨] . ومورس
الدفن بالطريقة نفسها في مدينة (نفر) ابتداءا من عصر فجر السلالات في

---

(2) Ralph S. Solecki, Shanidar, (London, 1972), p.174

(3) R.S. Solecki, Op. Cit., p.154

(٤) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص١٩٥

(5) F. El-Wailly & B. Abu es-soof, "The Excavations at Tell Es-sawwan. First Preliminary Report-1964" in Sumer, XXI, (Baghdad, 1965), p.23

(6) V. Gordon Childe, New Light on the Most Ancient East, (London, 1952), p.109

(7) Ibid., p.121

(٨) بهنام أبو الصوف « التنقيب في تل قاليج اغا في اربيل » ، سومر ٢٥ (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص ٥ ــ ٦

اقل تقدير[9] وفي مدينة (كيش) منذ عصر فجر السلالات الاول[10] حيث كانت جثث الموتى تدفن تحت ارضيات غرف المنازل ، سواء كانت غرف الاحياء او غرفاً شيدت خصيصا للدفن ، وكان موضع القبر في الغرفة يحتل الزاوية حيث تكون جدران من ضلعين من اضلاع القبر يقابلهما جداران يبنيان بطبقة واحدة من الطابوق[11] . أما في منطقة (خفاجة) فقد كشفت التنقيبات التي جرت فيها بأن القبور العائدة الى عصر فجر السلالات كانت عبارة عن حفر بسيطة موجودة تحت ارضيات البيوت التي استمر السكن بصورة اعتيادية فيها بعد اتمام عملية الدفن[12] ، وفي مدينة (اور) اكتشف الاستاذ (ليونارد وولي) عددا من الاقبية المعقودة بالآجر تحت ارضيات بيوت يعود بعضها الى زمن سلالة أور الثالثة والبعض الاخر الى العصر الكاشي[13] ، وفي زمن معاصر تقريبا لسلالة اور الثالثة كانت الطريقة المتبعة في مدينة (آشور) هي الدفن تحت ارضيات البيوت أما في حفر بسيطة او في اقبية عائلية مشيدة بالآجر[14] ، وقد اكتشفت القبور تحت ارضيات البيوت في (نفر) في الطبقات العائدة الى العهد البابلي القديم الا انها كانت قليلة وفقيرة جدا في محتوياتها مما يدفع الى الافتراض بأنها قبور خدم أو عبيد وليست

---

(9) Donald E. McCown, in Nippur, I, (Chicago, 1967), p.147

(10) V.G. Child, Op. Cit., p.148

(11) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Excavations at Kish, IV, (Paris, 1934), p.17f.

(12) Pinhas Delougaz, Private Houses and Graves in the Diyala Region, (Chicago, 1967), p.58

(13) GE., p.164

(14) Ibid., Loc. Cit.

للاحرار من سكان المدينة الذين كانوا يدفنون آنذاك على ما يفترض في مقابر خاصة داخل المدينة او خارجها[١٥] .

والواقع اننا لا نملك دليلا واضحا عن تخصيص احدى غرف المنزل لدفن الموتى من سكنته ، باستثناء ما كشفته تنقيبات (السير ليونارد وولي) في (أور) من الطبقات العائدة الى بداية سلالة اور الثالثة وكذلك من الطبقات التي يعود تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلاد[١٦] حيث وجد في كل بيت تقريبا من تلك الفترة ، باستثناء البيوت الفقيرة جدا . موضع خاص لدفن الموتى بشكل مصلى عائلي (Family Chapel) كما يسميه الاستاذ وولي ، ويقع هذا المصلى في خلفية البيت بعد غرفة الضيوف مباشرة ، ويكون بهيئة غرفة طويلة ضيقة تختلف عن باقي غرف المنزل في كونها من طابق واحد فقط في حين ان المنزل مكون عموما من طابقين ، ويدخل الى هذه الغرفة من باب موجود في احدى نهايتيها والغرفة غير مسقفة في معظم مساحتها الا انه توجد سقيفة تغطي حوالي ثلث المساحة الكلية للغرفة وموضع السقيفة ملاصق للجدار المقابل للمنزل وتحت السقيفة توجد مائدة للقدور ومحرقة للبخور ، اما قبو الدفن فقد حفر بعمق قدم او قدمين تحت ارضية الغرف المرصوفة بالآجر وذلك في الجزء المكشوف من الغرفة ، وعندما كان هذا القبو يمتلئ بالعظام ، يفرغ منها وتدفن في قبور صغيرة بجانبه والدليل على ذلك يتمثل في العظام التي وجدت لعدة هياكل مختلفة في قبو واحد ، وحين كانت ساحة المصلى تمتلئ بالقبور الصغيرة يبدأ سكان المنزل بدفن الموتى تحت ارضيات غرف المنزل الاخرى حيث وجدت عدة قبور بهذا الشكل في عدة منازل

---

(15) D.E. McCown, Op. Cit., p.147

(16) C. Leonard Woolley, Abraham, (London, 1935), p.208

بالرغم من احتوائها على غرفة الدفن الخاصة ، على انه يجب ان لا يغيب عن بالنا ان هذه القبور قد تكون لخدم او عبيد لم ينالوا شرف الدفن في المصلى الخاص[١٧] • ويفترض الاستاذ وولي ان عدم العثور على مثل هذه المصليات في بيوت تعود الى العهود الاخرى مثل العهد الفرثي في (أور) أو العهد البابلي الحديث المنقبة في كل من (أور) و (بابل) وكذلك في البيوت المعدودة من العهد الكاشي ، يرجع سببه الى انقطاع بنائها بعد فترة قصيرة من العهد البابلي القديم[١٨] • وقد وردت الاشارات الى القبر الموجود داخل البيت في النصوص الكتابية بصيغة (KI.MAKH) وهو مصطلح سومري يعني حرفيا (الارض العظيمة) ، وكما سبقت الاشارة فان هذا المصطلح أطلق على العالم الاسفل ايضا ، وكان يلفظ بالاكدية بصيغة (kimakhu) ، وقد حدد الفارق بينه وبين البيت في أحدى النصوص بالشكل الآتي :ـ

« البيت للراحة والضريح للاضطجاع »[١٩] •

وكانت ملكية القبر تنتقل مع ملكية البيت الى المالك الجديد فيما اذا أبتيع البيت كما يستدل من الوثائق المتعلقة ببيع وشراء البيوت[٢٠] •

أما الدافع الى دفن الموتى في مساكن عوائلهم فيمكن تشخيصه باعتباره يمثل امتدادا لما سلكه الانسان منذ اقدم عصوره مدفوعا بفطرته على عدم فهم الموت نهاية للانسان وانما يستمر في اعتبار المتوفى واحدا من عائلته لا ينبغي ان يبتعد عنها حتى بعد وفاته ، أي ان الاتجاه في دفن الاموات في بيوت الاحياء لا يعدو كونه اتجاها تحركه العاطفة وليس عملا منجزا بوحي من عقيدة معينة يمكن استنتاجها •

---

(17) S.L. Woolley, Op. Cit., pp.211-5

(18) S.L. Woolley, Op. Cit., p.216

(19) CAD., Vol. 8 ; kimahu : p.370

(20) Ibid., p.371

ثانيا ـ الدفن في القصور الملكية :

وقد كانت هذه الطريقة تمثل امتيازا ملكيا خاصا بالموتى من الملوك أو الاتباع المقربين الذين يتقرر لهم بعد موتهم الدفن في القصور الملكية تكريما لهم وتثمينا لجهودهم في خدمة الملوك . ولان الدفن في القصور الملكية كان امتيازا خاصا بالملوك فأن الذين كانوا قد استولوا على العرش عن طريق الاغتصاب ونزلوا عنه بالقوة يحرمون من هذا الامتياز المقصور على الملوك الشرعيين فقط ، وهذا ما يمكننا معرفته مما يرد في حوليات بعض الملوك الذين حكموا بلاد بابل ، وفيما يلي ننقل ترجمة لبعض الفقرات التي توضح كلامنا هذا :ـ

« رجل[٢١] من سلالة (دامق ـ ايليشو)[٢٢] ذبح بالسيف ، وحكم لمدة ١٧ سنة ، دفن في قصر الملك الشرعي . (يامكن ـ زير)[٢٣] مغتصب العرش

---

(٢١) على الارجح أن يكون اسمه « سمبار ـ شباك » وهو اول حاكم من سلالة القطر البحري الثانية وقد حكم لمدة ١٨ عاماً . يراجع بخصوصه :

J.A. Brinkman, A Political History of post-Kassite Babylonians 1158

(٢٢) وهو آخر ملوك سلالة « ايس » الاولى (١٨١٦ ـ ١٧٩٤ ق . م) .

(٢٣) يذكر في اثبات الملوك السومرية (KL.A) بصيغة (Eamuki) وتخصص لحكمه مدة خمسة اشهر وهو من سلالة القطر البحري الخامس ، ينظر :

A.L. Oppenheim, in ANET., p.272

والواقع ان هذا التقليد بعدم دفن الملوك الغير شرعيين او المذنبين في مقابر الملوك كان متبعا عند العبرانيين ايضا حيث ترد الاشارة بخصوص ذلك في النصوص الاتية من العهد القديم/اخبار الملوك الثاني ، ٢٤ : ٤٥ ، ٢١ : ١٨ ـ ٢٠ .

ابن (خاشمر) ، حكم لمدة ثلاثة اشهر ، دفن في
غدير (بيت ـ خاشمر)»[٢٤] .

ويرد في نص آخر مايلي :ـ

(كاشو ـ نادن ـ آخي) حكم لمدة ثلاث سنين[٢٥]
دفن في القصر . ثلاثة ملوك من سلالة القطـــــر
حكموا لمدة ٢٣ سنة .
(يولمش ـ شاكن ـ شمي) بن (بازي) ، حـــكم
لمدة ١٥ سنة ، دفن في قصر (ايطر ـ مردوخ) .
(ننورتا ـ كودوري ـ أوصر) بن (بازي) ، حـــكم
لمدة سنتين . (شرقتي ـ شقامو) ابن نفسه الشخص،
حكم لمدة ثلاثة اشهر ، دفن في قصر .. سليل ..
لبلاد عيلام ، حكم لمدة ست سنوات ، دفـــن في
قصر الملك الشرعي »[٢٦] .

وقد مورس تقليد دفن الملوك في القصر الملكي في بلاد (آشـــور) أيضا إذ كان الملوك الآشوريون يدفنون في القصر الملكي الكائن فـــي العاصمة (آشور) (قلعة الشرقاط حاليا) حتى بعد انتقال مقر حكمهـــم من هذه العاصمة . وسنعود لتفصيل الكلام عن هذا الموضوع في مواضع أخرى من هذا الفصل . وهناك نص للملك الآشوري (آشور بانيبال)الذي يتحدث فيه عن دفن أحد القواد العسكريين في المملكة بطريقة توحي بأن

---

(24) L.W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, Vol. II, (London, 1907), p. 52 ; Col. 11 : 3-6

(٢٥) وهو من سلالة « ايسن » ، يراجع عنه :
A. Leo Oppenheim, ANET., p.272

(26) L.W. King, Op. Cit. p.53f. ; Col. II : 7-11

ذلك القائد دفن في القصر الملكي بأمر من الملك تكريما له(٢٧) حيث يرد في النص على لسان الملك (آشور ـ بانيبال) ما يلي :

« اليوم لاقى القائد (نبو ـ شار ـ أوصر) مصيره بجلال وابهة في قصري ، انه سيدفن في الموضع الذي أحبه . يجب أن لا يحرك من موضعه ، وان لا يسمح لاحد ان يعبث به ، لقد كان رجلا طيبا وشجاعا ، واذا اقلقه أي شخص وهو مضطجع في قبره فان سيده الملك سيغضب ويعامله بعنف ولا يرحمه »(٢٨) .

ثالثا ـ الدفن في المقابر المخصصة للاموات :

وهي على نوعين هما :ـ

أ ـ المقابر الموجودة داخل المدن : وهي اما ان تكون قبوراً منفردة تم دفن الاموات فيها بصورة متفرقة في الاماكن الخالية من الحارات داخل المدينة وبين البيوت ، واقدم مثال لهذا النوع يعود الى دور (حلف) من العصر الحجري المعدني حيث كان دفن الموتى يتم بين البيوت(٢٩) كما ان هناك احتمالا باتباع هذه الطريقة نفسها في (نفر) وذلك في الطبقات العائدة للعهد البابلي القديم(٣٠) ، او بصورة مقابر منتظمة كما هو الحال في

---

(27) C.H.W. Johns, Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters, p.245

(28) Georges Contenau, Everyday Life in Babylon and Assyria, (New York, 1966), p.296

(29) V.G. Childe, New Light on the Most Ancient East, p.112

(30) D.E. McCown, Op. Cit., p.147

(أور) حيث بدأ الدفن لاول مرة في طبقات الانقاض في الوقت الذي بلـغ فيه ارتفاعها في المنطقة الكائنة في الجهة الجنوبية الشرقية من سورالمعابد حوالي المترين ، ومنذ ذلك الحين والى مدة ٤٥٠ سنة استعملت هذهالمنطقة للدفن دون انقطاع[٣١] ، كما اننا نعرف من احد نصوص الملك الآشوري (سنحاريب) الذي يتحدث فيه عن فيضان نهر (تبلتو) بأنه كانت توجـد داخل مدينة (نينوى) مقبرة خاصة خربها ذلك النهر بفيضانه[٣٢] ٠

ب ـ المقابر الموجودة خارج المدن :

ولعل اقدم استعمال للمقابر خارج مناطق السكنى في العراق القديم يعود في تأريخه الى العصر الحجري الوسيط حين كان سكان قرية « زواي جمي » يدفنون موتاهم في كهف شانيدار القريب منهم وذلك في الطبقـة (١ ـ B) من الكهف[٣٣] ٠ ونشير هنا الى ما قام به سكان «أريـدو» من دور العبيد في جنوب العراق حيث فرزوا بعض القبور وجعلوها عـلى هيئة مقبرة خارج حارات السكن[٣٤] ٠ أما أقدم اشارة كتابية عن مثـل هذه المقابر فترد في نص مدون على مخروط عائد الى «اوروكاجينا» (مـن عصر فجر السلالات) ملك «لكش» يصف فيه المظالم التي كانت منتشرة في «لكش» قبل مجيئه للحكم . وكان من بين تلك المظالم المبالغة فـرض الضرائب على دفن الموتى من قبل المشرفين إذ يرد في النص :

---

(٣١) نيسن ، « المقبرة الملكية في اور » ٠ في سومر ، ٢٢ (بغـداد ، ١٩٦٦) ، ترجمة الدكتور فوزي رشيد ، ص٦٨ ٠

(32) CAD., 8 ; kimahu : p.371

(٣٣) طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٨٦ ٠

(٣٤) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٢٧٧ ٠

« عندما يوضع الميت في القبر كانت جعته (بعد العودة) سبع جرار، وخبزه اربعمائة وعشرين (رغيفا) ، وكان الـ (UH.INNANA) يأخذ اثنين (اول)(٣٥) من الشعير وثوباً واحداً ومسند رأس وسريراً ، وكان كاهن الـ (LU.DIM.MA)(٣٦) يأخذ «اول» واحدا من الشعير »(٣٧) .

ويستمر النص ليشير فيما بعد الى ما قام به «اوروكاجينا» من اصلاحات وبضمنها تخفيض هذه الرسوم . إذ جعل كمية الجعة ثلاث جرار فقط والخبز ثمانين رغيفا والغيت ضريبة الشعير التي كان الـ (UH.INNANA) يأخذها وخفض «اول» الشعير الذي كان الـ (LU.DIM.MA) يأخذه الى ثلاثة (BAN) فقط(٣٨) . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا النوع من المقابر كان مقسما الى صنفين الاول يشمل المقابر الاعتيادية والثاني يشمل صنف المقابر المسماة « قصب (الاله) انكي »(٣٩) .

ونذكر هنا ان طريقة الدفن في المقابر الموجودة خارج المدن كانت مالوفة في «نفر» وخاصة في العصر الاكدي والفترات اللاحقة له(٤٠) وكذلك في «اريدو» في العهدين البابلي القديم والكاشي إذ كانت النجاد الواقعة

---

(٣٥) صنف من الكهنة .

(٣٦) مقياس وزن .

(37) KS., p.317

(٣٨) اى ما يساوي نصف الكمية السابقة .

(39) KS., p.81

(40) D.E. McCown, Op.Cit., p.147

على مسافة قريبة من المدينة محتوية لقبور عديدة وفخار متنوع يعود في تأريخه الى ذينيك العهدين[41] ، هذا وقد وردت عدة اشارات في النصوص الكتابية تخص المقابر المنتظمة والخاصة ببعض المدن المهمة في بلاد وادي الرافدين القديمة مثل «بابل» و «سبار» و «كوثى»[42] ٠

رابعا ـ الدفن في اضرحة مستقلة :

وقد وصلتنا نماذج لهذه الاضرحة كانت قد شيدت لبعض ملوك سلالة اور الثالثة تحت مزارات خاصة بها تحتوي على العديد من الغرف التي كانت تمارس فيها الشعائر الجنائزية وتقدم النذور للملوك الراقدين في اضرحتهم ، وسنأتي على وصف هذه المزارات في موضوع «القبور الملكية» في هذا الفصل ٠

« القبور وطرق الدفن »

يمكننا ان نقسم القبور في العراق القديم تقسيما أوليا الى قسمين وذلك حسب اشكالها ومحتوياتها والاشخاص الذين دفنوا فيها والطريقة التي تم بها ذلك وهذان الصنفان هما :ـ

١ ـ قبور العامة :

وهي القبور التي كان يدفن فيها عامة الناس من غير الحكام والملوك وكانت بأنواع وأشكال مختلفة اهمها :ـ

---

(٤١) فؤاد سفر ، « حفريات مديرية الاثار العامة في اريدو » ، سومر ٣ ، (بغداد ، ١٩٤٧) ، ص٢٢٥ ٠

(42) A. Jeremias, The Old Testament in the Light of the Ancient East, (New York, 1911), Vol. I, p.139

آ ـ القبور البسيطة :

وتحفر بشكل بسيط في الارض وبعمق غير ثابت من قبر لآخر وكانت الجثة تمدد في قعرها باوضاع مختلفة ، ويمكن القول ان هذا النوع من القبور هو الاقدم ظهورا والاكثر شيوعا في العراق القديم ، وقد وجد العديد من هذا النوع من القبور في تل الصوان حيث كانت تحفر غالبا بشكل بيضوي منتظم وبعمق يتراوح ما بين ٢٢ـ٥٠سم[٤٣] ، كما وجدت عدة قبور منه في «اور» وكانت بشكل مربع وباعماق مختلفة الا انها لم تكن تزيد عموما على خمسة اقدام[٤٤] ، ووجدت قبور مشابهة لها في «اور» ايضا اذ كانت سائدة خلال اكثر من عصر واحد وعلى وجه الخصوص خلال العهد البابلي القديم وقد عثر فيها على هياكل لاشخاص مختلفي الاعمار وكان البعض منها مغطى باسقف جملونية الشكل من الآجر كما اكتشفت آثار لوح خشبي كان يغطي احداها[٤٥] ، وقد كان معظم القبور التي عثر عليها في «خفاجة» من العهد البابلي القديم من النوع البسيط ايضا وتراوحت اعماقها ما بين ٧٥ر٠ـ٥٠ر١م تحت ارضيات البيوت[٤٦] .

ب ـ القبور المشيدة باللبن او الآجر :

ولعل اقدم ما وصلنا من هذا النوع يعود الى دور العبيد حيث عثر

---

(43) F. EL-Waily & B.Abu es-soof, "The Excavation at Tell Es-sawan, First Paeliminary Report", in Sumer, XX (Baghdad, 1964). p.23

(44) L.Wooiley, The Sumerians, (New York, 1965), p.36

(45) D.E. McCown, Op. Cit., p.118

(46) P. Delougaz, Op. Cit., p.58

على قبور منتظمة ومبنية من اللبن في «اريدو»[٤٧] كما يتمثل في قبرين وجدا في «اور» من دور العبيد ايضا ، وهذان القبران يختلفان عن باقي القبور البسيطة المكتشفة في ذلك الموقع والعائدة لنفس الدور في كونهما محفورين بشكل حوض ضيق منتظم ومبطن بالاجر الذي شيد منه السقف ايضا[٤٨] ، ويرجح الاستاذ وولي أن يكون هذان القبران يمثلان بداية وجود اجنبي بين اهل المنطقة[٤٩] ، غير أن هذا النوع كان شائعا في مقبرة «اريدو» العائدة الى دور العبيد ايضا والتي يناهز عدد قبورها المائة كان معظمها مشيدا من الآجر[٥٠] ، كما ان القبور التي اكتشفت في «كيش» كانت في معظمها مشيدة بالآجر وباحجام مختلفة الا انها عموما مطابقة لحجم الجثة تقريبا[٥١] . وقد كشفت التنقيبات التي جرت في «نفر» عن قبور مشابهة لتلك التي اكتشفت في«اور» و «اريدو» و «كيش»وتعودفي تأريخهاالى العهد البابلي القديم والعهود التالية له وحتى لعهود متأخرة من تاريخ حضارة وادي الرافدين القديمة ، وكانت جدرانها مشيدة بسمك آجرة واحدة ، والقبور بصفة عامة موجهة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وكان لبعضها ارضيات مرصوفة بالاجر كما ان بعضا منها كان مغطى بالاجر في حين تظهر آثار غطاء من جذوع النخيل على قبر واحد منها[٥٢] . وقد وجدت القبور المشيدة من اللبن أو الآجر داخل البيوت في مدينة «آشور»

---

(٤٧) طه باقر المصدر السابق ، ص٢٢٧

(48) L. Woolley, "The Cemetery of Al-Ubaid", in Ur Excavations, Vol. I, (Oxford, 1927), p.174

(49) Ibid., Loc. Cit.

(50) V.G. Childe, Op. Cit., p.121

(51) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.17f.

(52) D.E.McCown, Op. Cit., p.118

(قلعة الشرقاط) ايضا(٥٣) اضافة الى قبور مشيدة بكسر الفخار بدلا من الآجر(٥٤) .

ج ـ الاقبية :

واقدم انموذج لهذا النوع من القبور هو الذي اكتشفه المنقب «تايلر» في «اور» حيث اكتشف عددا من الاقبية المعقودة التي تقاس في معظمها بـ ٥ أقدام ارتفاعا و ٣ أقدام وسبع انجات عرضا و ٦ أقدام طولا في الارضية و ٥ أقدام طولا في السقف وكانت عقادتها متكونة من طبقات متعاقبة من الآجر المتدرج للداخل وقد استعمل الطين بلاطا في البناء(٥٥) . كما استعملت الاقبية المعقودة في دفن الملوك وعلى وجه الخصوص في العاصمة الآشورية القديمة «آشور» ، وسنأتي على تفصيل الحديث عنها في موضوع «القبور الملكية» في هذا الفصل .

التوابيت :

لقد كانت من اقدم طرق حفظ الجثة عند الدفن في العراق القديم لفها بحصران من القصب أو أن تدفن الجثة في قبر مبطن بالحصران ، كما استعملت الحصران أيضا في صنع التوابيت بتثبيتها على دعائم خشبية(٥٦) ، وكانت الحصر التي تلف بها جثث الموتى تثبت احيانا بدبابيس كبيرة من النحاس عثر على بعضها في مقابر «اور»(٥٧) ، وقد استعملت حصر

---

(53) Percy S.Handcok, Mesopotamian Archaeology, (London, 1912), p.80
(54) Ibid., p.81
(55) Percy S. Handcock, Op. Cit., p.17f.
(56) L. Woolley, The Sumerians, p.36
(57) L. Woolley, Ur of the Chaldees, (New York, 1965), p.37

القصب في لف جثث الموتى في تل الصوان ايضا ووجدت عليها آثار طبقة خفيفة من القير يبدو انها كانت مطلية بها[58] وهي طريقة استعملت في بعض قبور «كيش» ايضا[59] . ولابد لنا في هذا الصدد من الاشارة الى رأي افترضه بعض الباحثين القدامى[60] بخصوص الغاية من استعمال حصر القصب في لف جثث الموتى في العراق القديم والتي يرجعونها الى مقدرة سحرية لحماية الجثة يفترض توفرها في القصب استنادا الى دور كوخ القصب في قصة الطوفان ولكنه رأي لا يستند على دليل ملموس كما ان سكان العراق القدماء كانوا يستغلون أيةمادة متوفرة لديهم لصنع التوابيت أو لمجرد لف الجثة بقصد منع احتكاكها بالتراب أو بجدران القبر وأرضيته وهذا ما سيتضح لنا أكثر مما سنقدمه من استعراض شامل لانواع التوابيت المستعملة في العراق القديم وذلك في بقية هذا الموضوع .

ومن الطرق الاخرى في حفظ الجثة حين وضعها في القبر تلك التي اتبعت في «اور» حيث كان الميت يوضع على ارضية من الآجر مرتفعة قليلا ويغطي بحصير من القصب وفوقه يوضع غطاء مناسب من قطعة واحدة من الفخار أو قطعتين ويكون كافيا لتغطية الجثة وما يوضع قربها من آنية وجرار[61] ، كما استعملت المحفات الخشبية لحمل الجثث في القبور بدون غطاء كما هو الحال في بعض من القبور المكتشفة في «خفاجة»[62] و «اور» كما سنبين في موضع آخر من هذا الفصل .

---

(58) F. El-Waily & B.Abu es-soof, Op. Cit., p.23
(59) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.18
(60) Donald A. Mackenzie, Op. Cit., p.213
(61) S.H. Langdon, in ERE., p.445
(62) P. Delougaz, Op. Cit., p.67

واضافة الى الجرار استعمات السلال في دفن الأطفال ايضا إذ . عثر في «خفاجة» على هيكل طفل مدفون في سلة تحت ارضية احدى البيوت[٧٢] ، والظاهر ان السلال المصنوعة من القصب هي التي اوحت لسكان العراق القديم بصنع التوابيت الفخارية التي كانت في بداية استعمالها تحاكي من حيث شكلها واستدارتها البيضوية شكل السلال[٧٣] ومن ثم تطورت الى اشكال مختلفة ، ومن النماذج القديمة للتوابيت الفخارية تلك التي عثر عليها في مقبرة العبيد وهي بشكل دائري بقطر يبلغ حوالي المتر الواحد او بيضوي بقياسات تبلغ ما يقرب من ٩٠ـ١٤٠ سم طولا وحوالي ٧٠ سم عرضا و٢٥ سم ارتفاعا[٧٤] . وقد استعملت توابيت مشابهة لها في «نفر» من طبقات العهد الاشوري واستمر استعمالها الى العهد الاخميني كما وجدت مثيلات لها في «بابل» و «تل اللحم» ـ بالقرب من اريدو - ترجع في تأريخها الى العهد البابلي الحديث وتميزت الاولى بانها أوسع وأعمق من الثانية[٧٥] .

وقد ظهر نوع آخر من التوابيت الفخارية في «نفر» ابتداء من العهد الآشوري[٧٦] . واصبح شائعا فيما بعد[٧٧] ، وقد اطلق عليه الباحثون المحدثون مصطلح «طست الغسيل» (Bath tub) لشابهته طست الغسيل في شكله ، وكانت التوابيت من هذا النوع متميزة بحافاتها المستديرة في معظم جوانبها باستثناء ضلع مستقيم واحد[٧٨] . وقد

---

(72) P. Delougaz, Op. Cit., p.104
(73) L. Woolley, The Sumerians, p.36
(74) L. Woolley, in Ur Excavations, Vol. I, p.174
(75) D.E.McCown, Op. Cit., p.119
(76) Ibid., p.174
(77) S. Langdon, in ERE., p.445
(78) D.E.McCown, Op. Cit., p.174

وقد استعملت التوابيت الخشبية لدفن الموتى في مقابر «اور» و «شروباك» (فارا)[٦٣] ، كما انه من المحتمل أن تكون مثل هذه التوابيت قد استعملت في قبور «كيش» العائدة الى العهد البابلي الحديث إذ لاحظ منقبوها وجود آثار للخشب فيها[٦٤] . وبالاضافة الى استعمال الخشب في صنع التوابيت استعمل الطين ايضا إذ عثر في احد قبور «خفاجة» على هيكل ممدد على جنبه الايمن داخل تابوت طيني[٦٥] ، كما استعمل الفخار وعلى نطاق واسع في صنع التوابيت. والواقع ان استعمال الفخار في حفظ جثث الموتى يرجع الى أزمان قديمة من تاريخ وادي الرافدين إذ استعملت الجرار الفخارية في باديء الامر لدفن الاطفال ثم استعملت لدفن الكبار ايضا ، وقد عثر في «حسونة» على بقايا عظمية لتوأمين وضعا في جرة من الفخار ووجدت معهما طاسة صغيرة من الفخار ايضا[٦٦]، كما كان الاطفال في تل «قاليج اغا» في اربيل يدفنون في جرار كبيرة ذات غطاء كبير أو في جرتين كبيرتين احداهما فوق الاخرى وذلك في زمن معاصر لدور الوركاء في الجنوب[٦٧] ، وكانت الجرار التي تستعمل لقبر الاطفال بصورة منفردة كروية الشكل ولها فوهات واسعة ويوضع فيها الطفل المتوفى بهيئة تشبه الى حد كبير وضعية الجنين في الرحم[٦٨] وهذا الوضع

---

(63) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.18
(64) Ibid., Loc. Cit.
(65) P. Delougaz, Op. Cit., p.107

(٦٦) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .
(٦٧) شاه الصيواني ، « مجموعة قبور تل قاليج اغا في اربيل » ، سومر ، ٢٧ (بغداد ، ١٩٧١) ، ص ٤٦ .
(٦٨) بهنام أبو الصوف ، « التنقيب في تل قاليج اغا في اربيل » ، سومر ، ٢٥ ، (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص٥-٦ .

كما سبق ان اوضحته في مدخل البحث لم يكن يعبر عن عقيدة محـــددة لوضع الجثة في القبر وانما لضيق المجال منذ ان كان الدفن يتم فـــي الكهوف في العصور القديمة ثم اتبع نفس الوضع في هذه الجرار ، وبمرور الزمن اصبح دفن الاموات بوضع الجنين عرفا متبعا حتى في القبور الواسعة اذ من الصعب على الانسان أن يغير ما تعود عليه حتى وان لم يكن يفهـم الدافع لذلك ويظهر هذا الامر بوضوح في طرق الدفن أكثر من المجـالات الاخرى في الحياة لكون الموت حالة يقف أمامهـا العقل الانساني حـائرا مذعولا مما يجعلنا لا نتوقع من الانسان حينها أن يتصرف تصرفا يمليـه عليه العقل والمنطق ٠

اما بالنسبة للجرار المزدوجة التي كانت تستعمل للدفن فقد عثـر على العديد منها في «نفر» وكانت الطريقة التي تستعمل فيها هي ان تضم كل واحدة من الجرتين جزءا من الهيكل البشري وتلتصقان من فوهتيهمـا أما بشكل رأسي أو ان احداهما تميل بزوايا مختلفة وفي بعض الاحيـان تكون احداهما أصغر من الاخرى وقد وجد عدد منها مختوما (بالطين الذي يغطي فوهتيهما) أو بكسر فخارية كبيرة ، وقد وجدت مثل هذه الطريقـة في «بابل» منذ بداية العصر الكاشي وفي «الوركاء» خـلال العهد البابلـي الحديث وفي «الدير» من نفس الفترة تقريبا«[٦٩]» ، وكذلك في «آشور»[٧٠] وتجدر الاشارة هنـا الى ان الجثة كانت توضع في هـذه الجرار بوضـع القرفصاء ٠ اما العمق الذي كانت تدفن فيه تلك الجرار فلم يكن بصورة عامة يزيد على اربعة امتار ولا يقل عـن متر واحد كما هو الحال في قبـور «اور» التي يعود تأريخها الى العهد الكاشي[٧١] ٠

---

(69) D.E.McCown, Op. Cit., p.119

(70) P.S. Handcock, Op. Cit., p.80

(71) Ur Excavation, Vol. VIII, p.84

استعملت في بعض الاحيان اغطية من جذوع النخيل او انها كانت تغطى باحواض اخرى من نفس النوع تقلب فوقها اضافة الى اغطية اخرى متنوعة من الفخار او الطين ووجد البعض القليل منها مطليا بالقير ، وقد وجدت نماذج متعددة من هذا النوع في الطبقات البابلية الوسطية والحديثة في «بابل» والبابلية الحديثة في «تل اللحم» والطبقات الفارسية في «اور» و «الوركاء»(٧٩) . كما ظهر في العراق القديم نوع آخر مشهور من التوابيت الفخارية يشبه في شكله المسارج ويعود هذا النوع في تأريخه الى العهد الفرثي ، وقد عثر على نماذج عديدة منه في العديد من المواقع القديمة مثل «كيش» و «نفر» و «بابل» و «آشور» وغيرها(٨٠) ، وكان العديد منها مزججا ومزخرفا بالنحت البارز ، ومن الرسوم المصورة على هذه التوابيت. نذكر ما وجد على مجموعة منها كشفت عنها التنقيبات في «نفر» وقد صورت على كل منها بالنحت البارز امرأة عارية تغطي صدرها بيدها اليمنى وفرجها باليد اليسرى وكانت رجلاها ملتصقتين وشعرها منثورا على كتفيها ، والصورة مكررة على جانبي التابوت وعلى سطحه ايضا ويبدو انها كانت تقليدا للالهة الاغريقية «فينوس» ، كما زينت توابيت اخرى من هذا النوع عثر عليها في «الوركاء» بصور فارس مسترخ على اريكة ويمسك بيده قدحا ، وكانت مثل هذه الصور المتكررة على التابوت الواحد مفصولة فيما بينها بظفائر من النحت البارز وكان لكل واحد من هذه التوابيت فتحتان احداهما بيضوية الشكل كبيرة لادخال الجسد منها وتكون لها حافة واطئة يوضع عليها غطاء يلصق بملاط من الكلس ، وقد عثر على احد هذه الاغطية وهو مزين برسم بالنحت البارز يمثل أسدا

---

(79) Ibid., p.119

(80) GE., p.165

فاغرا فاه[81] ، أما الفتحة الثانية فكانت تترك بدون غطاء وهي صغيرة ولها شكل نصف دائري ويكون موضعها في النهاية الضيقة من التابوت وقد اختلفت الاراء في غرض هذه الفتحة التي ربما تكون قد استعملت لسحب الميت منها بواسطة حبل يربط رجليه ويخرج من الفتحة الصغيرة بعد ادخاله من الفتحة الكبيرة ، وعموما كان هذا النوع من التوابيت ، كما يدل شكله بوضوح وكما أشرت سابقا ، يمثل محاكاة لشكل المسارج، ولما كنا نعلم انه لم يظهر في العراق قبل العهد الفرثي فمن المحتمل أن يكون الباعث على جعله بهذا الشكل علاقة بالمعتقدات السائدة في بلاد فارس القديمة وعلى وجه الخصوص عبادة النار .

وضع الجثة واتجاهها في ألقبر :

ان نتائج التنقيبات التي جرت في مواقع عديدة من بلاد وادي الرافدين تشير بوضوح الى عدم التزام سكان البلاد القدماء بقاعدة محددة لوضع الجثة في القبر او لاتجاهها ، ففي تل الصوان (من دور حسونة) مثلا كانت الوضعية الغالبة التي تدفن عليها الجثث هي القرفصاء وكان اتجاه الرأس عموما اما الى الجنوب أو الى الغرب[82] اضافة الى عدد من الهياكل موجهة الى الشرق[83] ، أما الاتجاه السائد للهياكل الموجودة في قبور

(81) Leon Legrain, Terra-Cottas from Nippur, (Philadelphia. 1930), p.34 ; No. 313

(٨٢) بهنام ابو الصوف ، « التنقيب في تل الصوان ، الموسم الرابع (١٩٦٧) » ، سومر ، ٢٤ ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص٤٠ ـ ٤٢ .

(83) F. El-Waily & B.Abu es-soof, Op. Cit., p.23

« تل قاليج اغا » في اربيل فهو الشمال الشرقي[٨٤] مع وجود بعض الهياكل موجهة نحو الشرق[٨٥] ، وقد وجدت بعض الهياكل المكتشفة في «اور» والتي تؤرخ من دور العبيد ممددة باستقامة على ظهورها وعظام الايدي فيها موضوعة على الحوض ، وهذا الوضع لم يظهر في أي مكان آخر من العراق القديم[٨٦] ، كما وجدت هياكل اخرى مدفونة بوضع مطوي[٨٧] يشكل فيه الرأس زاوية حادة مع الجسد والذراعان مرفوعتان امام الوجه ولم تكن هناك قاعدة عامة لتحديد اتجاه الهياكل[٨٨] ٠ وقد كانت الطريقة المتبعة في دفن الاموات في «اريدو» في القبور العائدة لنفس الدور ، أي دور العبيد ، هي أن يمدد الموتى باستقامة على ظهورهم في قبور منتظمة ومبنية باللبن[٨٩] ٠ أما الهياكل المنقبة في «اور» والعائدة في تاريخها الى دور الوركاء[٩٠] فقد وجدت مدفونة بوضع جانبي وقد وضعت ايدي اغلبها على قدح او أيه آنية اخرى وكان الرأس فيها مائلا باتجاه الصدر والارجل مطوية بشدة بحيث اصبحت الركب في مستوى الحنك[٩١] ، وكانت الطريقة الغالبة للدفن في «كيش» ان تمدد الجثث بوضع نصف منحني اما على الجانب الايمن أو الايسر للجثة وترفع الايدي بالقرب من الرؤوس

---

(٨٤) شاه الصيواني ، « مجموعة قبور تل قاليج اغا في اربيل » ، سومر ، ٢٧ ، (بغداد ، ١٩٧١) ؛ ص٤٦ ٠

(٨٥) نفس المصدر ، ص ٥٠ ـ ٥١ ٠

(86) GE., p.161

(87) L. Woolley, in Ur Excavations, Vol. I, p.154

(88) Ibid., p.174

(٨٩) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٢٢٧ ٠

(٩٠) وكان الاستاذ وولي قد ارجعها من قبل الى دور جمدة نصر ، اذ لم يكن دور الوركاء قد عرف بعد من قبل الباحثين ٠

(91) GE., p.161f.

وهي تمسك اقداحا تبدو وكأن الميت يهم بالشرب منها ، اما اتجاه الجثث فلم يكن واحدا وانما مختلف من جثة لاخرى(٩٢) .

ويلاحظ في قبور العهد البابلي الحديث في «كيش» ان وضع الجثث كان مختلفا باختلاف طريقة الدفن فحين كانت الجثة تدفن في تابوت او تغطى به فانها تكون ممدة على ظهرها وفيما اذا كان التابوت قصيرا عليها ترفع الركبتان الى اعلى اما اذا لم توضع الجثة في تابوت فان الوضع الغالب لها يكون بتمديدها بكامل طولها(٩٣) .

وقد دلت التنقيبات التي اجريت في «تبه كورا» في شمال العراق على عدم وجود قاعدة موحدة لاتجاه الجثة ، الا اننا نستطيع ان نلاحظ ان العدد الاكبر من الجثث كانت موجهاً على امتداد الخط المتجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وبعضها ممدد باتجاه من الشرق الى الغرب او من الشمال الى الجنوب ، وكانت الوضعية الغالبة للجثث تمديدها على الجانب الايسر في حين مدد بعض منها على الجانب الايمن(٩٤) . أما في «آشور» فقد اختلفت اوضاع الجثث من التمدد بشكل كامل الى وضعية القرفصاء وتقاطع الايدي على الصدور أو تقاطع الساقين . كما ان اتجاه الهياكل لم يكن ثابتا(٩٥) . ومن ضمن الهياكل التي كشف عنها في «آشور» وجدت ثلاثة هياكل في قبو عائلي للدفن كان احدها لرجل والآخران لامرأتين ، ويلاحظ ان سيقان هؤلاء الثلاثة مطوية . وقد مدد الرجل على جانبه الايمن بينما مددت المرأتان على الجانب الايسر ، وعثر في

---

(92) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.18

(93) GE., p.165

(94) Arthur J. Tobler, Excavations at Tepe Gawra, Vol. II. (Philadelphia, 1950), p.77

(95) Arndt Haller, Die Gräber and Grüfte von Assur, pp.21-47

نفس القبو على آثار مادة بيضاء تالفة افترض المنقب (اندريه) الذي عثر عليها بأنها بقايا للاكفان التي كانت تلف بها الجثث ، وقد وجدت عظام مختلفة وآنية فخارية داخل القبو ايضا(٩٦) .

وتجدر الاشارة هنا الى ممارسة طريقة الدفن المجزأ في العراق القديم وهي الطريقة التي سبق الحديث عنها في مدخل البحث ، اذ عثر في تل الصوان على بعض الهياكل المجزأة قبل دفنها(٩٧) كما لوحظت نفس الطريقة في مقبرة (الاربجية) التي يعود تأريخها الى دور العبيد حيث كانت اجزاء معينة مثل الرأس او الاطراف فقط من الهياكل تدفن في القبور ، ويبدو ان هذه الطريقة وردت الى العراق عن طريق الشرق عبر بلوجستان والهند(٩٨) حيث وجدت هناك آثار لقبور تحتوي على أجزاء معينة من الهياكل بدون سائر اعضاء الجسد(٩٩) . ومن المواقع القديمة الاخرى في العراق والتي قدمت أدلة واضحة على اتباع طريقة الدفن المجزأ نذكر (اور) وذلك في قبور تؤرخ من العهد البابلي القديم(١٠٠) .

الاثاث الجنائزي :

اعتاد سكان وادي الرافدين القدماء ، ومنذ أقدم عصورهم ، على وضع العديد من الحاجيات واللوازم والحلي والاسلحة مع الموتى اثناء

---

(96) P.S.P. Handcock, Op. Cit., p.178

(97) F. El-Waily & B.Abu es-soof, Op. Cit., p.23

(98) E.O. James, The Ancient Gods, (London, 1960), p.63

(99) H. Frankfort, Archeology and the Sumerian Problem, (Chicago, 1932), p.27

(100) M.E.L. Mallowan & J. Cruishank Rose, "Excavations at Tall Arpachiyah, 1933", in Iraq, II, (London,1933), p.36f.

دفنهم ، ومن هنا فقد أسفرت التنقيبات في المواقع الاثرية المختلفة في بلاد وادي الرافدين عن كميات كبيرة ومتنوعة من المواد التي يمكن تسميتها بالاثاث الجنائزي لكونها استخرجت من القبور المنقبة في تلك المواقع . وبغض النظر عما يمكن ان تقدمه لنا تلك المواد من معلومات مفصلة عن حياة سكان العراق القدماء ومستوى تطورهم الحضاري والادوات التي استعملوها في حياتهم اليومية ، مما ليس له علاقة بموضوع هذا البحث ، فسأقتصر في الحديث على استعراض عام لنوعية المواد التي ضمها الاثاث الجنائزي والمغزى من وضعها في القبور مستخلصا منها ما يمكن ان يلقي الضوء على عقائد مابعد الموت عند اولئك السكان الذين مارسوا ، ومنذ ظهور اول مستوطن قروي في شمالي العراق ، وهو قرية (زاوي-جمي) ، دفن الاثاث الجنائزي مع موتاهم حيث عثر في بعض القبور العائدة لسكان تلك القرية والموجودة في الطبقة (B - 1) في كهف (شانيدار) على أدوات وتجهيزات جنائزية ذات دلالة مهمة ففي أحد القبور العائدة الى فتاة وجدت مغرة حمراء وقلادة من خرز صغيرة ، ووجد في قبر آخر سكين من الصوان مثبت بالقير في قبضة طويلة من العظم ، كما وجدت معالم دكاك صغيرة من الاحجار وضع البعض منها على هيئة قوس يشبه جدار السور المقدس الذي عثر عليه في قرية (زاوي - جمي) وكل هذا يشير الى الى نوع من الشعائر الخاصة بالدفن وبمعتقدات اقدم سكان القرى(١٠١) ، ووجدت في تل (قاليج اغا) مجموعات من الخرز على الرقبة والصدر ، كما وجدت على وسط الجسم وقرب اليدين في حين وضعت الجرار المتنوعة الاشكال والاحجام في القبور مع بذل شيء من العناية في وضعها(١٠٢) ، واكتشفت في (تل الصوان) ، حيث عثر في مئات القبور في مختلف طبقات

---

(١٠١) طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٨٦ .
(١٠٢) شاه الصيواني ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

التل ، كميات كبيرة متنوعة من الاثاث الجنائزي اشتملت على تماثيل صغيرة من الحجر واواني حجرية وعقود من مواد مختلفة[١٠٣] وجرار فخارية مختلفة الاحجام وحلي متنوعة اضافة الى بقايا الطعام[١٠٤] . وقد اعتيد في قبور العبيد المنقبة في (اور) ان يدفن الرجل مع اسلحته وادواته الشخصية وتدفن المرأة مع حليها وادوات زينتها ومواد التجميل اضافة الى الحاجيات الشخصية الاخرى واقداح من النحاس او الحجر وآنية مختلفة تكدس حول الرأس وينتظم بعضها بشكل صف امام الجثة وتوضع مجموعة اخرى قرب القدمين ، وفي حالة دفن الجثة في تابوت كانت هذه المواد تدخل في التابوت اضافة الى آنية وحاجيات اخرى توضع خارجه وتفصل بينه وبين جدران القبر[١٠٥] ، وتجدر الاشارة هنا الى ملاحظة يذكرها الاستاذ ليونارد وولي[١٠٦] عن القبور المكتشفة في (اور) ، اذ لاحظ ان العادة الجارية بدفن الاثاث الجنائزي مع الموتى في القبور المؤرخة من العصر الاكدي ، بكميات ونوعيات تختلف وفقا لاختلاف درجة غنى أو فقر الميت تلاشى وجودها في القبور المؤرخة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد وطيلة العهد البابلي القديم[١٠٧] حيث تساوى الاغنياء والفقراء في نوعية الاثاث الجنائزي المدفون في قبورهم والذي اقتصر على عدد نادر جدا من الاقداح النحاسية أو عقود من الخرز وبعض اللوازم الشخصية

---

(103) F. El-Waily & B.Abu es-soof, Op. Cit., p.23

(١٠٤) بهنام ابو الصوف ، « تل الصوان ، الموسم الرابع » ، سومر ٢٤ ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص٤١ ــ ٤٢

(105) L. Woolley, in Ur Excavations, Vol. I, p.173f.

(106) Abraham, pp.208-10

(107) D.E.McCown, Op. Cit., p.147

مثل الاختام واقتصرت الآنية على قدر فخاري واحد للطعام وكوب فخـــاري واحد للشراب في معظم القبور ، ويرجع الاستاذ وولي سبب هذا التغير الى التغير في مواضع الدفن الذي اصبح مقتصرا على ارضيات البيوت وكـــان المقصود بها ان الحاجيات الموجودة في المنزل لم تزل في متناول أيـــدي الموتى .

اما القبور المكتشفة في (كيش) فقد كانت نوعية الاثاث الجنائزي وقيمته تختلفان من قبر لآخر باختلاف مكانة الشخص المتوفى وغناه ، وكان معظم الموتى يزودون بمعظم حاجياتهم الشخصية وبعض الاشياء الضرورية مثل الجزار التي يمكن الاستدلال على انها كانت تحوى الطعام وكذلـــك القدح الذي يوضع قرب يد الميت(١٠٨) ، اضافة الى بعض المواد النحاسية، أما عدم العثور على الذهب والفضة في قبور (كيش) فقد يكون سببه عائدا الى فقر السكان عموما او الى صدفة الاكتشاف التي لم تقد الى اكتشـــاف القبور الغنية جدا والتي يمكن ان تكون قد احتوت على المواد الثمينة(١٠٩) ، كما ان مايجـــدر ملاحظتـــه في هذه القبـــور عدم العثور على أي أثـــر للاسلحة(١١٠) . وقد جرت العادة في قبور (خفاجة) على دفن الحيوانات مع الموتى حيث عثر في بعض القبور المنقبة في هذا الموقع على هياكل عظميـــة لحيوانات مختلفة مثل الكلب(١١١) والسمكة وكذلك عثر على عظام متناثرة لطيور او لحيوانات صغيرة اخرى(١١٢) .

وقد قدمت لنا القبور المنقبة في (نفر) ، العائدة الى مختلف العصور،

---

(108) L.Ch.Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.19f.
(109) Ibid., p.18f.
(110) Ibid., p.20f.
(111) P. Delougaz, Op. Cit., p.86
(112) Ibid., p.114

متنوعة تشمل عقود الخرز والحلي البرونزيــة والحديديــة والنحاسية اضافة الى كميات كبيرة من مواد متنوعة مثل الاحجار الكلسية والعقيــق والحجــر المرقش وغيرها . كما عثر في قبور (نفر) على مجاميع مختلفة من الجرار الفخارية وادوات خشبية ومواد جلدية متنوعة[113] . ونشير هنا الى الاقنعة الفخارية والحجرية التي عثر عليها في قبور (نفر) وهذه الاقنعة تكون مثقبة في مواضع العيون والفم والانف والاذنين ويمثل بعضها وجــه رجل وبعضها الآخر صورت بوجه رجل له قرنان واذنــا ثــور[114] . وارجح ان تكون هذه الاقنعة قد استخدمت كتعويذه في القبور لانها مـــن غير الممكن ان تكون من ضمن الحاجيات الشخصية للمتوفى .

وتجدر الاشارة في معرض هذا البحث الى الدمى الطينية التي عثــر عليها في قبور عديدة في عدد من المواقع المنقبة في العراق مثل (حســونة) ، التي عثر في قبور الاطفال المكتشفة فيها على بعض الدمى الطينية الانثويــة التي كانت توضع في الاغلب داخل الجرار الحاوية على جثث الاطفال[115] ، كما عثر في القبور المنقبة في ارضيات بيوت الطبقة الاولى من تل الصوان على تماثيل صغيرة منحوتة من المرمر حيث وجد منها واحد الى ثلاثة تماثيل في القبر الواحد . وعثر في بعض القبور على اشياء تمثل عضو الذكــر مصنوع من الحجر (Phallic Symbols) ولكـــن لم يعثر عليها مصاحبة للتماثيل الحجرية الانثوية ، وزين بعض تماثيل النسوة بتطعيم عيونهن بالصدف والمحار المثبت بالقير[116] ، وقد وجد العديد

(113) D.E.McCown, Op. Cit., pp. 121-23
(114) L. Legrain, Op. Cit., p.26
(115) GB., p.34

(١١٦) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٣١٥ .

من التماثيل الانثوية في قبور الاطفال في الطبقات الاخرى من التل(١١٧) ، وقدوجد في قبور الطبقات السفلى في (اور) بعض التماثيل البشرية الغريبة وهي مصنوعة من الطين الصلصال وموضوعة بالقرب من الهياكل، وهي تماثيل انثوية نحيفة عارية الى الخصر ولها رؤوس الثعابين الا انه يمكن تمييز الشعر الاسود الفاحم الذي يعلوها ، وصورت هذه التماثيل في بعض الحالات وهي تحمل طفلا صغيرا على ذراعها الايسر او ترضعه من ثديها الايسر(١١٨) ، ولابد هنا من الاشارة الى ان بعض قبور الاطفال في (خفاجة) ضمت بعض الدمى الانثوية الطينية ايضا(١١٩) ، اما المغزى من دفن تلك التماثيل الصغيرة مع الموتى في القبور فيمكن ارجاعه الى اعتبارها تمائم تساعد على حماية الميت من الاذى مثلها في ذلك مثل الاقنعة التي أشرت اليها قبل قليل ومثل النماذج الصغيرة للقوارب والتي عثر عليها في قبور (العقير) و (اريدو) (ابو شهرين) من دور العبيد(١٢٠) ، وفي قبور (اور)(١٢١) وقد كانت تلك القوارب تصنع من مواد متنوعة مثل الفخار او الفضة او القير واما القصد من وضعها في القبور ففي الارجح ان يكون حماية الموتى من الاذى الذي تلحقه بهم الشياطين الشريرة حيث اننا نعلم من بعض النصوص المتاخرة ان ضمان الخلاص من أذى شياطين العالم الاسفل كان تعبيرهم لنهر (خبر) الذي سبقت الاشارة اليه في الفصول السابقة من البحث وكان من المعتاد في التعويذات الدعاء ضد الشبح

---

(١١٧) بهنام ابو الصوف ، « التنقيب في تل الصوان ، الموسم الخامس ٦٧–٦٨ » ، سومر ٢٧ ، (بغداد ، ١٩٧١) ؛ ص٤٠

(118) Erich Zehren, Op. Cit., p.114f.

(119) P.Delougaz, Op. Cit., p.78

(120) Beatrice L. Goff, Op. Cit., p.43

(121) L. Woolley. The Sumerians, p.36

بالصيغة التي تقول (عسى ان يعبر نهر خبر)[122] ولذلك فأن وضـــع نماذج القوارب في القبور يساعد على تقديم وسـيلة عبـــور الى الشياطين القادمة لاقلاق راحة الميت ٠

٢ ـ القبور الملكية :

بالرغم من الفترة الطويلة التي عاشتها حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة وتعاقب فيها مئات الحكام والملوك على حكم البلاد او حكم دويلات المـدن العديـدة ، الا انه لم تصلنا من المقابر الملكية السليمة واحـــدة باستثناء المقبرة الملكية في (اور) (والتي سيرد الحديث عنها بعد قليل) ، وكما هو واضح من السلسلة الطويلة من الحروب وفترات الاحتلال التـي مرت بها هذه البلاد في عصورها القديمة ، فان مما لاشك فيه ان تكـون أيدي الغزاة العامل الاول في نهب القبور الملكية وتخريبها اضافة الى ايدي اللصوص والعابثيين ٠ ومن القبور الملكية القليلة التي تم العثور عليها سالمة البنيان الا انها فارغة من محتوياتها اذكر مايلي : ـ

اضرحة ملوك سلالة «اور» الثالثة :

وقد كشفت التنقيبات عن ثلاثة منها في (اور) ، وهي اضرحـــة (اور ـ نمو) (مؤسس السلالة) وابنه (شلكي) وحفيده «بور ـ ســين» او «أمار ـ سين» وقد شيدت هذه الاضرحة الثلاثة متلاصقة البنيان وموقعها الى الجنوب الشرقي من منطقة المعابد والزقـورة ، وقـد اقيمـت فـوق سراديب الدفن مزارات او معابد جنائزية تحوي على العديد من الغـــرف على غرار مخططات المعابد المألوفة وقد اقيمت كما قلنا فوق سراديب معقودة بالآجر ، وقد كان المزار الاوسط منها (وهو اكبرها) مشيدا بآجر يحمل

(122) S. Langdon, Babylonian Menologies of the Semitic Calendars, p.38

ختم الملك (شلگي) اما الضريح الذي يحويه فعلى ما يرجح الاستاذ وولي[123] كان يعود الى الملك (اور – نمو) الذي مات ودفن قبل بناء المزار الذي شيده ابنه (شلگي) بآجر يحمل ختمه ، وقد شيد السرداب الذي كان يضم رفات الملك المتوفى بقياسات تبلغ ١٢٥ × ٨٥ قدم واستعمل القير ملاطا بين الآجر المبنى به ، اما البناء العلوي الذي يمثل المزار ففي الارجح انه كان بناءا شاهقا بالرغم من عدم احتوائه على اكثر من طابق واحد ، ولجدرانه طلعات ودخلات قليلة الغور (buttresses & recesses) على غرار اوجه جدران المعابد الخارجية ، وتتميز زوايا البناء بكونها مدورة ، اما المدخل فيقع في الجانب الشمالي الشرقي وقد زينت دعامتاه بحزوز بشكل حرف (T) وهو يفضي الى غرفة صغيرة ثم الى ساحة مركزية غير مسقوفة وعلى جوانبها الاربعة توجد مداخل تؤدي الى صف واحد من الغرف في كل جانب باستثناء الجانب الشمالي الغربي الذي بني فيه صفان من الغرف ، وقد وجدت في الغرفة الكائنة في الزاوية الجنوبية من البناء بقايا مذبح من الآجر تجري امامه ست قنوات من القير تصب في ستة احواض صغيرة منظمة في صف واحد على الارضية وعثر فيها على رماد يفسر بأنه بقايا الخشب الذي أحرق في الاحواض بواسطة الزيت الذي كان يسكب في القنوات التي تصبه في الاحواض حيث كان البخور يلقى في النار ليصعد دخانه امام تمثال صغير كان موضوعا على الدكة العالية .

أما المزاران الآخران فكلاهما مشيد بآجر يحمل ختم الملك «بور-سين» واحدهما كان يضم ضريح الملك «شلگي» الذي قام ابنه «بور-سين» ببناء مزاره بعد دفنه وقد شيده بالآجر الذي يحمل ختمه والثاني يضم

---

(123) Excavations at Ur, (London, 1963), p.150

ضريح «بور-سين» نفسه وشيده كما يبدو ابنه «شو-سين» بنفس الآجر الذي كان ابوه قد هيأه اثناء حياته(١٢٤) ، والذي يؤيد عدم كون أي من هذه المزارات أو المعابد الثلاثة بيتاً للسكن عدم العثور على أي دليل ينم عن استعمالها لهذا الغرض ، أما سبب مشابهتها للبيوت أكثر من المعابد الرسمية فيعود سببه الى كون الملوك المدفونين فيها ليسوا آلهة بالرغم من اضفاء سمة من القدسية عليهم(١٢٥) .

اضرحة الملوك الآشوريين في «آشور» :

وتقدم لنا اضرحة الملوك الآشوريين انموذجا آخرا للمقابر الملكية المفرغة من محتوياتها ، وقد عثر على هذه الاضرحة في القصر الملكي في العاصمة القديمة «آشور» ويبدو ان الآشوريين قد درجوا على دفن ملوكهم المتوفين في تلك العاصمة حتى بعد انتقال مقر الحكم منها الى الحواضر الآشورية الاخرى ، مثل نمرود (كالح) ونينوى ، وكما ذكرت كانت هذه الاضرحة فارغة اثناء اكتشافها من قبل المنقبين الالمان في آشور (١٩٠٢-١٩١٤) ولم يعثر فيها إلا على ثلاثة نواويس حجرية (Sarcophagi) فارغة من الهياكل ، الا انه قد نقشت عليها اسماء ثلاثة من الملوك الآشوريين هم : «آشور-بيل-كالا» (١٠٧٤-١٠٥٧ ق٠م) و «آشور-ناصر-بال» الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق٠م) و «شمسي-ادد» الخامس (٨٢٣-٨١١ ق٠م) ، وقد وجد ناووس «آشور-بيل-كالا» داخل ضريح مشيد بهيئة قبو يدخل اليه بواسطة ممر معقود تحت الارض وله باب حجري كبير يستند على أعمدة حجرية وهو يفصل بين القبو والممر ، ومكان القبو على وجه التحديد تحت الجناح الجنوبي للقصر ويتميز بسعته غير اعتيادية وقوة بنائه وارضيته المرصوفة بالحجر الجيري وقد وجدت عليها

---

(124)C.L. Woolley, Op. Cit., pp.150-5

(125) KS., p.217f.

ألواح من البازلت ، وفي نهايته توجد مشكاة معدة لوضع المصباح فيها ، أما الناووس فهو من البازلت ويتميز بكبر حجمه وقد غطي بلوح من البازلت ايضا ولم يكن عليه اي نقش سوى اسم الملك «آشور-بيل-كالا»، وقد عثر على ناووس آخر من حجر الكلس بجنبه وهو خالي من أيه كتابة والراجح انه كان يضم جثة زوجة الملك(١٢٦) ٠

وكان ناووس الملك «آشور-ناصر-بال» الثاني من حجر الديوليرايت ويبلغ طوله ١٢ر٥ قدم وعرضه ستة اقدام وكذلك ارتفاعه وهو مغطى بألواح من حجر الديوليرايت ايضا يبلغ سمكها نصف قدم(١٢٧) ، ويتميز هذا الناووس بوجود فتحة دائرية في الغطاء يبلغ قطرها انجين وقد ذهب الاستاذ سبايزر(١٢٨) الى ان الغرض من هذه الفتحة كان لخروج روح الملك من الناووس ، الا ان هذا الامر غير وارد في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم كما لاحظنا مما سبق من البحث اضافة الى ان النواويس الاخرى لاتوجد فيها مثل هذه الفتحة ٠

أما ناووس الملك «شمسي-ادد» الخامس ، والموجود حاليا في متحف برلين ، فهو أصغر من الناووس السابق وقد صنع من حجر البازلت(١٢٩) بهيئة صندوق منتظم يضيق قليلا عند القعر وهو موضوع فوق مسندين من الحجر كما تلاحظ على غطائه «عروتان» برونزيتان ، ومن المحتمل أن يكون الناووس مختوما بالبرونز في جزء اتصاله بالغطاء(١٣٠) وهذا

---

(126) A.T. Olmstead, History of Assyria, p.70f.

(127) GE., p.160

(128) "Mesopotamia : Light that did not Fail", in Everyday Life in Ancient Times, (Washington, 1951). p.58

(129) GE., p.161

(130) George Contenau, Everyday Life in Babylon and Assyria, (New York, 1966), p.297f.

ما يمكننا الاستدلال عليه مما ورد في أحد النصوص الآشورية الـذي ستترد ترجمته في موضع آخر من هذا الفصل حيث يرد فيها على لسان أحد الملوك الآشوريين بانه ختم فتحة ناووس ابيه بالبرونز القوي في معرض وصفه لمراسم دفنه[١٣١] ٠

المقبرة الملكية في « اور » :

تكررت الاشارة ، فيما سبق من البحث ، الى القبور المكتشفة في «اور» والتي ترجع الى مختلف العصور بدءا من العبيد وامتدادا الى العصر الشبيه بالكتابي والعصر الاكدي وزمن سلالة اور الثالثة ، ولكن الذي يعنينا في هذا الموضع من البحث هو «المقبرة الملكية» التي كشفت عنها تنقيبات الاستاذ ليونارد وولي في أواخر العشرينات من هذا القرن واوائل الثلاثينات منه ، وقد ارجع تأريخ هذه المقبرة الى عصر فجر السلالات الثالث ، ويحدد الاستاذ وولي[١٣٢] بداية تأريخ الاضرحة الملكية ما بين ٢٥٠٠ ق٠م و ٢٢٠٠ ق٠م[١٣٣] حيث انتهى استعمالها قبيل بدء سلالة «اور» الاولى ، وقد سميت بالمقبرة الملكية نظرا لكون الاشخاص المدفونين فيها لهم صفة الملوكية وقد أمكن تعيين اسماء بعضهم وكان مجموع ما خصص بكونها قبورا ملكية لا يقل عن ستة

---

(131) GE., p.139

(132) C.L. Woolley, Ur of the Chaldees, p.35

(١٣٣) وضع وولي هذا التقرير بموجب التخمينات القديمة لتواريخ ادوار حضارة وادي الرافدين ، اما الان فان تحديد تاريخها بالسنين يمكن وضعه في حدود ٢٥٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق٠م ، او قبيل سلالة «اور» الاولى لمؤسسها الملك «ميسانيبدا» ٠

عشر قبراً[١٣٤] . ولابد لي ، قبل ابداء رايي في تفسير المقبرة الملكية وما اتبع فيها من شعائر ، من تقديم عرض موجز لاهم القبور التي كشف عنها في هذه المقبرة ، وهذه القبور ، وفق الارقام التي وضعت لها من قبل المنقب ، هي :

١ ـ القبر المرقم (١٠٥٤) : وهو معقود من الحجر[١٣٥] وقد عثر فيه على رماد وقدور فخارية مهشمة وعظام حيوانات مختلفة وقد تكدست امام الباب الحجري للضريح هياكل لثلاثة خراف ، وفي داخل الضريح عثر على خمسة هياكل اربعة منها لرجال يبدو انهم من الخدم بدليل عدم وجود شيء ثمين بقربهم والخامس لامرأة يبدو انها ملكة أو أميرة كان على جمجمتها غطاء راس ذهبي وعلى صدرها دبوس من الذهب ايضا يبدو انه كان في ثوبها وبالقرب من يدها وجد قدح ذهبي محزز بنقوش كما عثر بجانبها على ختم اسطواني من الذهب[١٣٦] يحمل اسم «ميس-كلام-دك» ويصحبه لقب الملك أي «لوكال»[١٣٧] ، ومما يجدر ذكره عن هذا القبر انه قد عثر فيه على منفذ خاص تسكب منه السوائل الى القبر اثناء اقامة الشعائر الجنائزية[١٣٨] التي سنأتي على ذكر تفاصيلها في موضع آخر من هذا الفصل .

٢ ـ القبر المرقم (٧٧٥) : ويعود الى الملك «ميس-كلام-دك» إذ نقش اسمه على قدحين ومصباح من الذهب عثر عليها في القبر ، وقد

---

(١٣٤) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .
(١٣٥) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ .
(136) C.L. Woolley, Op. Cit., p.70f.
(137) C.L. Woolley, Op. Cit., p.75f.
(138) C.L. Woolley, "The Royal Tombs of Ur", in The Archaeologists at Work, p.6

كانت أرض اللحد مستوية ووضع في قعرها تابوت خشبي يحتوي على جسد الملك الذي مدد بكامل طوله على الجانب الايمن وهو يرتدي خوذة من الذهب المطروق بشكل لمة الشعر اذ وضع الشعر بهيئة حزوز كما صورت العصابة التي يلف بها الشعر بهيئة شريط بارز على الخوذة تتدلى عقدته من الخلف على العنق وصورت الاذنان بشكل دائري ، وقد وجدت آثار حزام فضي عريض حول الخصر علق فيه خنجر ذهبي ومشحذ من اللازورد مثبت على حلقة ذهبية في حين تكدست العشرات من الخرز اللازوردية والذهبية امام الخصر ووجد بين اليدين قدح ثقيل من الذهب وقدح أخر من الذهب ايضا الا انه اكبر من الاول وعثر بالقرب من المرفق على سراج ذهبي بهيئة الصدف ، وكما سبقت الاشارة كان هذان القدحان والسراج يحملان اسم «ميس-كلام-دك» الا انه بدون لقب «ملك» ، وعثر كذلك على فأسين من الالكتروم (وهو مزيج من الذهب والفضة) بالقرب من الكتف الايسر للملك اضافة الى كميات مختلفة من الحلي والادوات الشخصية تشتمل على أساور من الخرز الذهبية واللازوردية واقراط وأساور من الذهب والفضة وتعويذتين احداهما بهيئة ثور من الذهب والاخرى من اللازورد بهيئة عجل جالس على الارض وكذلك سراجين فضيين لهما أشكال صدفية ودبوس ذهبي له رأس من اللازورد ، اما خارج التابوت فقد وجدت مواد اخرى من أهمها قدح ذهبي محزز ومنقوش وحوالي خمسين كوبا وقدحا من الفضة والنحاس اضافة الى عدد كبير من الاسلحة التي تشمل رماحا لها رؤوس من الذهب وخناجر لها مقابض مزينة بالذهب والفضة ورماحا نحاسية وفؤوساً متنوعة ومجموعة من الحراب لها رؤوس صوانية مثلثة[١٣٩] ،

---

(139) C.L. Woolley, The Sumerians, p.38f.

ومما يجدر ذكره اخيرا عن هذا القبر انه لم يعثر فيه على أي دليل عن التضحية البشرية اذ لم يدفن فيه سوى الملك[١٤٠] .

٣ ـ القبر المرقم (١٠٥٠) : وهو يعود الى الملك «آـكلام ـدك» ابن الملك «ميس ـكلام ـدك» ، وجدت معه اربعون جثة من الحاشية ونفائس من الآثار من بينها ختم اسطواني من حجر اللازورد يحمل كتابة باسمه ولقبه على انه ملك «اور»[١٤١] .

٤ ـ القبر المرقم (٧٨٩) : وقد ارجعه الاستاذ وولي الى الملك «آـبارـكي»[١٤٢] ، والقبر مكون من جزئين الاول يتمثل في غرفة الضريح المسقفة بقبة أو عقادة مخصصة لدفن الملك وقد عثر فيها على هياكل لثلاثة أشخاص[١٤٣] ، أما الجزء الثاني فيشمل المساحة الموجودة خارج هذه الغرفة وهو بشكل حفرة كبيرة كانت مردومة بالتراب عثر فيها على ما يقرب من (٦٢) جثة[١٤٤] من بينها جثث ستة جنود وتسع نساء[١٤٥] وقد كان أصحاب هذه الجثث في كامل اناقتهم وزينتهم لحظة الدفن وكان الحرس منهم يحملون اسلحتهم في حين كان الموسيقيون يحملون قيثاراتهم وصنوجهم وقد اتخذوا مواقعهم في جزء قصير من الحفرة بينما تقدمتهم عربتان ربط الى كل منهما ثلاثة ثيران أو حمير وقد جلس في داخلها الحوذيون وامسك السايس بازمة الحيوانات

---

(140) C.L. Woolley, Ur of the Chaldees, pp.75-7

(١٤١) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨

(142) C.L. Woolley, Op. Cit., p. 43

(143) Ibid., p.57

(144) C.L. Woolley, Op. Cit., p.57

(١٤٥) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٢٧٨ .

الموجهة نحو المنحدر المدرج الذي يقود الى الحفرة[146] .

٥ ـ القبر المرقم (٨٠٠) : ويقع مباشرة بجوار قبر الملك «آ-بار-كي» المرقم (٧٨٩) ويشابهه في التخطيط الا ان مقاييسه أقل من الاول وهذا القبر يعود الى الملكة «شبعاد» او «بو-آبي» التي عثر على هيكلها في غرفة الضريح وهو ممدد على بقايا محفة خشبية وقد وضع بيدها قدح ذهبي وكان الجزء الاعلى من جسدها مغطى باكداس من خرز الذهب والفضة واللازورد والاحجار الكريمة والعقيق والكؤوس وخيوط طويلة معلقة من الياقة بشكل عباءة تصل الى الخصر وتنتهي بشريط عريض من الخرز الانبوبية اللازوردية والذهبية وعثر بالقرب من الذراع اليمنى على ثلاثة دبابيس ذهبية طويلة تنتهي برؤوس لازوردية وثلاث تعويذات لكل واحدة منها هيئة السمكة اثنان منها من الذهب والثالثة من اللازورد وتعويذة اخرى بهيئة ظبيتين جالستين من الذهب[147] ، وكان يوجد في غرفة الضريح ثلاثة هياكل بشرية يتمدد احدها عند رأس المحفة الخشبية التي تحمل جثة الملكة والثاني عند الطرف الاخر من المحفة والثالث بالقرب منها[148] ، أما في الحفرة الخارجية المضريح فقد عثر على جثث عدد من النساء مرتبة في صفين يحوي كل صف ست نساء وفي آخر الصفين توجد قيثارة مطعمة بالاصداف ومزينة برأس ثور من اللازورد والذهب وبالقرب منها هيكل امرأة امتدت عظام يديها عبر حطام القيثارة[149] ،ووصل مجموع من دفنوا مع الملكة من الوصائف والاتباع الى ٢٥ شخصا[150] .

---

(146) C.L. Woolley, in The Archaeologists at Work, p.5

(147) C.L. Woolley, Ur of the Chaldees, p.52f.

(148) C.L. Woolley, The Sumerians, p.40

(149) Ibid., Loc. Cit.

(150) C.L. Woolley, Ur of the Chaldees, p.57

٦ ـ القبر المرقم (١٢٣٧) : لم يعرف اسم صاحبه ، وهو يحتوي على أكبر عدد من الهياكل بالنسبة للقبور الاخرى اذ عثر فيه على بقايا (٧٤) جثة (٦٨) منهم لنساء[١٥١] ، وقد وجدت فيه هياكل ستة من الجنود متكئة على الجدار ومعهم سكاكين وفؤوس وقد وضع امامهم قدر كبير من النحاس ، في حين انتظمت هياكل اربع نساء وامام كل واحدة منهن قيثارة وكانت النساء المدفونات في هذا القبر مزودات بمجموعة كبيرة من الحلي وهن يرتدين ثيابا بهية على ما يفترض ، وجدران هذا القبر مملوطة جزئيا ومغلفة بالحصران[١٥٢] .

تفسير المقبرة :

لقد اختلفت آراء الباحثين في تفسير ما وجد في القبور الملكية في (اور) والغاية من الشعائر التي تم بموجبها دفن تلك الاعداد الكبيرة من الحاشية والاتباع ، وعلى العموم يوجد تفسيران للغاية من التضحية البشرية في هذه المقبرة ، فقد انقسم الباحثون الى فريقين ذهب كل منهما الى احد هذين التفسيرين ، فالتفسير الاول قدمه الاستاذ ليونارد وولي (مكتشف المقبرة) وايده فيه جماعة من الباحثين ، ويتلخص هذا التفسير في إن ماوجد في المقبرة الملكية في (اور) ماهو الا نموذج للتضحية باتباع الملك وحاشيته ودفنهم مع الملك حين وفاته ، اما الطريقة التي تتم بها هذه التضحية فيمكن ايجازها بأنه بعد ان تنزل جثة الملك الى الضريح

---

(151) M.E.L. M.llowan, in The Cambridge Ancient History, 3rd ed., Vol. I,2 (Chicago, 1971), p.284f.

(152) Erich Zehren, The Crescent and the Bull, (London, 1962), p.125

ينزل معه اتباعه وحاشيته ويستقرون على الارض أو على رفوف موضوعة على الجدران وبعد ان يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبداون بتناول السم من قدر ملئ بـه ، كالقدر الذي عثر عليه في القبر المرقـم (١٢٣٧) وفي هذه الاثناء يكون الموسيقيون مستغرقين بالعـزف على القيثارات ومن المحتمل ان تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يرددهـا المضحى بهم ، وحين يسرى مفعول السم بأجسامهم يضطجعون كل في مكانه ثم يدخل احد الاشخاص ويرتب الجثث ومحتويات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متعددة وضمن احتفال ديـني خاص بالمناسبة[١٥٣] ، وافترض الاستاذ وولي ان سبب دفن اتباع الملك معـه راجع الى اعتبار الملك شبه اله وانه حين يموت ينبغي ان يدفن معـه اتباعه لينتقلوا معه الى العالم الآخـر حيـث يواصـل حياته الاخـرى فيـه[١٥٤] .

أما التفسير الآخر الذي يعتمد على رأي قدمه الاستاذ (انطـون مورتكات)[١٥٥] . وايده فريق آخر من الباحثين ، فيرجع فيه اعتبـار التضحية البشرية كجزء مـن الاحتفـالات الخاصـة بالزواج المقدس (Hieros Gamos) الذي كان يقام سنويا ويلعب فيه الملك دور الاله تموز في حين تقوم الكاهنة العليا او الملكة بدور الالهـة انانا ثم يسمان مع اتباعهما ويدفنان في احتفال ديـني وان جسد الملـك

---

(153) C.L. Woolley, in The Archaeologists at Work, pp.5-7 ; Ur of the Chaldees, p.60 Seq.

(154) Ibid., p.64f.

يراجع الفصل الثاني من البحث بخصوص معاملة الملوك المتوفين في العالم الاسفل والمكانة التي يحتلونها فيه ومرافقة الحاشية لهم .

(155) GB., pp.378-9

كان على حد افتراض الاستاذ موورتكات يخرج من سقف الضريح بينما تبقى القرينة في ذلك الزواج في قبرها · والواقع ان هذا التفسير ضعيف ويفتقر الى ادلة اكثر وضوحا من مجرد الافتراض وارجح هنا الرأي الذي ذهب اليه الاستاذ وولي للاسباب الآتية :

١) ان الرأي القائل بكون التضحية البشرية جزء من شعائر الزواج المقدس يهمل حقيقة واضحة جدا وهي ان الاضرحة الملكية كانت في معظمها اضرحة منفردة تضم في داخلها اما ملكا او ملكة دون وجود علاقة بينهما في حين انه يفترض ان تكون القبور ثنائية احدهما للملك والآخر للملكة ، وحتى بالنسبة للقبرين المرقمين (٧٨٩) و (٨٠٠) ، واللذين اعتمد عليهما الاستاذ (مورتكات) في بناء افتراضه ، فيرجح ان لا يكونا قد شيدا في وقت واحد معا اذ . أوضح الاستاذ وولي ان قبر الملكة متأخر في زمن بنائه عن زمن قبر الملك[156] ويبدو ان التفسير الذي قدمه بخصوصهما أقرب الى الواقع حيث انه ارتأى بأن الملك هو الذي مات اولا ودفن في ضريحه ، وان الملكة رغبت بعد ذلك في ان تدفن بالقرب منه بعد موته ، وتنفيذا لرغبتها دفنت في الضريح المرقم (٨٠٠) لصق ضريح زوجها الراحل[157] ·

٢) وبخصوص ما ذكره الاستاذ (مورتكات) عن عدم العثور على هيكل الملك في القبر المرقم (٧٨٩) بالرغم من عدم تعرض القبر للسرقة واستبعاده ان يكون اللصوص قد اخرجوه ، فينبغي ان اشير الى ان هذه الحالة لم تتكرر في الاضرحة الملكية السليمة الاخرى التي سبق الحديث عنها ، فقد كان المفروض بالاستاذ (مورتكات) أن يضع في ذهنه حقيقة بقاء جثث الملوك الآخرين في أماكنها دون اخراجها ، اما السبب في عدم

---

(156) Ur of the Challees, p.52

(157) C.L. Woolley, Op. Cit., p.56f.

العثور على هيكل هذا الملك فأرجحه الى انه اخرج بواسطة ثقب أحدث في سقف غرفة الضريح بدافع الانتقام السياسي الذي أشارت اليه النصوص المتاخرة بكثرة (وقد استشهدت ببعضها في الفصل الثاني من البحث) . اذ يبدو لي ان غزاة أجانب حاولوا اخراج جثث ملوك (اور) من قبورها بدافع الأنتقام الا انهم فشلوا في العثور على القبور التي وصلتنا سالمة ولكنهم استطاعوا التوصل الى كشف غرفة ضريح الملك المدفون في هذا القبر دون ان يميزوا حفرة الدفن الملاصقة بها وثقبوا السقف واخرجوا جثة الملك واهملوا سائر محتويات القبر ٠

٣) ثم ان علمنا بالاحتفال بالزواج المقدس سنويا يجعلنا نتوقع عشرات او مئات الاضرحة المشابهة لهذه الاضرحة وهو امر لم يحدث ولا يوجد اي دليل على حدوثه اذ ان الواضح من المقبرة الملكية في اور ان التضحية البشرية لم تكن تحدث الا حين وفاة الملك ٠ ثم ان ما يمكن توقعه بعد اتمام شعائر الزواج المقدس في المعبد هو قيام المهرجانات تعبيرا عن الفرحة بحدوثه اكثر من توقع التضحية بالقائمين به ٠

٤) واخيرا ينبغي الا نهمل ما يرد في النص السومري المسمى (موت جلجامش)[١٥٨] اذ ان محتويات هذا النص تقدم لنا دليلا كتابيا على ممارسة التضحية باتباع حاشية الملك حين موته ، ان هذا النص مقسم الى مقطعين يفصلهما خرم لا يمكن تقدير حجمه ، ويمكن تلخيص محتوياته بالشكل الآتي :

المقطع الاول : يبتدئ بجملة غامضة منه ثم يبلغ (جلجامش)

---

(158) S.N. Kramer, in ANET., p.51

وقد عثر على هذا النص منقوشا على ثلاثة ألواح في «نفر» يعود تأريخها الى النصف الاول للالف الثاني ق٠م ٠

بعدها بأنه يجب أن لا يتعلق بأمل الخلود في الحياة اذ ان الاله (انليل) لم يقرر له ذلك ، ثم يشير النص بأسلوب شعري يستغرق عشرة اسطر الى وفاة (جلجامش) وكل سطر من هذه الاسطر ينتهي بلازمة تقول (اضطجع ولم ينهض) ثم ينتهي المقطع بوصف الحزن الذي سببه موت (جلجامش) ٠

المقطع الثاني : ويشتمل على ٤٣ سطرا الاخيرة من النص ، وهو يبتدىء بتعداد عائلة جلجامش واتباعه الذين دفنوا معه ثم الى ماقدمه (جلجامش) من هدايا نيابة عن الذين دفنوا معه الى آلهة العالم الاسفل والى بعض الموتى المهمين فيه (وقد سبقت الاشارة الى هذا في الفصل الثاني من البحث) ٠

واضافة الى هذا النص فاننا نعرف ان التضحية بالاتباع مع الملوك والحكام والامراء كانت معروفة في مناطق أخرى من الشرق الادنى القديم مثل مصر التي مورست فيها التضحية البشرية مع ملوك الاسرة الاولى في (حدود ٣١٠٠ – ٣٠٠٠ق٠م)[١٥٩] بينما لا يوجد دليل على التضحية في شعائر مشابهة للزواج المقدس في نفس المنطقة ٠

ومما ينبغي ذكره هنا هو ان معظم الباحثين يتفقون على شيء واحد وهو ان عادة التضحية هذه لم تستمر ممارستها في حضارة وادي الرافدين في العصور التالية ، كما انهم يستبعدون ان تكون عادة ادخلها الى بلاد وادي الرافدين القديمة قوم فاتحون غرباء في تلك الفترة ، وذلك لان اسماء الملوك التي كشف عنها في مقبرة (اور) اسماء سومرية مألوفة[١٦٠] ٠

---

(١٥٩) طه باقر ، المصدر السابق ، ص٢٨١ ٠
(١٦٠) نفس المصدر السابق ، ص٢٨١ ٠

وننهي حديثنا عن المقبرة الملكية في (اور) بالاشارة الى احتمال اتباع نفس طريقة الدفن المتبعة فيها في قبور المقبرة (Y) في (كيش)[١٦١] التي يعود تاريخها الى عصر فجر السلالات الثاني ، اذ عثر في بعض قبورها على اجزاء من عربات ذوات عجلات وأدوات معدنية مهمة من بينها خنجر دقيق الصنع[١٦٢] كما يرجح بعض الباحثين الى احتمال اتباع نفس الطريقة في ثلاثة اضرحة كبيرة اكتشفت فارغة من محتوياتها تحت معبد (عشتار) في (ماري)[١٦٣] وكذلك في بعض الاضرحة المعقودة بالآجر تحت معبد (عشتار) في (نينوى) والتي قد تكون عائدة الى بعض الملوك المحليين القدامى الا انها قد تعرضت للنهب[١٦٤] .

« شـــواهد القبـــور »

يعود السبب في قلة ما وصلنا من الالواح الكتابية التي كانت تستعمل كشواهد للقبور في بلاد وادي الرافدين القديمة بالدرجة الاولى الى اختلاف طرق الدفن في هذه البلاد ، وهو الاختلاف الذي سبق ان لاحظناه من الحديث عن طرق الدفن فيما سبق من هذا الفصل ، واتباع طرق لاتوجد معها حاجة لوضع الشواهد مثل الدفن في البيوت او في الجرار او في الاقبية الكبيرة ، كما ان هناك سببا آخرا في قلة الموجود من هذه الشواهد في الوقت الحاضر هو عدم اهتمام سكان العراق القدماء

---

(161) L.Ch. Watelin & S. Langdon, Op. Cit., p.19

(١٦٢) طه باقر ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٨ .

(163) V.G. Childe, New Light on the Most Ancient East, p.149

(164) Ibid., p.215

في اخفاء قبور موتاهم عن العيون بالدرجة التي كان المصريون يبدونهــا لقبورهم على سبيل المثال مما جعلها عرضة للايدي العابثة في كل حيــن وبالطبع كان اول ما يتعرض للعبث من القبر هو شاهده البارز ، الا انه رغم ذلك كله وصلتنا بعض النماذج التي يصح اعتبارها شــواهد قبور من حضارة العراق القديمة ونذكر منها ما يلي :

١) هناك نص بابلــي منقوش على مخروط له نمـــاذج متعددة موجودة الآن في العديد من المتاحف الاوربية وهو اكثر انتشارا من غيره، ويبدو من مضمون النص ان الغاية من المخروط الذي يحمله هو الدلالة على موضع القبر(١٦٥) ، وفيما يلي الترجمة الكاملة للنص :ـ

« على الدوام ، بمرور الازمان ، في الايام القابلة .
عسى من يرى هذا القبر ان لا يخربه ، بل يعيده
الى ما كان عليه ، عسى من يرى هذه الكتابــة
ان لا يزدريها بل يقول : (سأعيد هذا القبر الى
ماكان عليه) حتى يجزى خيرا على فعــاله فيعــلى
اسمه على الارض وتسقى روحه بالماء النقــي في

---

(165) C.H.W. Johns, Cuneiform Inscriptions Chaldean, Babylonian and Assyrian Collections Cotained in the Library of J. Pierpont Morgan, (New York, 1908), p.37 ،

وقد اشار اليه الاستاذ سشيل في :
Recueil de Travaux, Vol. XXII, p.154f.

ونشره ثورو ـ دانجن في :
Orientalistische Litteraturzeitung, Vol. IV, p.5f.

واستشهد به الاستاذ ديلتج في محاضرته عن Babel und Bibel

العالم الاسفل »[١٦٦] .

٢) اما النموذج الثاني فهو بشكل اسطوانة طينية نقش عليها نص آشوري ويرجع تأريخه الى أواخر العصر الاشوري الحديث ويتضمن النص الكتابة الآتية : ـ

« هذا قبر (شمش ـ ابني) الداكوري الذي كان (آشور ـ ايطل ـ ايلاني) ، ملك بلاد آشور يعطف عليه وقد نقله من بلاد آشور الى (بيت ـ داكور) ، موطنه الاصلي ، واضجعه في قبر في وسط بيت (دور ـ ياكن) . أيا من تكون ، مسؤولا ام حاكما ام قاضيا ام أميرا مقيما في البلاد ، لا ترتكب اثما بحق هذا القبر والعظام الموجودة فيه ، بل احفظ موضعه وانشر عليه حمايتك الطيبة ليطيل الاله (مردوخ) ، السيد العظيم ، مدة حكمك ويرعاك بحمايته ، عساه ان يحفظ اسمك وذريتك ويهبك الحياة لايام طويلة . اما اذا قام أي أمير او مسؤول أو حاكم او قاض او نائب عن الملك في البلاد بارتكاب الاثم بحق هذا القبر والعظام الموجودة فيه فغير موضعها ونقلها الى مكان آخر او حرض شخصا آخرا على الاساءة اليه ، فعسى الاله (مردوخ) ، السيد العظيم ، ان يمحو اسمه وذريته وسلالته ووارثيه من احاديث

---

(166) GE., p.154

الناس ! وعسى ان يقصر الاله (نبو) من عمره!
وعسى ان يبيح الاله (نرگال) حياته للطاعـون
والكوارث وسفك الدماء! »(١٦٧) .

٣) اما النموذج الثالث لشواهد القبور فقد سبقت الاشارة اليه فيما سبق من البحث ويتمثل في مسلتين عثر عليهما في احد الابنيـة القريبة من معبد الاله (سن) في (حران) ويتضح من مضمون الكتابـة المنقوشة عليهما انهما كانتا شاهدا لقبر (أدد – گبي) ام الملك البابلـي الاخير (نبونيدوس) (نبونائيد)(١٦٨) ، وينتهي النص الكتابي المنقوش على هاتين المسلتين بحاشية تضفي عليه أهمية كبيرة لما تلقيه مـن ضوء على مراسيم الدفن والشعائر الجنائزية في بلاد وادي الرافديـن القديمة ، وفيما يلي الترجمة الكاملة للنص مع الحاشية :

« انا (أدد – گبي) ، ام (نبونيدوس) ، ملك
«بابل» ، ونصيرة الآلهة : (سين) و (ننگال)
و «سادر نونا» ، انهم آلهتي وانا معهم ، لقـد
كنت الوذ بهم دائما منذ طفولتي ، فانا التي-حين
غضب الاله (سين) ، ملك جميع الالهة ، عـلى
مدينة (حران) في السنة السادسة عشرة من حكم

---

(167) GE., p.154f.

(١٦٨) في الارجح ان تكون « ادد – كبي » هي نفسها الملكة التي اشـار اليها هيرودوتس تحت اسم «نيتوكرس» وذكر انها ام الملك البابلي الذي غزا في عهده الملك الفارسي « كورش » بلاد بابل واسـماه هيرود وتس « لابينيتوس » ويبدو انه محـرف مـن اسـم « نبو نيدوس » ، يراجع بخصوص هذه الملكة :

E.H. Blakeny, The History of Herodotus, Vol. I, (London, 1936), No.184-7

(نبوبولاسر) ، ملك (بابل) ، وذهب صاعدا الى السماء وعم الخوف المدينة واهلها ـ ذهبت الى المزارات المقدسة للالهة : (سين) و (ننگال) و «نسكو» و (سادرنونا) الموجودة في المدينة وتزهدت لهم ، وانا التي تمسكت بأهداب ثوب الاله (سين) ، ملك جميع الآلهة ، واتخذت من الوهيته العظيمة ملاذا لي في كل يوم وليلة، وانا التي واصلت الولاء بخشوع في كل حياتي الى الآلهة (سين) و (شمش) و «عشتار» و «ادد» ، في السماء وفي العالم الاسفل . لقد حمدت لهم على كل ما وهبوني من ملك ثمين في كل يوم وليلة لاشهر وسنين .

كنت ممسكة بأهداب ثوب الاله (سين) ، ملك جميع الآلهة . وكانت عيناي تتطلعان اليه كل يوم وليلة ، ولما ركعت امامه خاشعة متضرعة قلت له : (اذا عدت لمدينتك سيخضع لك كل ذوي الرؤوس السود) ، وكنت حريصة على ان لا يغضب الهي الشخصي والهتي فلم أدع جسدي ينعم بكساء الصوف الناعم او الحلي الذهبية والفضية او الثياب الجديدة او العطر والزيت الزكي الرائحة، انما ارتديت خرقة بالية وتركت بيتي والصمت يخيم عليه، وكنت اتضرع للآلهة في كل حين ولم يغب عن ذهني التسبح لالهي الشخصي والهتي ، اذ أديت لهما كل

الخدمات ولم أبخل عليهما بكل ما هو نفيس ·

لقد ولدت في السنة العشرين من حكم (آشور بانيبال) ، ملك بلاد آشور ، ومنذولادتي وحتى السنة الثانية والاربعين من حكم (آشور بانيبال) والثالثة من حكم (آشور - ايطل - ايلاني) والحادية والعشرين من حكم (نبوبولاسر) والثالثة والاربعين من حكم (نبوخذنصر) والثانية من حكم (اويل - ميروداخ) والرابعة من حكم (نركليسار) ، طيلة هذه الاعوام الخمسة والتسعين، كنت اتردد على المعبد القدسي العظيم للاله (سين) ، ملك جميع الآلهة في السماء وفي العالم الاسفل ، وكان يعطف على كل اعمالي الورعة الصادقة ويصغي الى صلواتي ويتقبل نذوري ·

واخيرا هدأ قلبه الغاضب واصبح راضيا على معبد (أي - خلخل) ، معبده في (حران) ، والمقام المقدس الذي يبتهج فيه قلبه · ونظر الى (نبونيدوس) ، ولدى الوحيد للملوكية وائتمنه على حكم بلاد سومر واكد وجميع البلدان ، من حدود مصر على البحر العلوي الى البحر السفلي وحينئذ رفعت يدي الى الاله (سين) ، ملك جميع الآلهة وتضرعت اليه بخشوع وايمان وقلت :

«لانك سميت (نبونيدوس) ، ولدي الحبيب

الذي انجبته ، للملوكية ورفعت مركزه ، فاني أتوسل اليك ان تجعل كل الآلهة الاخرى ـ وفقا لاوامرك السامية ـ يقفون بجانبه ويمكنونه من اعدائه ويباركون ترميم معبد (أي ـ خلخل) واداء الشعائر فيه ! ، فوضع الاله (سين) ملك جميع الالهة ، يده عليّ في المنام وقال :

« ستعود الآلهة لاجلك ! واني لاثق بابنك ، نبونيدوس ، الذي سيرمم معبد (اي ـ خلخل) ويجعل (حران) اكثر بهاءا مما كانت عليه من قبل ! انه سيهيء موكبا مهيبا للالهة : (سين) و (ننكال) و «سادرنونا» ليعودوا به الى معبد «أي ـ خلخل» . وفرحت بالكلمات التي قالها لي الاله (سين) ، ملك جميع الالهة ، ورأيتهم يعودون فعلا ، أما (نبونيدوس) ولدي الحبيب الذي انجبته ، فقد اقام بالفعل كل الشعائر ، التي كانت مهملة ، للالهة : (سين) و (ننكال) و «نسكو» و (سادرنونا) ، واكمل ترميم معبد «أي ـ خلخل» ، وهيأ موكبا مهيبا للالهة : (سين) و (ننكال) و «سادرنونا» حين عودتهم من «بابل» ، مدينته الملكية ، الى (حران) ، المقام الذي يفرحهم .

واما انا التي تعبدت للاله (سين) وتمسكت بأهداب ثوبه ، فقد اعطاني ما لم يعطه لاحد غيري ، اذ خصني بالمركز العظيم والاسم المشهور

في البلاد واضاف الى عمري اياما عديدة وسنينا من السعادة وحفظ لي الحياة منذ زمن (آشور بانيبال) . ملك بلاد آشور ، الى السنة التاسعة من حكم (نبونيدوس) ، ملك (بابل) ، الابن الذي انجبته ، لقد قضيت مائة واربع سنوات سعيدة بالتقوى التي عمر بها الاله (سين) ، ملك جميع الالهة ، قلبي ، وكان بصري قويا الى آخر عمري وسمعي جيدا ويداي سليمتين وكذلك قدماي ، وكانت كلماتي منتقاة وكل الطعام والشراب ملائمان لي وصحتي جيدة وبالي مرتاح حتى رأيت احفادي العظماء وابنائهم وانا متمتعة بوافر الصحة والعمر الطويل . واني أتوكل عليك ايها الاله (سين) بخصوص ولدي (نبونيدوس) ، ملك «بابل» ، الذي لم يرتكب خطيئة بحقك طول حياته ، مثلما عطفت علي ومنحتني العمر المديد ، اعطف عليه وخصه بـ (شيدو) العطوف و (لماسو) الحارس[169] اللذين خصصتني بهما ، ولا تغفر له بسهولة آثامه وخطاياه بحق الوهيتك العظيمة، وعساه ان يكون دائما خاشعا لالوهيتك العظيمة .

لقد كنت مؤمنة من كل قلبي واديت ما

---

(١٦٩) وهي الارواح الحارسة التي سبقت الاشارة اليها في الفصل الثاني من البحث .

علي خلال السنوات الاحدى والعشرين لحكم (نبوبولاسر) ، ملك بابل ، والسنوات الثلاثة والاربعين لحكم (نبوخذنصر) ، ابن (نبوبولاسر) والسنوات الاربع لحكم «نرگليسر» ، ملك بابل ، وخلال ثماني وستين سنة جعلت (نبونيدوس) ، ولدي الذي انجبته ، يخدم بكل اخلاص كلا من (نبوخذنصر) ، ابن «نبوبولاسر» و (نرگليسر) ، ملك (بابل) ويؤدي لهم الواجب في كل يوم وليلة ويعمل كل ما يفرحهم ، فجعل اسمي بذلك عظيما امامهم وجعلوني بمقام ابنتهم ، ولهذا كنت اقدم لهم القرابين الجنائزية وانذر لهم البخور الوافر والفاخر على الدوام » .

الحاشية :ــ

« لقد ماتت موتا طبيعيا في السنة التاسعة من حكم (نبونيدوس) ملك بابل ، وقام (نبونيدوس) ، ملك بابل ، ولدها الذي انجبته باكساء جسدها بثوب من الصوف الناعم والكتان الابيض ، ودفن جسدها بضريح مستور مع الحلي الذهبية الثمينة والاحجار الكريمة والخرز الحجرية الجميلة ، واوعية الزيت المعطر ، كما نحر الخراف السمينة وجمع في حضرته سكان (بابل) و (بورسبا) واناساً من الاقاليم البعيدة ، ووجه الدعوة الى كل الملوك والامراء والحكام من تخوم مصر ، على البحر العلوي ، الى البحر السفلي ، ليعلنوا الحداد ، واقام الجميع مأتما كبيرا ونثروا الطين على رؤوسهم ، وكانوا لسبعة ايام وسبع

ليال يسيرون مطأطاى الرؤوس ، مجردين من زينتهم ، وفي اليـــوم السابع تزين كل اهل البلاد وانهوا حدادهم واكتسوا بالثياب الجديدة التي وزعت عليهم في بيوتهم وتناولوا الطعام والشراب وتزودوا بالزيت الفاخر ، وسكب الزيت المعطر على رؤوسهم واتخذت الاجراءات اللازمة لسفرهم الطويل الى مواطنهم ٠

انك أي من تكون سواء ملكا ام اميرا اتخذ من القدسية العظيمـة للاله (سين) ، ملك جميع الآلهة ٠ سيد آلهة السماء والعالم الاسفل . ملاذا لك وتعبد للالهة (شمش) و (ادد) و «عشتار» ، آســياد السماء وتضرع لهم ٠٠٠ فان عطف الالهين (سين) و (عشتار) هــو الــذي ينقذك ٠٠٠ ويحفظ اسمك وذريتك الى أبد الابدين »(١٧٠) ٠

الدفن والشـــعائر الجنائزية :

مع ان بلاد وادي الرافدين القديمة لم تشهد مراسم او شـــعائر الدفن كالتي مورست في بلاد وادي النيل من حيث جسامتها واهميتها ، حيث لم تتعد الاطار العام التقليدي للديانة(١٧١) ، الا انه مـن الممكـن القول ان اساليب الدفن والشعائر الجنائزية عموما اكتسبت أهميـــة خاصة بها في العقائد الدينية لحضارة وادي الرافدين القديمة اذ اعتبرت جزءا مهما من تقاليدهم البارزة بحيث عدوها خاصية حضارية تميـــز الحضر عن البدو ، ولعل ابلغ دلالة على ذلك ماورد في أحدى الاســـاطير، السومرية ، في معرض الحديث عن (الاموريين) الذين تصفهم تلـــك الاسطورة بأنهم يسكنون الخيام ولا يمتلك احدهم بيتا طول حياتـــه

---

(170) A. Leo Oppenheim, in ANET., pp.560-2

(171) A. Leo Oppenheim, Ancient Mesopotamia, p.79

ويأكل اللحم نيئا و (لايدفن بعد موته)[١٧٢] .

وكانت الشعائر الجنائزية تقام لهدفين رئيسيين ، الاول ارضاء الآلهة عموما ، سواء الذين كانوا في العالم الاسفل منهم ام في الارض والسماء ، حيث كانت تلك الشعائر تتضمن تقديم الهدايا والقرابين اليهم ، وكما هو واضح فان رضاء الآلهة يؤدي بالتالي الى ضمان حسن معاملتهم لروح الميت الذي يأخذ الهدايا معه الى العالم الاسفل ليقدمها الى الآلهة الموجودة فيه وهو ما فعله (كلكامش) بعد نزوله الى ذلك العالم كما تروي الاسطورة السومرية المعنونة (موت كلكامش) ، والتي سبق الحديث عنها في هذا الفصل ، وتشير الاسطورة الى ان (كلكامش) قدم الهدايا التي اصطحبها معه الى كل من الآلهة (ايرش ـ كيكال) و (نمتار) و «دمبيكك» و (نيتي) و (ننكشزيدا) و «دموزي» و «انكي» و «ننكي» و (اينمل) و (ننمل) و «ايندوكگا» و «نندوكگا» و «اينندا شرما» و (ننندا شرما) و (ايضمو) و «اينميشرا» و «شلباية» و «سوموكان» و «ننخر ساك» وكذلك الى بعض الموتى المهمين من الكهنة الكبار حيث انه قدم الهدايا الى كل من الـ (سانكو) والـ (ماخو) وكاهنة الـ (اينتو)[١٧٣] . كما ان الملك السومري (اور ـ نمو) قدم بعد موته ونزوله الى العالم الاسفل الهدايا الى عدد من آلهة العالم الاسفل كما يروي النص السومري المعنون (موت اور ـ نمو) والذي سبقت الاشارة اليه في الفصل الثاني من البحث ، كما انه ذبح الثيران والاغنام الى الموتى الكبار وقدم الاسلحة والحقائب الجلدية والآنية والملابس والحلي والاحجار الكريمة وسائر المصوغات الى كل من الآلهة (نركال) و (كلكامش) و «ايرش ـ كيكال» و «دموزي» و «نمتار» و (خشبيشاك)

---

(172) KS., p.164

(173) S.N. Kramer, in ANET., p.51 ; B:25

و «ننكشزيدا» كما في قصره المخصص له في العالم الاسفل ، كما انـــه قدم الهدايا والقرابين الى (دمبيكك) والى (كاتبة العالم الاسفل)(١٧٤) ، والتي هي الالهه «كشتن ـ انا» (بعلة ـ صيرى) كما سبق توضيحـــه في الفصل الاول من البحث ، ومن الواضح ان كل هذه الهدايا قد دفنت مع (اور ـ نمو) في الضريح · وهناك نص آشوري يعود الى احد الملـوك الآشوريين(١٧٥) يذكر فيه بانه قام حين موت ابيه بتقديم (الهدايا الى الانوناكي العظام وسائر الآلهة المقيمة في العالم الاسفل)(١٧٦) في معرض تباهيه بالشعائر التي تمت اثناء دفن ابيه ·

وكما ذكرت قبل قليل كان تقديم القرابين في المراسم الجنائزيـة مدعاة لرضا الآلهة الموجودة في السماء ايضا حيث يرد في احد النصوص ما يلي : (قدم القرابين الجنائزيه ليحقق الاله (انليل) لك رغباتك)(١٧٧) وعلى ماهو معروف لم يكن (انليل) من آلهة العالم الاسفل ·

ـــ واضافة الى القرابين المقدمة في المراسم الجنائزية كانت هنـــاك ولائم خاصه بآلهة الموت تقام في أوقات معينة لنيل بركتها ورضاهـــــا عن الاحياء وتجنب غضبها ، وهذا ما يبدو من احدى التراتيم الدينيـــة السومرية العائدة الى (شلكي) ثاني ملوك سلالة (اور) الثالثة والتي يرد فيها : «انا الذي اقام الولائم الجنائزية للالهة ، وعرفت كيف اشـــبع الانوناكي»(١٧٨) · ويبدو انه بالاضافة الى ابتغاء رضا الآلهة بتقديـــم

---

(174) S.N. Kramer, in Iraq, XXII, p.60

(١٧٥) ستترد الترجمة الكاملة لهذا النص في موضع آخر من هـــــذا الفصـــــل ·

(176) GE., p.139

(177) CAD., kispu

(178) G.R. Castellino, Tow Sulgi Hymns (B&C), (Roma,1972), p.56f.

القرابين الجنائزية لها كانت اغراض أخرى من ضمنها استجلاب الخير والبركة لمقدم تلك القرابين وهذا ما يتضح من النص الآتي :

« انك تقدم القرابين الجنائزية من اجل الحقل الذي لا ينتج ، انك تقدم القرابين الجنائزية من اجل الاقنية التي لا تجلب الماء ، انك تقدم القرابين الجنائزية لآلهة العالم الاسفل »(179) .

أما الهدف الثاني الذي كانت الشعائر الجنائزية تقام من أجله فهو اطعام الموتى انفسهم ، اذ ان تلك الشعائر كانت ضرورية للموتى لاشباعهم وارواء ضمأهم ، فالميت الذي لم يكن له من يعنى باقامة الشعائر الجنائزية لروحه ويقدم القرابين من اجلها ، تكون روحه عرضة للخروج الى عالم الاحياء فتتناول الفضلات وبقايا الاطعمة المطروحة في الشوارع(180) كما سبق تفصيله في الفصل الثاني من البحث .

وقد بلغت اهمية التقريب الى الموتى درجة كبيرة بحيث اعتبرت معها حاجة الميت للطعام والشراب موازية لحاجته اليهما في حياته وهذا ما يظهر من عدد من وثائق التبني الاكدية والتي يرد في بعضها شرط من المتبنية بان تلتزم الاخيرة بتقديم القرابين الى روح متبنيتها بعد موتها ، حيث يرد في النص .

« في حياتي تقوميني باطعامي ، وحين أموت فأنك تقدمين لي القرابين الجنائزيه » . (181)

ومن الممكن تقسيم الشعائر الجنائزية الى ثلاثة انواع ، هي :

---

(179) CAD., kispu

(180) « ملحمة كلكامش » ، اللوح الثاني عشر : ١٥٢ ـ ٦٥٣ .

(181) Miranda Bayliss, "The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia", in Iraq, XXXV, 2, (London, 1937), p.120

١ - « كسبا كسابو » وهو النوع الذي يشتمل على تقريب مختلف انواع الاطعمة الى ارواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف (١٨٢) ويقدم الزيت والعطور (١٨٣) والبخور الطيب الرائحه (١٨٤) والنبيذ الابيض وكل انواع الفواكه (١٨٥) وفي العهد البابلي الوسيط اضيفت الجعة والملح اليها (١٨٦) ، وكان المتبع في اقامة الولائم الجنائزيه ان تصف المقاعد حول الاطعمة المقربة وتتوزع عليها بينما يترك مقعد فارغ لروح الميت الذي اقيمت الوليمة لأجله وكان المقعد يسمى بـ « كرسي الروح » gish GU.ZA.GIDIM بالسومرية و kussu etemme بالاكدية (١٨٧) . كما كانت القرابين الجنائزية تقدم الى الموتى ايضا بوضعها امام تماثيلهم ، وكانت هذه الطريقة تمارس بالنسبة للملوك المتوفين في اقل تقدير حيث يتضمن احد النصوص العائدة الى عصر « سرجون » الاكدي قائمة من القرابين ، من بينها حمل ، قدمت الى تمثال الملك السومري « انتمينا » كما انه من المحتمل ان تكون القرابين قد قدمت الى تمثال « كوديا » الذي كانت تقام له الصلوات والادعية (١٨٨) ، وكذلك كانت القرابين الجنائزية تقدم

---

(182) Albrecht Goetze, "Old Babylonian Documents from Sippar in the Collection of the Catholic University of American", in JCS., Vol. XI, (New Haven, 1957), p.27

(183) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.183

(١٨٤) يراجع شاهد قبر « ادد - كبي » في هذا الفصل .

(185) CAD., kispu

(186) Ibid.

(187) M. Bayliss, Op. Cit., p.119

(188) S. Langdon, in ERE., IV, p.445

الى تمثال الملك « سرجون » الاكدي بعد وفاته كما تدل الاشارات الواردة في بعض نصوص العهد البابلي الحديث [189] كما وجد الدليل على تقديم القرابين الجنائزية الى تماثيل الملوك المتوفين في نصوص تعود الى زمن سلالة « أور » الثالثة وفي نصوص اخرى متفرقة من عصور تالية لها ويفهم من تلك النصوص ان تقديم القرابين كان يتم في المعابد حيث توجد تماثيل الملوك [190].

٢ - « مي نقو » ويتمثل هذا النوع من الشعائر الجنائزية في سكب الماء لارواء ضمأها وقد اشير اليه في احد نصوص التبني البابلية المتضمنة شرطا من المتبنية على المتبناة بأن تلتزم بمعاملتها باحترام في حياتها وان تقوم بسكب الماء لروحها بعد موتها [191] وقد وردت الاشارة الى اهمية توفر الماء المسكوب لارواح الموتى في أحد الادعية المنقوشة على واحدة من احجار «الكدورو» ، التي سبقت الاشارة اليها ، : « في العلى عسى أن يطيب اسمه وفي العالم الاسفل عسى أن تشرب روحه الماء الزكي » [192] ، أما الطريقة التي يتم بها توصيل الماء الى ارواح الموتى في العالم الاسفل فكانت عبر انبوب فخاري ينزل من سطح الارض ويدعى بالاكدية «آروتو» ، وقد ورد ذكره في أحد الابتهالات المرفوعة الى الاله «شمش» اذ يرد ما يلي : « عساه (الاله شمش) ان لايدع انبوب مائه البارد يسقط للاسفل (اي للعالم الاسفل) » [193] ، ومن النماذج التي عثر عليها لهذا الانبوب ما وجد في

---

(189) A. Leo Oppenheim, Op. Cit., p.357 ; No.19
(190) Ibid., Loc. Cit.
(191) M. Bayliss, Op. Cit., p.120
(192) Ibid., p.116
(193) CAD., arutu

احد الابنية العائدة الى «شلكي» ثاني ملوك سلالة «اور» الثالثة حيث عثر تحت ارضية البناء على انابيب فخارية تنزل الى الاسفل بصورة عمودية وهي مكونة من عدة حلقات فخارية متصلة ببعضها ويبلغ ارتفاع كـل واحدة منها ثلاثة أقدام ولها قطر يبلغ خمسة اقدام أما عمق الانبوب كله فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ قدما تحت سطح الارض وكانت فتحته الكائنة في ارضية الغرفة مغطاة بغطاء مثقب في حين لم يكن لبعضها غطاء ، وقـد احدثت ثقوب في جوانب الانبوب الفخاري ليتسرب منها الماء المسكوب ويصل الى العالم الاسفل ، والظاهر ان هذه الانابيب قد استخدمت لفترة طويلة من الزمن[194] ، والباعث على اعتبار هذه الانابيب خاصة بشعائر سكب الماء يكمن في تعددها في البناية الواحدة . لقد وجد اثنان منها في غرفة صغيرة في وقت واحد كانا ينزلان لعمق ١٥ قـدماً ويبلغ قطر كل منهما ٣ أقدام ، ولما كان كل من البيت والمعبد لايحتاجان لمثل هذه الانابيب لتصريف المياه القذرة ولكونها تنزل بصورة عمودية في الارض اضافة الى العثور على آنية فخارية من النوع المستعمل في تقديم القرابين في اسفلها ، كما انه من الواضح ان تلك الآنية لـم تسقط بالصدفة في الانبوب اذ وجد في اسفل احد هذه الانابيب ما يقرب من ٤٠ اناء مرة واحدة[195] ، وبالطبع لم يكن يوجد اعتقاد بأن تلك الانابيب تنزل فعلا الى العالم الاسفل ولكن من الممكن الافتراض بأنه قد نظر اليها على انها تقرب التقدمات الجنائزية قدر الامكان الى العالم الاسفل . وقد عثر في عدد من الاضرحة الملكية في «اور» على منافذ خاصة لسكب الماء الى العالم الاسفل ، اذ عثر في القبر (١٠٥٤) على منفذ خاص لهـذا الغرض ، ووجدت ثغرة تنزل في ارضية المدخل المنحدر لكل من القبرين

---

(194) C.L. Woolley, Excavation at Ur, p.108

(195) Ibid., p.108f.

(٧٨٩) و (٨٠٠) يبدو انها استخدمت للغرض نفسه ، أما في القبرين (٣٣٧) و (١٢٣٧) فقد عثر على دكة خاصة بالقرابين الجنائزية من الواضح ان الماء كان يسكب عليها وينزل الى اللحد[١٩٦] .

٣ ـ «شوما زكارو» : وهو النوع الثالث من الشعائر الجنائزية ويعني حرفيا «ذكر الاسم» والمقصود منه احياء ذكر الميت في عالم الاحياء ومن الواضح ان غاية هذا النوع من الشعائر الجنائزية تطمين الشخص باستمرار ذكره بين الاحيا وبالاحرى تمكينه من الحصول على ما اسميته في الفصل الاول من البحث بـ «الخلود الممكن» الذي يتمثل في بقاء ذكر الانسان بعد موته[١٩٧] ، ولعل ابلغ تعبير عن شعائر ذكر الاسم هو العرف الذي سارت عليه عائلات المتوفين حديثا باطلاق اسم الميت على المولود الجديد في العائلة لتخليد ذكر الفرد الميت منها[١٩٨] ، كما انه بامكاننا اعتبار شعائر الحداد التي كانت تجري بعد وفاة الشخص (والتي سنتطرق اليها في موضع آخر من هذا الفصل) جزءا من هذا النوع من الشعائر .

وكان الاعتقاد بأن حرمان الميت من أي من هذه الشعائر يؤدي كما ذكرت سابقا الى خطر جسيم ، اذ انه يسبب صعود روح الميت بهيئة شبح مؤذ الى عالم الاحياء[١٩٩] ، وفي هذا الصدد تعدد احدى التعاويذ الاشباح

---

(196) C.L. Woolley, in The Archaeologists at Work, p.61

(١٩٧) تجدر هنا المقارنة مع ما يرد في أحد نصوص العهد القديم عن ذكر الاسم : « اعدائي يتقاولون علي بشر • متى يموت ويبيد اسمه » ـ المزامير / ٤١:٥

(198) M. Bayliss, Op. Cit., p.117

(١٩٩) يراجع الفصل الثاني من البحث بخصوص صعود أرواح الموتى الى عالم الاحياء .

التي تخرج الى عالم الاحياء بالشكل التالي : « شبح المنسي وشبح الذي لا يذكر اسمه وشبح الذي ليس له من يعتني به »(٢٠٠) ، وبسبب هذه الاهمية التي اكتسبتها الشعائر الجنائزية بالنسبة لارواح الموتى اصبح اهمالها وقطعها وسيلة من أشد وسائل الانتقام منهم ومن أهلهم وهو أمر سبق شرحه أثناء الحديث عن حالة أرواح الموتى في العالم الاسفل في الفصل الثاني من البحث غير اني اضيف هنا اشارة الى ما ورد في احد نصوص الملك الاشوري «آشور-بانيبال» في معرض حديثه عن انتقامه من الملوك العيلاميين الموتى باخراجه لعظامهم وقطعه للقرابين الجنائزية عن ارواحهم إذ يذكر : « لقد اقلقت راحة أرواحهم اذ حرمتهم من القرابين الجنائزية وسكب الماء »(٢٠١) .

وكانت هناك طريقتان لاقامة الطقوس الجنائزية ؛ فهي اما كانت تقام من قبل عائلة الميت ، حيث تحدد احدى التعاويذ الخاصة بطرد الاشباح الاقارب الذين يتحملون مسؤولية اقامة تلك الشعائر للميت بأنهم الاخ والاخت والاقارب الوثيقو الصلة به والابن والابنة والوريث(٢٠٢) ويبدو انه كان معتادا ان تشترك النساء وخاصة من الاسرة الحاكمة في تلك الشعائر الجنائزية الخاصة بالامراء المتوفين(٢٠٣) وقد استمر هذا العرف حتى فترات متأخرة من تاريخ حضارة وادي الرافدين حيث تذكر النصوص الكتابية الآشورية بأن الابنة وزوجة الابن (أي زوجة ولي العهد) والملكة كن يؤدين دورا مهما في المآتم الملكية(٢٠٤)

---

(200) GB., (1968), p.297
(201) M. Bayliss, Op. Cit., p.117
(202) Ibid., p.118f.
(203) Ibid., p.123 ; No.46
(204) M. Bayliss, Op. Cit., p.123

وكذلك الحال بالنسبة للعهد البابلي الحديث كما يبدو واضحا من شاهد قبر «ادد-كبي» الذي سبق ذكره والمتضمن اشارة تخص قيامها بتقديم القرابين الجنائزية للملوك المتوفين اثناء حياتها(٢٠٥) ويمكننا الاستدلال مما ورد في العديد من الادعية المنقوشة على احجار «الكدورو» التي يعود تأريخها الى اواخر الالف الثاني قبل الميلاد بأن الوريث هو الذي كان يتحمل المسؤولية الاولى في اقامة الشعائر الجنائزية للمتوفى ، ومن تلك الادعية واحد يرد فيه ما يلي : « عسى ان يحرمه الاله «ننورتا» من الوريث الذي يسكب له الماء »(٢٠٦) . وتجدر الاشارة هنا الى أن المصطلح الذي كان يطلق على من يؤدي الشعائر الجنائزية في العراق القديم هو «المتفقد» أو «الراعي» (paqidu) بالاكدية (LU.SAG.EN.TAR) بالسومرية(٢٠٧) ولايوجد لدينا دليل واضح عما اذا كان الشخص الذي يطلق عليه هذا المصطلح من أفراد عائلة الميت أو من المختصين باداء هذا العمل .

اما الطريقة الثانية في اقامة الشعائر الجنائزية فكانت تتم بتكليف عائلة المتوفى بعض الاشخاص والكهنة الموكول اليهم اداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الاسفل(٢٠٨) . كما كان هنالك كهنة خاصون يقومون باداء الخدمات في تقديم القرابين الجنائزية نذكر منهم كاهن الـ «ماخو» الذي سنشير اليه في موضع آخر من هذا الفصل الى دوره في الشعائر الجنائزية وكذلك كان

---

(٢٠٥) يراجع موضوع « شواهد القبور » فيما سبق من هذا الفصل .

(206) M. Bayliss, Op. Cit., p.120

(207) Ibid., p.116

(208) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.184

يوجد بعض الكهنة المختصون بالندب ورثاء الاموات وسناتي على ذكرهم في موضوع « الحداد والاثر الاجتماعي للموت » ، في هذا الفصل . وتجدر الاشارة هنا الى ما ورد في نصوص المعابد من العهد الكاشي بخصـــوص وجود كاهن خاص بتسلم القرابين الجنائزية المقدمة لارواح المـوتى في المعبد[٢٠٩] . والظاهر انه كان يوجد معبد خاص لاداء الطقوس الجنائزية يدعى بالاكدية «بيت كسب كسب»[٢١٠] كما كانت القرابين الجنائزية تقدم ايضا في معبد آخر يدعى «بيت كربي»[٢١١] .

ويمكن تقسيم الطقوس الجنائزية بالنسبة الى موعد او زمن تقديمها الى نوعين :

الاول ـ ويتضمن الطقوس التي كانت تقام مباشرة بعد وفـــاة الشخص ، وهي طقوس تختلف بحسب اختلاف مكانة الشخص ومنزلته الاجتماعية ، اذ تكون قصيرة وبسيطة بالنسبة للشخص الفقير الـذي كان يدفن خلال بضع ساعات من موته ، وكان العبيد والمنبوذين يلقون في الارجح في البراري لتلتهم العقبـان والكواســر جثثهم في حيـن يلقى البعض منهم في الانهار على سبيل الافتراض[٢١٢] ، أما بالنسبة للميسورين فقد كانت جنازاتهم تنال جهدا وعناية اكبر وكـانت القرابين الجنائزية اما ان تدفن مع جثثهم كما لاحظنا فيما سبق من هذا الفصل أو تــوزع على الناس بعد دفنهم وهو ما كان واضحا بالنسبة للاشخاص المهميـن أو أعضاء الاسر الحاكمة على وجه الاخص إذ كانت تقـام عند مـوتهم

---

(209) GE., p.153

(210) S. Langdon, in ERE., IV, p.445

(211) Albert Condamin, "Une Nouvelle inscription de Samsi-Adad", in ZA., XXI, (1908), p.249 ; 6

(212) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.181

وليمة تذبح فيها الخراف وتوزع لحومها على الناس كما علمنا من شاهد قبر «اددـ ذبي» الانف الذكر ، كما ان عملية دفنهم لم تكن تتم بعد وفاتهم مباشرة وانما كانت اجسادهم تمدد في تصورهم لفترة من الزمن بينما تستمر الطقوس في الخارج(٢١٣) ، ويصف لنا نص يعود الى أحد الملوك الآشوريين ، ولعله من السلالة السرجونية ، المراسم التي اقيمت عند موت والد ذلك الملك حيث يرد فيه :

« لقد مسحته بالزيت الملكي ليستقر جيدا ، وختمت فتحة الناووس (الذي هو ، موضع راحته بالبرونز القوي وللموت عليه رقية قوية (ضد اللصوص والشياطين) ، وعرضت امام الاله «شمش» أواني الذهب والفضة وكل مستلزمات القبر وأوسمته الملكية التي يحبها ثم وضعتها في القبر مع أبي الذي انجبني(٢١٤) ، وقدمت القرابين الى الحكام السماويين، آلهة الانوناكي ، والى الآلهة التي تسكن الارض (العالم الاسفل) ، ندبته الاقنية واجابتها السواقي، اتشحت الاشجار بالسواد عليه وبكته البساتين ... »(٢١٥)

وقد ورد في « ملحمة كلكامش » طرف من هذه الطقوس التي اجراها «كلكامش» عند موت صديقه «انكيدو» على الشكل الآتي :

« ولما ان لاح أول خيط من نور الفجر نهض كلكامش ونادى صناع المدينة وصاح بهم

---

(٢١٣) وسأتطرق الى تفصيل ذلك في موضوع « الحداد والاثر الاجتماعي للموت » في هذا الفصل .

(214) GE., p.139

(215) KG., p.244f.

ايها الصقار والصائغ والجوهري ونحات
الاحجار الكريمة اصنعوا لي تمثالاً لخلي
ونحت لصديقه تمثالا جاعلا صدره من اللازورد
وجسمه من الذهب
ونصب منضدة من الخشب القوي
واناء من اللازورد مملوءا بالزبد
وقرب ذلك الى (شمش) »[٢١٦]

الثاني – ويشمل الطقوس التي كانت تقام في أوقات محددة ومختلفة لفترة طويلة بعد موت الشخص اذ لم يقتصر تزويد الميت بالطعام والشراب على وقت الدفن وانما يستمر من بعد الدفن ايضا ، ويتميز هذا النوع من الطقوس الجنائزية بأن الغالب فيه هو اقامته لمجموعة من أرواح الموتى في العائلة الواحدة وقد وردت الاشارة الى هذه الطقوس في أحد نصوص الملك الآشوري «آشور-بانيبال» حيث يذكر فيه :

« لقد قمت باعادة الشعائر التي تشمل الطعام والشراب
المقدم لارواح الموتى الاسلاف والتي كانت مهملة ،
وانجزت كل ما هو حسن للاله والانسان ، للميت
والحي »[٢١٧] .

ويمكننا الاستدلال من هذا النص بأن الطقوس الجنائزية كانت تقام لفترات بعيدة جدا عن زمن موت المقرب لهم ، وانها كانت تشمل أكثر من جيل واحد كما تدل عليه كلمة الجمع بالنسبة للملوك والواردة

---

(٢١٦) طه باقر ، ملحمة كلكامش ص ١٠٧ ، اللوح الثامن – العمود الخامس : ٤٥ – ١٩ .

(217) GE., p.152

في هذا النص وفي نصوص اخرى متفرقة[218] ، كما وردت الاشارة في بعض النصوص الآشورية الى شخص يدعى «قردي-آشور-لامر» كان قد امتلك ارضا بالقرب من مدينة «آشور» وتوارثتها عائلته وبعد انتقال العاصمة من مدينة «آشور» استمرت عائلة هذا الشخص في الالتـــزام باقامة الطقوس الجنائزية لارواح الملوك المغفورين في تلك المدينة وكذلك لارواح الذين قتلوا في الحروب[219] .

ومن النصوص المهمة المتعلقة بهذا النوع من الطقوس الجنائزيـة نذكر احدى الرسائل الموجهة الى «زمري-لم» (١٧٧٨-١٧٦١ ق٠م) ، ملك «ماري» (تل الحريري حاليا) ، من قبل احد اتباعه ، وهو «كربي-داكان» حاكم مدينة «تيرقا» ، التي كانت كما يبدو المدينة الاصلية لاسرة «زمري-لم» ، ويشير فيها الى ان الاله «داكان» قد طلب بواسطة الكاهن «ماختو» اقامة الشعائر الجنائزيـة لروح «يخدن-لم» ابي «زمري-لم» ، تلك الشعائر التي كان «زمري-لم» على ما يظهر قد انقطع عـن اقامتهـا لابتعاده عن المدينة[220] .

ونعرف من المواعيد المهمة المعروفة لاقامة هذا النوع من الطقـوس الجنائزية نوعين اولهما شهري والثاني سنوي ، فالاول كان يقام شهريا في اليوم التاسع والعشرين من الشهر وهو اليوم الذي يكون فيه القمـر محاقا وكان يدعى (bubulu)[221] وهو يوم تتجمع فيه أرواح الموتى

---

(218) M. Bayliss, Op. Cit., p.123

(219) H.W.F. Saggs, Everyday Life in Babylonia and Assyria, p.100f.

(220) Jorgen Laessoe, People of Ancient Assyria, (Lodon, 1963), p.44ff.

(٢٢١) وقد سبق الحديث عنه في الفصل الثاني من البحث .

ويقوم الاحياء في اثناوه بتقديم القرابين واقامة الشعائر لها وقد وصف بأنه :

« يوم القرابين الجنائزية

يوم سكب الماء (الى أرواح الموتى) »(٢٢٢)

كما اطلقت عليه عدة نعوت منها «يوم وليمة الموتى» و «يوم الكآبة» و «يوم الندب»(٢٢٣) ، أما الموعد السنوي لاقامة الطقوس الجنائزية فقد كان في شهر «آب» وهو الشهر الخامس في التقويم البابلي وكانت تقدم فيه مختلف أنواع القرابين لارواح الموتى وترفع المشاعل لهم(٢٢٤) وتبلغ الطقوس ذروتها في اليوم التاسع من هذا الشهر الذي كان يشار اليه بأن ارواح الموتى تنعتق من احتجازها في العالم الاسفل(٢٢٥) ، وقد وصلتنا عدة رسائل ملكية متعلقة بالطقوس المقامة لارواح الموتى في شهر «آب» ومن بينها رسالة من الملك «عمي-ديتانا» تاسع ملك من السلالة البابلية

---

(222) S. Langdon, Babylonian Menologies and the Semitic Calenders, p.148 : 21-22

(223) A. Jeremias, The Babylonian Conception of Heaven and Hell, p.14

(224) S. Langdon, Op. Cit., p.20 ; ref. O. Schroder, Keilschrifttexte aus Assur Verschiedenen Inhalts, 218, p.119

(٢٢٥) وتجدر الاشارة هنا الى ما كان يقوم به العبرانيون في اليوم التاسع من آب (ويصادف ايضا الشهر الخامس في تقويمهم) من القاء المراثي والترانيم الحزينة وتذكر الكوارث اليهودية حيث ارتبط هذا التاريخ عندهم بسقوط « اورشليم » على يدى الملك البابلي « نبو خذ نصر » في عام ٥٨٦ ق.م

يراجع بخصوص ذلك : S.H. Langdon, Op. Cit., p.22

الاولى ، الى أحد اتباعه من حكام الولايات يقول فيها :

« يجب تجهيز كميات الحليب والزبدة الخاصة بالقرابين الجنائزية لشهر آب · حالما تقرأ لوحي هذا ، دع رجلا من اتباعك يهيىء ثلاثين بقرة ومكيال «بي» واحد من الزبدة ويأتي بها الى «بابل» ويبق فيها حتى تكمل الطقوس الجنائزية ، دعه يهيىء الحليب من دون تأخير وليأت على عجل »(٢٢٦) ·

وهناك رسالة اخرى للملك «سمسو-ديتانا» (١٦٢٦-١٥٩٥ ق·م) آخر ملوك سلالة «بابل» الاولى يشير فيها الى ضرورة « تجهيز السلاحف(٢٢٧) لتقديمها في القرابين الجنائزية لشهر «آب» على وجه السرعة »(٢٢٨) ثم يعدد في رسالته بعض الاصناف من الاطعمة وعددا من الحاجيات الفضية والمواد الجلدية والقدور والسلال(٢٢٩) · واضافة الى شهر «آب» وردت اشارة في أحد النصوص الآشورية الى طقوس جنائزية كانت تقام سنويا في شهر «شباط» لارواح الموتى في بلاد «آشور»(٢٣٠)·

---

(226) GE., pp.151-2

(٢٢٧) ونشير هنا الى ما كان يعتقد به البابليون من ان السلحفاة احد رموز الاله « نركال » ، كما كانت تستعمل في مراسم طرد الارواح الشريرة · يراجع بخصوص ذلك :

M. Jastrow, The Civilization of Babylonia and Assyria, 417

R. Campbell Thompson, Semitic Magic, (1908), p.33f.

(228) GE., p.152

(229) CAD., kispu

(230) G. Van Driel, The Cult of Assur, (Leiden, 1969), p.168f.

الحداد والاثر الاجتماعي للموت :

وفي هذا الموضوع ننتقل في الحديث الى الكيفية التي كان يعبر بها أقارب المتوفي ومعارفه في بلاد وادي الرافدين القديمة عن احزانهم ومشاعرهم نحو الميت ، وكذلك الحالة التي يكون عليها المجتمع في المدينة او الدولة بعد موت الملك أو أحد افراد الاسرة الحاكمة أو الشخصيات المهمة في الايام التي تعقب الوفاة مباشرة .

ومن الممكن تلخيص أهمية هذا الموضوع في دراسة عقائد ما بعد الموت باعتباره يوضح لنا جانبا مهما من فهم الفرد أو المجتمع للموت من خلال التعبير عن المشاعر نحو المتوفي ، حيث ان هذا التعبير كان ، وفقا لعقائد ما بعد الموت عند سكان العراق القدماء ، عاملا مؤثرا في كلا الطرفين ، الاحياء الذين فقدوا احد اقاربهم أو اصدقائهم من جهة . والمتوفى نفسه من الجهة الاخرى ، فبالنسبة للاحياء من عائلة المتوفى واقاربه واصدقائه والمجتمع الذي عاش به كان الحداد عاملا مساعدا على تخفيف الحزن والقلق والاحساس بالتوتر الذي يغمرهم(٢٣١) ، وبالنسبة للمتوفى كان الحداد والحزن الحاصل بعد وفاته يعتبر بمثابة ضمان بعدم انقطاع ذكر الشخص بين الاحياء بعد موته وبالتالي يصبح أمرا موحيا بالطمأنينة للفرد ازاء الموت ، وقد ظهر هذا الاتجاه بأشكال متعددة مثل اقامة الطقوس الجنائزية (التي سبق الحديث عنها) وفي الاخص منها طقوس «ذكر الاسم» (shuma zakaru)

واضافة الى ذلك كله كان الاعتقاد السائد بين سكان وادي الرافدين القديمة ان دموع الاحياء ومراثيهم يمكن أن توفر للموتى بعض

(231) M. Bayliss, Op. Cit., p.121

الراحة(٢٣٢) ، ويمكننا تلمس أثر الحداد في تخفيف حدة أثـر المـوت في نفس الانسان مما يرد في «ملحمة كلكامش» على لسان الاله «شمش» وهو يهدىء من روع «انكيدو» حين مرض وواجه الموت اذ يخبره :

« وسيجعل «كلكامش» أهل اوروك يبكونك
ويجعل الموسرين من الناس يقربون ويصلون اليك
أما هو نفسه فبعد أن يودعك القبر سيطلق شعره
ويلبس جلد الاسد ويهيم على وجهه في الصحاري »(٢٣٣)

وفعلا يطمئن «انكيدو» ويخف جزعه من الموت كما يتضح مـــن الاسطر التالية بالرغم من ان الاله «شمش» لم يعده بتخليصه من الموت ٠

وقد كانت مراسم الحداد تختلف باختلاف مكانة الشخص المتوفى ودوره في المجتمع ، كما هي الحال بالنسبة لسائر الطقوس الجنائزيـة الاخرى (والتي سبق الحديث عنها) ، اذ كانت بالنسبة لعامة الناس مقتصرة على عائلة الميت وأقاربه واصدقائه ، وبالطبع كانت درجة الحـزن تختلف من شخص لآخر باختلاف درجة قرابته مع الميت(٢٣٤) ، أما بالنسبة للملوك والشخصيات المهمة في الدولة فقد كانت هناك شعائر خاصة سنأتي على شرحها بعد قليل ٠

وكان يوجد عدد من الكهنة المختصين بالقيام بمراسم الحداد بطلب من أسرة المتوفى بتلاوة المراثي ٠ وكان هؤلاء الكهنة على ثلاثة اصناف هي :

١ ــ صنف «گالا_ماخ» في السومرية و «كالمخو» في الاكدية وتعني حرفيا «الكاهن العظيم» ، وكان الكاهن من هذا الصنف يعتبر من طبقـة

---

(232) E.A.W. Budge, Op. Cit., p.184

(٢٣٣) طه باقر ٠ ملحمة كلكامش ، ص ١٠١ ، اللوح السابع/العمود الثالث : ٤٥ ــ ٥٠ ٠

(234) M. Bayliss, Op. Cit., p.121

كبار رجال المعبد(٢٣٥) ، ولعله كان مختصا بالمآتم الملكية ٠

٢ ـ «كـالا» بالسومرية و «كالو» بالاكدية ٠

٣ ـ «كالا-تور» ٠

وكانت الالحان الحزينة تعزف بمصاحبة المراثي التي يلقيها هؤلاء الكهنة حيث ورد في أحد النصوص من مدينة «ماري» (تـل الحريري) ما يلي :

« كاهن المناحة (kale) يرنم برفقة طبل (haihallatu) »(٢٣٦)

وفي نص آخر : « كاهن المناحة يرنم انشودة ، كاهن المناحة ينشد باطراء السيادة العليا ، كاهن المناحة ينشد بمصاحبة القيثارة »(٢٣٧) ٠ وكان الموسيقيون الذين يعزفون على الناي والقيثارة كثيرا ما يظهرون فـي المشاهد المصورة على الاختام الاسطوانية التي تمثل الولائم الجنائزية(٢٣٨)

وبالاضافة الى الكهنة الذين سبق ذكرهم كـانت بعض الكاهنات يشتركن في المآتم حيث وردت الاشارة الى اشتراك كاهنتين مـن صنف «لوكر» و «اينتو» في مراسم الحداد الخاصة بالشخص المدعو «نانا» والد «لو-دنكرا» ، وذلك في المرثية الخاصة به والتي سبق أن نقلنا ترجمـة لخاتمتها في الفصل الثاني من البحث ، والان ننقل ترجمة كاملة لتلـك المرثية ولمرثية اخرى خاصة بـ «ناورتم» زوجة «لو-دنكرا» نظرا لاهميتها الكبيرة فيما يتعلق بشعائر الحزن والحداد على الاموات في العراق القديم، ونبتديء بالمرثية الاولى :ـ

---

(٢٣٥) ـ صبحي انور رشيد ، تاريخ الالآت الموسيقية في العراق القديم ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ٢٥٤ ٠

(236) CAD., Vol. 8 ; kalû : p.91f.

(237) Ibid., p.91

(238) J.B. Pritchard, The Ancient Near East in Pictures, p.331 ; No.679, 158

« المرثيـــة الاولى »

« ارسل الاب ابنه الى الموضع البعيد ،

الابن الذي ذهب الى الموضع البعيد لم يهمل وصايا «تلك الايام» ،

لقد مرض الاب الذي مكث في المدينة ، ان المتألق الجميل ، الذي لا وجود له الا في الجبال النائية قد أصبح مريضا ·

ان الذي كان عذب النطق ساحره ··· قد اصبح مريضا ،

ان من كان حكيم النصح ، الزاهي النبل في المجتمع قد اصبح مريضا .

ان من كان رجل صدق . خاشع لالهه قد اصبح مريضا ،

لقد مرض ولم يأكل ، لقد كان مضنيا

لم يذق طعاما بفمه انطبق ورقد جائعا ،

مثل لوح من الطين ··· ،

البطل ، القائد لم يحرك قدمه

من مرضه ··· كان ذاويا من العويل على ابنائه ،

انه متألم القلب مأخوذ بالعويل

لقد مات النابغة في «نفر» اثر جراح اصابته في عدوان ·

وصل الخبر الى ابنه وهو في السفر البعيد ،

ومثل ابن لم ينفصل عن ابيه ،

عاد مرتديا الثوب(٢٣٩) الذي ارسل له ،

ذرف الدموع ، ورمى نفسه في الوحل وانشد عليه «ترنيمة شعر»

ومن قلبه الملتهب كتب «لودنكر» مرثية :

« يا ابتي ، الذي مات في عدوان ، يا «نانا» ، الذي حمل الى العالم الاسفل بالشر المخطط ضده ،

---

(٢٣٩) يبدو ان المقصود به ثوب الحداد ·

زوجتك ـ واعجبا ! كانت من قبل زوجته والآن صارت ارملة
انها تدور حولك كالزوبعة ٠٠٠ ،
ومثل (عاصفة) اندفعت نحوك ، نعم ! فقد افقدتها صوابها .
واطلقت صرخة الم كما لو كانت في المخاض
لقد مزقت (ثيابها) واخذت تئن كالبقرة ،
٠٠٠ واطلقت صرخة الم وذرفت الدمع السخي ،
وغطت (بهاء) ما هو صحيح ،
٠٠٠ بالظلام ٠٠٠ الذي يجمع (الحزن) ،
يلمسك ، القلب (وهو) مغمور بالهم ،
« الذي (كان) ينهض ٠٠٠ مبكرا ،
من بين (الكاهنات) اللواتي يسكنّ في (المعبد) كاهنة الاله «ننورتا» من
صنف «اوكر» القت بنفسها في الوحل ،
ومثل اله حزين ٠٠٠ ،
ان صيحاتها المتألمة ٠٠٠ شر ،
في وسط الرواق ٠٠٠ جعلت الناس المنتشرين (ينثرون) حبوبا وماءا ،
« فوضى المعارك ، كاهنة الاله (نسكو) من صنف (اينتو) ٠٠٠ مزقت
اربا (ثوبها) لاجلك (ولمهت) طرف ثوبك ٠٠٠ ،
ابناؤك الذين كانوا يعاملون كأبناء ملك ، يأكلون ٠٠٠
كلما يشربون ٠٠٠
العسل والزبدة ٠٠٠ ،
ملأوا المائدة بالزيت لك ،
والدموع التي ذرفوها من اجلك تستحق الرثاء ،
وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي ،
مثل القمح الذابل هم ٠٠٠

عودة الطور (التي) ترفع ....

زوجات ابنائك اللواتي قلن «اين (اواه) اين هو الآن ؟»

لقد وقع عليهن (الحزن) بصمت لاجلك ،

بأحضـــــان ...

.. الاصوات العذبة .. نام مثل ..

.. مرثية لك .. لا تنقطع .

« آه يا أبتي ، عسى قلبك ان يرتاح »

« يا نانا » ، عسى روحك ان تسر ،

ان كاهن ال (EN) واد (انسي) ...

عسى اولئك الذين نجوا من يد الموت ...

ان يد الموت ... في ...

الموت هو فضل الآلهة ، والموضع الذي يتقرر فيه المصير ...

عسى ذريتك ... ركبتك

ان بناتك ... لاجلك في ...

لقد حزن عليك أكابر مدينتك

ونبيلات مدينتك ... لاجلك ،

ان الامة وهي على الرحى تذرف الدمع عليك ،

والمنزل ، حيث وضع ...

اكتسب فضة وقمحا ، وزادت فيه المقتنيات ،

« عسى الابن الاكبر ان يقيم لك ... الاسس الراسخة ، »

« والرجل الذي قتلك ، مثل الذي .. القلب ..

الذي هجم عليك بعنف قاس ،

ليعود الثأر الاكيد للملك ، الراعي ، الهك الشخصي

المشورة الصادقة للاله (اوتو)

وعسى ان يكون ذلك الرجل ملعونا وليكن الموت نصيبه
وعسى ان تترك عظامه دون ان يدفنها احد
وعسى ذريته ··· وعسى ان يمحى اسمه ،
وعسى املاكه مثل طائر ·· العصافير ·· ،
وعسى (آلهة) البلاد ·· ان تجلب لك العطف ·· كلمات ، وعساهم ان يجعلوك مطمئنا »[240] ·

ثم ترد خاتمة المرثية ، وقد سبق ان أدرجت ترجمتها الكاملة في الفصل الثاني من البحث (تراجع الصفحات ١٢٥ ـ ١٢٦) ·

« المرثيـــة الثانيـــة »

« يوم الشؤم على الزوجة ··· ،
على السيدة الجميلة ، الزوجة العطوف ، العين الشريرة وقعت
على العصفور وعلى عشه وقعت الشبكة ،
الام الولود ، الام الكثيرة الابناء وقعت بالفخ على حين غفلة ،
البقرة الصغيرة الزاهية ، البقرة الوحشية المخصبة ، سقطت محطمة مثل اناء (گاكول) ،
(ناورتم) ، البقرة الوحشـية المخصبة ، سـقطت محطمة مثل اناء (گاكول)
وهي التي لم تقل أبدا (انني مريضة !) ولم تقلق ،
وهي التي لم (تدس) الموضع القدسي ،
كأنه موضع راحتهم ، اندفعوا ·· ولم تكن ··

---

(240) KS., pp.211-4

لقد غمرت (نفر) العتمة ، وفي المدينة ..
اطلق كل الناس صرخة الحزن ..
....
وغمرهم العطف على نهاية حياتها القاهرة ،
وتألموا لتمددها كتمثال ذهبي ،
فمن الذي ينظر اليها ولا يتملكه الحزن ؟
النساء الباكيات (رددن) أروع ترانيم الشعراء ذات الكلمات العذبة
والتي اطلقت في كل مكان ندبا ورثاءا
لان .. عاد ، انشدوها حزنا عليها ،
لان التي (لم تزل) صغيرة ،
... حجـر ...
لان أيامها في حضن زوجها لم تطل ، لم ينقطع البكاء
لان من ... لم يرجع الاله (ننورتا) صيحة البهجة ،
لان محبوبتها كاهنة الـ (اينتو) لم تدخل الـ (كيبار)
لم يقبل الحمار ، الذي اختار الفرس زوجة له ، كقربان ،
لان ... جلب الى النهاية بجانبه ،
بسمو وعطف اطلق مرثية لاجلها ، لامها التي انجبتها ... لاجلها
حصصهم يجعلها لاجلها في ...
وجاءت أرواحهم قدامها ، وتمزقت اجسادهم الشريرة
... العاملون والاقارب ...
لان ... من الركبة ...
لم يقفـوا ...
كل حسناتهم كن ...
...

مثل رجال غاضبين ، الاحجار ... مرض
النور في مدينتها من العلى ... لم يزدد
وحينها (كان) زوجها الحبيب وحيدا في مدينته في (نفر) ...
(لو - ذنكرا) ، زوجها الحبيب (كان) وحيدا
في مدينته ، في (نفر) ...
دنا منها بقلب جريح في ... موضع السكن العظيم
اخذوا يده وقلوبهم مفعمة بالحزن ،
... قطع الغذاء ... ونفسه مكظوم
واطلق العويل كالبقرة ولم (يرتد) ثيابا ...
انه يتألم ويندبها : « آواه ! اين (انت) الآن انني انعيك
اين الالهة (ميمي) الآن والروح الفاتنة ! انني انعيك
اين الفم العطوف الآن . الفم الساحر ، الفم الكريم ! انني انعيك
اين سلاحي البهي الآن ، الكنانة الزاهية ! انني انعيك
اين (انت) الآن . أشراقتي البهية ! انني انعيك
اين الاغاني العذبة التي تبهج القلب الآن ! انني انعيك
اين سلاحي البهي الآن ، الكنانة الذهبية التي تنير الروح ! انني انعيك
اين رقصي ، رقص (اليد المرفوعة) والمرح ! انني انعيك
« عسى ان لا يمحى ذكرك في الحياة ، وعسى ان يذكر اسمك في الايام
القادمة ، وعسى خطيئة عائلتك ان تمحى ، وعسى ديونك ان
توفى ،
عسى زوجك ان يبقى طيبا ، وعساه ان يفعل الخير ككل رجل
عسى ان يبشر اطفالك بمصيرهم السعيد ، وعسى ان يكتب لهم المستقبل
السعيد
عسى عائلتك ان تتقدم للامام وعسى ان يكون مستقبلها مزدهراً

عسى الاله (اوتو) ان يجلب عليك النور من العالم الاسفل
هو الذي (يرعاك)
عسى الاله (ننكرا) (ان يطلق كلمة) لاجلك ، عساها ان ترفع عاليا
لان الريح العاتية قد هبت ضدك ، عسى ان يرجعها الافق
وعسى اللعنة القاسية ان تطلق على الشيطان الذي مد يده ضدك
ولانك الزوجة العطوف قد تمددت مشرقة كالنور ، فهذي مرثية مريرة
لاجلك[241] »

لقد اطلق سكان العراق القدماء المصطلح (شقو) على الحداد[242]، وهو مصطلح أكدي قريب من كلمة (الشقاء) العربية ولعل المقصود من اطلاق هذا المصطلح على الحداد الاشارة الى الحالة التي يكون عليها الحزانى في فترة الحداد حيث يغمر الالم نفوسهم وتملأ الحسرة صدورهم. وكانت طريقة الاعلان عن الحداد تتم بترك الشعر اشعثا[243] أو بنتفه تعبيرا عن الحزن[244] والنواح بأصوات عالية واللطم على الوجه[245] ، والقاء اليدين على الارض وتمزيق الثياب كما وردت الاشارة في حوليات الملك (سرجون) في معرض وصف حزن العراقي عند وفاة أحد معارفه بأنه كان : (يلقي بنفسه على الارض ويمزق ثوبه ، ويجرح نفسه بسكين وهو مستغرق في العويل)[246] ، وكان من طرق

---

(241) KS., pp.214-7
(242) Svend A. Pallis, The Antiquity of Iraq, p.683
(٢٤٣) « اسطورة ادابا » : ١٤ ـ ١٦
(٢٤٤) « ملحمة كلكامش » ، اللوح الثامن/العمود الاول : ٢١
(٢٤٥) « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » : ١٧٠ ـ ١٧٨ ، ٣٠٠ـ٣٠٧ ، الرواية السومرية .
(246) A. Jeremias, The Babylonian Conception of Heaven and Hell, p.11f.

الاعلان عن الحداد عند سكان العراق القدماء أن يرتدوا ثيابا خاصة به[٢٤٧] وينشروا الطين على رؤوسهم ويبقوا طيلة ايام الحداد مطأطئي الرؤوس كما يتضح من نص (شاهد قبر ادد - كبي) (الذي اسلفنا ترجمته في هذا الفصل) . ومن النصوص القديمة التي تشير الى الحزن الناشيء عن الموت نذكر ما يرد في (ملحمة كلكامش) عن حزن (كلكامش) على صديقه «انكيدو» بعد وفاة الاخير حيث تذكر الملحمة :-

« حين جس قلبه فلم ينبض
عند ذاك غطى صديقه كالعروس
واخذ يزأر حوله كالاسد
وكاللبؤة التي اختطف منها اشبالها
وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر اليه
وينتف شعره المضفور ويرميه على الارض
نزع ثيابه الجميلة ورماها كأنها اشياء نجسة »[٢٤٨] .

وبالنسبة لشعائر الحداد على الموتى من الملوك او الشخصيات المهمة في الدولة كانت فترة الحداد الرسمي تستمر لمدة سبعة ايام يتوافد في اثنائها الناس من مختلف المدن وكذلك الملوك والحكام في

---

(٢٤٧) « اسطورة ادابا » : ١٦ ، « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل » ٢١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ .
كما تراجع مرثية « انانا » والد « لودنكسرا » على الصفحات السابقة .

(٢٤٨) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص ١٠٦ - ، ٧ اللوح الثامن /العمود الاول : ١٤ - ٢٢ .

الدول الاخرى[٢٤٩] ، ولم يكن جثمان الملك المتوفى يدفن بعد موته مباشرة وانما كان يمدد على سريره في قصره الخاص حيث يتجمع حوله أفراد اسرته للبكاء عليه في حين يتجمهر اهل مدينته حول القصر ، وهذا ما نعرفه من النص السومري الذي سبق الحديث عنه والمعروف بعنوان (موت اور - نمو) ، وكذلك من احدى الرسائل الآشورية الموجهة الى الملك الآشوري (سرجون) تطمئنه عن الامتثال لاوامره بأن يعرض جسد سلفه لمدة ثلاثة ايام ثم ينقل الى مدينته (اربيلا) (اربيل) ليعرض يوما آخر فيها . وكان هذا العرض يجري أما داخل القصر او عند احدى بوابات المدينة حيث وردت الاشارة في أحدى الرسائل ان البوابة الكبيرة للمدينة قد فتحت وسمح للسكان بالمرور عبرها والمثول امام جسد الملك المتوفى[٢٥٠] ، وحينما يكون جسد الملك مسجى على سريره يستمر عملية تحضير الضريح للدفن وانشاد الترانيم الجنائزية كما ورد في احدى الرسائل الآشورية عن المراسم التي أقيمت بعد انتحار (شمش - شوم - أوكن) اخي (آشور - بانيبال) بعد فشل ثورته في (بابل) على اخيه الملك حيث تذكر الرسالة : (لقد بنينا الضريح ، ورقد مع سيدة قصره بسلام ، لقد انتهت الترانيم (taklîtu) والمراثي واحرقت القرابين ، كما تمت مراسم المسح بالزيت واقيمت

---

(٢٤٩) يراجع « شاهد قبر ادد - كبي » فيما سبق من هذا الفصل ، كما تجدر الاشارة هنا الى العرف الذي سار عليه الحكام في تقدير جيرانهم من الملوك والحكام الموتى بجعله حادثا يؤرخ به ، وقد اكتشفت الواح كثيرة في تل الضباعي وتل حرمل وهي مؤرخة بموت عدد من هؤلاء الحكام .

(250) G. Contenau, Everday Life in Babylon and Assyria, (1966) , p.296f.

مراسم الانتهاء في بيت الاستحمام وبيت التطهير وتلاوة التعويذ وانشاد التراتيل الجنائزية »(٢٥١) . والظاهر من هذه الرسالة انه بعد انتهاء فترة الحداد كان يتم الاعلان عن انتهائها بأن يذهب الجميع للغسيل وتطهير انفسهم ، كما انهم كانوا ، كما يظهر من شاهد قبر (ادد ـ كبي) (السالف الذكر) ، يقومون بقص شعورهم وارتداء الملابس النظيفة والتزين بالحلي ويقومون ايضا بسكب الزيت على رؤوسهم وهناك رسالة تعود الى عصر الملك (سرجون) الآشوري تمدنا بمعلومات واضحة عن الحداد الرسمي الذي يقام عند وفاة الملوك حيث ورد فيها مايلي :ـ

« في اليوم الذي سمعنا فيه بموت الملك ، اعلن اهل آشور الحداد ، وجعل حاكم المدينة زوجته تخرج من القصر وقامت بأحراق جدى ، اما رئيس ضباطه فقد سيطر على مبنى حاكمية المدينة ، وقد لبس ضباطه ملابس الحداد ووضعوا النياشن الذهبية واصطفوا امام حاكم المدينة ، وقام المرتل (قيسايا) بالقاء الاناشيد الجنائزية مع فتياته امام ضباط المملكة »(٢٥٢) .

وهنالك اشارة وردت في احد النصوص التي عثر عليها في مكتبة الملك الآشوري (آشور ـ بانيبال) والمتعلق بأحد المآتم الملكية ، تدل على اشتراك الرجال والنساء في ندب الميت على شكل جوقتين احداهما

(251) A.T. Olmstead, History of Assyria, p.475 ... and S.H. Langdon, in ERE., IV, p.446
(252) GE., p.153

للنساء والثانية للرجال حيث جاء في ذلك النص : (وكانت النساء يندبن، والاصدقاء يجيبون)(٢٥٣) ٠

ونختتم الحديث عن الحداد في بلاد وادي الرافدين القديمة بالاسطر التي وردت في (ملحمة كلكامش) والتي تصف حزنه على وفاة صديقه (انكيدو) حيث تذكر الملحمة على لسان (كلكامش) :

« على فراش المجد اضطجعتك

واجلستك على كرسي الراحة الذي الى شمالي (يساري)

لكي يقبل أمراء الارض قدميك

سأجعل أهل (اوروك) يبكون عليك ويندبونك

وسيحزن عليك اهل الفرح والموسرون وسأجعلهم يقربون اليك

وانا نفسي (بعد ان توسد في الثرى) ساطلق شعري

والبس جلد الاسد واهيم على وجهي في الصحارى »(٢٥٤) ٠



(253) A. Jeremias, Op. Cit., p.11

(٢٥٤) طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٠٧ ـ ٨ ، اللوح الثامن/العمود الثالث ١٠ـ٧ ٠

ملحق الرسالة

الاساطير الخاصة بموضوع البحث

- « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل »
(الرواية السومرية)
- « اسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل »
(الرواية الآشورية)
- « اسطورة نرگال وايرش كيگال »
- « اسطورة ادابا »
- « رؤيا الامير الآشوري كمايا عن العالم الاسفل »
- اللوح الثاني عشر من « ملحمة گلگامش »

١ ـ « اسطورة نزول انانا الى العالم الاسـفل »

الرواية السومرية

ويتألف نص هذه الاسطورة مما يقرب من ثلاثة عشر لوحا وكسرة وجدت جميعها في موقع مدينة «نفر» في جنوب العراق وهي موزعة الآن بين « متحف الشرق القديم » في اسطنبول و « متحف جامعة بنسلفانيا » ، وقد دونت هذه الالواح في النصف الاول من الالف الثاني ق٠م ، الا أن تاريخ تأليفها لاول مرة غير معروف ٠ وقد اعتمدت في ترجمتها الى العربية في هذا الملحق علـى ترجمتها الانكليزيـة التي نشرها الاسـتاذ «كريمر» في المصدر الآتي : ANET., 3rd ed., (1969), pp.52-7

١ ـ من السماء العظمى ، اتخذت قرارها للتوجه نحو الارض السفلى

الآلهة ، من السماء العظمى ، اتخذت قرارها للتوجه نحـو العالم الاسـفل ٠

انانّا ، من السماء العظمى ، اتخذت قرارها للتوجه نحـو العالم الاسـفل ٠

سيدتي ، هجرت السماء ، وهجـرت الارض ، ونـزلت الى العالم الاسفل ٠

٥ ـ انانّا ، هجرت السماء ، هجرت الارض ، ونزلت الى العالم الاسفل٠

هجرت السيادة ، هجرت السلطة ، ونزلت الى العالم الاسفل

هجرت «اي ـ انّا»(١) في «الوركاء» ونزلت الى العالم الاسفل

---

(١) ان الاسماء الواردة في هذا السطر والاسطر التالية له تخص المعابد الموجودة في المدن القديمة المذكورة ازاءها ٠

هجرت «اي-مش-كلامّا» في «بادتبيرا» ونزلت الى العالم الاسفل
هجرت «كيكونا» في «زبلام» ونزلت الى العالم الاسفل
١٠- هجرت «اي-شارّا» في «ادب» ، ونزلت الى العالم الاسفل
هجرت «بارا-تش-كارّا» في «نفر» ، ونزلت الى العالم الاسفل
هجرت «خور-ساك-كلامّا» في «كيش» ، ونزلت الى العالم الاسفل
هجرت «اي-اولماش» في «أكد» ونزلت الى العالم الاسفل
زودت نفسها بالنواميس السبعة ،
١٥- جمعت النواميس ، ووضعتها في يدها ،
هيأت النواميس كلها ووضعتها عند قدمها المنتظرة
وضعت الـ «شوكورا» ، تاج السهل ، على راسها ، اخذت لمة غرتها،
أمسكت «عصا القياس» وشريط اللازورد بيدها
٢٠- عقدت أحجار اللازورد الصغيرة على جيدها
وثبتت الاحجار المتلألئة على صدرها
وضعت سوارا ذهبيا في معصمها
وشدت الدرع الذي ... على صدرها
ولفت جسدها بثوب الـ «بالا» ، ثوب السيادة .
٢٥- طلت بالكحل الذي ... عينيها
مشت «انانّا» نحو العالم الاسفل
ومشى رسولها «ننشوبر» بجنبها ،
انانّا الطاهرة قالت الى «ننشوبر» :
« يا سندي الوفي
٣٠- يا رسولي (الذي يبلغ) الكلمات الطيبة
انت يا من تحفظ لي الكلمات الصادقة ،
اني نازلة الآن الى العالم الاسفل ،

وعندما ابلغـه

املأ السماء بالشكاوى من اجلي

٣٥ـ ونح في المجمع لاجلي

وطف في بيت الآلهة لاجلي ،

الطم عينيك لاجلي ، والطم فمك لاجلي

الطم ٠٠٠ك الكبير ، الذي لا ٠٠٠ لبشر

واكتس كالمتسول بثوب واحد لاجلي

٤٠ـ حث خطاك وحيدا الى «كر» ، بيت «انليل»

وحين دخولك «اي-كر» ، بيت «انليل» ،

اندب امام «انليل» :

« ايها الاب «انليل» ، لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل

٤٥ـ لا تدع معدنك الثمين يغطى بغبار العالم الاسفل

لا تدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار

لا تدع بقسك يقطع الى خشب الحطاب

لا تدع «انانا» العذراء تموت في العالم الاسفل ٠

اذا لم يقف «انليل» بجانبك في هذا الامر فاذهب الى «اور» ،

وفي «اور» وعند دخولك بيت ٠٠٠ البلاد ،

٥٠ـ «اي-كش-نوكال»(×) ، بيت «ننا»

اندب امام «ننا» :

« ايها الاب «ننا» ، لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل

لا تدع معدنك الثمين يغطى بغبار العالم الاسفل

لا تدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار

٥٥ـ لا تدع بقسك يقطع الى خشب الحطاب

(×) او « اي كش شركال » بحسب قراءة اخرى ٠

لا تدع «انانّا» العذراء تموت في العالم الاسفل ·
اذا لم يقف «ننّا» بجانبك في هذا الامر فاذهب الى «اريدو»
وفي «اريدو» ، وعند دخولك بيت «انكي» ،
اندب امام «انكي» :
٦٠ـ « ايها الاب «انكي» ، لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل ،
لا تدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار
لا تدع بقسمك يقطع الى خشب الحطاب
لا تدع «انانّا» العذراء تموت في العالم الاسفل ·
الاب «انكي» ، سيد الحكمة ،
٦٥ـ الذي يعرف طعام الحياة ، والذي يعرف ماء الحياة ،
سيعيدني هو بحق الى الحياة » ·
مشت «انانّا» نحو العالم الاسفل
وهي تقول لرسولها «ننشوبر» :
٧٠ـ « اذهب يا «ننشوبر» ،
ولا تهمل الكلمة التي امرتك بها ·
حيندا وصلت «انانّا» الى القصر اللازوردي بالعالم الاسفل ،
تصرفت عند باب العالم الاسفل باسلوب عدائي
نطقت في قصر العالم الاسفل بغضب وعداء (قائلة) :
٧٥ـ « افتح البيت ، ايها الحاجب ، افتح البيت ،
افتح البيت يا «نيتي» ، افتح البيت ، اريد الدخول وحدي » ·
«نيتي» ، كبير حجاب العالم الاسفل
اجاب «انانّا» الطاهرة :
« ارجوك ، من انت ؟ »
٨٠ـ «انانّا» ، من حيث تشرق الشمس

« اذا كنت حقيقة «انانـّا» ، من حيث تشرق الشمس ،
فارجوك ، لماذا جئت الى ارض «اللاعودة» ؟
وكيف دلك قلبك على الطريق الذي لا يعود سالكه ؟ »
اجابته «انانـّا» الطاهرة :
٨٥ــ « اختي الكبرى «ايرش-كيگال» ،
لأن زوجها ، السيد «گوگال-انـّا» قد قتل ،
فللمشاركة بالطقوس الجنائزية ،
... ، حقا لذلك »
«نيتي» ، كبير حجاب العالم الاسفل
٩٠ــ اجاب «انانـّا» الطاهرة :
« انتظري يا «انانـّا» ، لاكلم ملكتي ،
دعيني اكلم ملكتي «ايرش-كيگال» ، دعيني اكلم ... » .
«نيتي» ، كبير حجاب العالم الاسفل
دخل بيت ملكته «ايرش-كيگال» وقال لها :
٩٥ــ « يا ملكتي ، العذراء ،
كالاله ... ،
الباب ... ،
... ،
في «اي-انا»
١٠٠ــ انها متزودة بالنواميس السبعة ،
لقد جمعت النواميس ووضعتها في يدها ،
هيأت النواميس كلها ووضعتها عند قدمها المنتظرة ،
وضعت الـ «شوگورّا» ، تاج السهل ، على رأسها ،
اخذت لمة غرتها ،

١٠٥ـ امسكت عصا القياس وشريط اللازورد بيدها ،
عقدت احجار اللازورد الصغيرة على جيدها ،
وثبتت الاحجار المتلألئة على صدرها ،
وضعت سوارا ذهبيا حول معصمها ،
وشدت الدرع الذي ··· على صدرها
١١٠ـ طلت بالكحل الذي ··· عينيها
ولفت جسدها بثوب الـ «بالا» ، ثوب السيادة » ·
«ايرش-كيگال» ··· ،
فأجابت «ايرش-كيگال» ، كبير حجابها :
« تعال يا «نيتي» ، كبير حجاب العالم الاسفل ،
١١٥ـ لا تهمل الكلمة التي آمرك بها ·
افتح اقفال البوابات السبع للعالم الاسفل ،
نفذ مراسم بوابة «گانزر» ، وجه العالم الاسفل ،
وحين دخولها ،
··· المتبع » ·
١٢٠ـ «نيتي» ، كبير حجاب العالم الاسفل
سمع كلمة ملكته ،
فتح اقفال البوابات السبع للعالم الاسفل ،
نفذ مراسم بوابة «گانزر» ، وجه العالم الاسفل ،
وقال الى «انانّا» الطاهرة :
١٢٥ـ « «انانّا» ، تعالي وادخلي » ·
وحين دخولها ،
انتزع الـ «شوگورّا» ، تاج السهل ، من رأسها ·
« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانـا» ، فمراسيم العالم الاسفل مطلقة

١٣٠ـ يا «انانـا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ٠

حين دخولها البوابة الثانية ،

انتزع عصا القياس وشريط اللازورد منها ٠

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانـا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٣٥ـ يا «انانـا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ٠

وحين دخولها البوابة الثالثة ،

انتزع احجار اللازورد من جيدها ٠

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانـا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٤٠ـ يا «انانـا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ٠

وحين دخولها البوابة الرابعة ،

انتزع الاحجار المتلألأة من صدرها ٠

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانـا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٤٥ـ يا «انانـا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ٠

وحين دخولها البوابة الخامسة ،

انتزع السوار الذهبي من معصمها ،

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانـا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٥٠ـ يا «انانـا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ٠

وحين دخولها البوابة السادسة ،

انتزع الدرع الذي ٠٠٠ من صدرها ٠

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانّا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٥٥ــ يا «انانّا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ·

وحين دخولها البوابة السابعة ،

انتزع ثوب الـ «بالا» ، ثوب السيادة عن جسدها ·

« ارجوك ، ما هذا ؟ »

« اصمتي «انانّا» ، فمراسم العالم الاسفل مطلقة ،

١٦٠ــ يا «انانّا» لا تناقشي طقوس العالم الاسفل » ·

··· المطاعة

انتصبت «ايرش ـ كيگال» الطاهرة على عرشها ،

واعلن «الانوناكي» ، القضاة السبع ، الحكم امامها ،

ثبتوا عيونهم ، عيون الموت ، عليها ،

··· ،

١٦٥ــ وبكلمتهم ، الكلمة التي تعذب الروح ،

«المرأة» المريضة تحولت الى جثة

وعلقت الجثة من وتد ·

بعد مضي ثلاثة ايام وثلاث ليال

١٧٠ــ رسولها «ننشوبر»

رسولها للكلمات الطيبة

الذي يحفظ لها الكلمات الصادقة ،

ملأ السماء بالشكاوي لاجلها ،

وناح في المجمع عليها ،

١٧٥ــ طاف في بيت الآلهة لاجلها ،

لطم عينيه من اجلها ، لطم فمه من اجلها

لطم ... ـه الكبير الذي لا ... لبشر
واكتسى كالمتسول بثوب واحد لاجلها ،
وحث خطاه وحيدا الى «اى ـ كر» ، بيت «انليل» ،
١٨٠ـ حين دخوله «اى ـ كر» ، بيت «انليل»
أخذ يندب امام «انليل» :
« ايها الاب «انليل» ، لاتدع ابنتك تموت في العالم الاسفل
لاتدع معدنك الثمين يغطى بغبار العالم الاسفل
لاتدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار
١٨٥ـ لاتدع بقسك يقطع الى خشب الحطاب
لاتدع «انانـا» الطاهرة تموت في العالم الاسفل » .
فأجاب الاب «انليل» «ننشوبر» :
« ابنتي هي التي طلبت من السماء العظمى ، ونشدت العـــالم الاسفل العظيم ،
«انانـا» طلبت من السماء العظمى ، ونشدت العالم الاســـفل العظيم ،
١٩٠ـ نواميس العالم الاسفل ، نواميس ... ، النواميس التي وصلت لموضعها من ... لموضعها ؟ »
لم يقف الاب «انليل» بجانبه في هذه القضية ، فذهب الى «اور»
وفي «اور» ، حين دخوله بيت ... البلاد ،
« اى ـ كش ـ نوگال » ، بيت «ننـا»
١٩٥ـ ندب امام «ننـا» :
« ايها الاب «ننـا» ، لاتدع ابنتك تموت في العالم الاسفل
لاتدع معدنك الثمين يغطى بغبار العالم الاسفل ،
لاتدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار

لاتدع بقسك يقطع الى خشب الحطاب

٢٠٠ـ لاتدع «انانـّا» الطاهرة تموت في العالم الاسفل »

فأجاب الاب «ننـّا» ، «ننشوبر» :

« ابنتي طلبت من السماء العظمى ؟ ، ونشدت العالم الاســفل العظيم

«انانـّا» طلبت من السماء العظمى ، ونشدت العالم الاســفل العظيم

نواميس العالم الاسفل ، نواميس ٠٠٠ ، النواميس التي وصلت الى موضعها

٢٠٥ـ من ٠٠٠ لموضعها ؟ »

لم يقف الاب «ننـّا» بجانبه في هذه القضية ، فذهب الى «اريدو» ،

وفي «اريدو» ، حين دخوله بيت «انكي» ،

ندب امام «انكي» :

« ايها الاب «انكي» ، لاتدع ابنتك تموت في العالم الاسفل ،

٢١٠ـ لاتدع معدنك الثمين يغطى بغبار العالم الاسفل

لاتدع لازوردك النفيس يكسر الى حجر الحجار

لاتدع بقسك يقطع الى خشب الحطاب

لاتدع «انانـّا» الطاهرة تموت في العالم الاسفل » ٠

فأجاب الاب «انكي» «ننشوبر» :

٢١٥ـ « من اجل ما حدث لابنتي ! اشعر بالجزع

بسبب ما حدث لـ «انانـّا» ! اشعر بالجزع

وبسبب ما وقع «لعبدة» (hierodule) الســـماء

المقدسة ! اشعر بالجزع

أخرج وسخا من ظفره وخلق منه «كر ـ گارّو»

٢٢٠ـ واخرج وسخا من ظفره المطلي بالحمرة وخلق «كالا - ترّو» ،
اعطى طعام الحياة الى «كر - كارّو» :

(خرم في النص يبلغ ١٩ سطرا)

٢٤٣ـ على الجثة المتدلية من الوتد سلطا الـ «بلخو» والـ «ملامّو»
انثرا عليها طعام الحياة ستين مرة ، وماء الحياة ستين مرة
وستقوم «انانّا» حقا

(خرم في النص يقرب من ٢٠ سطرا)

٢٦٩ـ على الجثة المتدلية من الوتد ...
اجابت «ايرش - كيكال» الطاهرة الـ «كالا - ترّو» والـ «كر - كارّو»
«الجثـة ...»
على الجثة ... ،

٢٧٠ـ على الجثة المتدلية من الوتد ، وجها الـ «بلخو» والـ «ملامو»
نثرا عليها طعام الحياة ستين مرة ، وماء الحياة ستين مرة
فقامت «انانّا» ،
وصعدت «انانّا» من العالم الاسفل ،
وفر الانانوكي

٢٧٥ـ من سكان العالم الاسفل من ينزل الآن بسلام للعالم الاسفل!
وحين تصعد «انانّا» من العالم الاسفل ،
الشياطين الصغيرة كنصال الرماح ،

٢٨٠ـ الشياطين الكبيرة كـ ... ،
مشت بجنبها
من لم يكن بوجهه رسولا ، امسكت عصا في يدها
ومن لم يكن بجسده ساعيا ، حمل السلاح على خصره

اؤلئك الذين رافقوها ،

٢٨٥ـ الذين رافقوا «انانّا» ،

الذين لايعرفون الطعام ، والذين لايعرفون الماء ،

الذين لايأكلون الدقيق المنخول ،

والذين لايشربون الماء المسكوب ،

الذين يسلبون الزوجة من حضن الرجل ،

٢٩٠ـ الذين يسلبون الطفل من ... الحاضنة ،

صعدت «انانّا» من العالم الاسفل .

وحين صعدت «انانّا» من العالم الاسفل ،

رمى رسولها «ننشوبر» بنفسه عند قدميها ،

وجلس بالرغام ، مرتديا ثوب الحداد ،

٢٩٥ـ فقالت الشياطين لـ «انانّا» الطاهرة :

«يا انانّا» ، انتظرى امام المدينة ، ودعينا نأخذه » ،

فاجابت «انانّا» الطاهرة ، الشياطين :

« رسولي للكلمات الطيبة

مبلغ كلماتي الحقيقية ،

٣٠٠ـ الذي لاينسى توجيهاتي ،

ولم يهمل كلماتي الآمرة ،

ملأ السماء بالشكاوى لاجلي ،

وناح في المجمع لاجلي ،

وطاف في بيت الآلهة لاجلي ،

٣٠٥ـ لطم عينيه لاجلي ، ولطم فمه لاجلي

لطم ... ـه الكبير الذى لا ... لبشر

واكتسى كالمتسول بثوب واحد لاجلي ،

وتوجه الى «اي – كر» ، بيت «انليل»

في «اور» ، الى بيت «ننا»

٣١٠– في «اريدو» ، الى بيت «انكي» ،

واعادني الى الحياة » .

« لنصحبها في «اوما» الى «سك – كر – شاكا» ، لنصحبها »

في «اوما» ، من «سك – كر – شاكا»

رمى «شارا» بنفسه عند قدميها ،

٣١٥– تمرغ بالوحل ، مرتديا ثوب الحداد

قالت الشياطين لـ «انانا» ، الطاهرة :

« يا انانا ، انتظرى امام المدينة ودعينا نأخذه »

فقالت «انانا» الطاهرة ، الى الشياطين

(خرم من ثلاثة اسطر)

٣٢٢– « لنصحبها ، في «بادتبيرا» الى «اى – مش – كلاما» ، لنصحبها »

في «بادتبيرا» من «اى – مش – كلاما»

رمى «لاتراك» بنفسه عند قدميها ،

٣٢٥– تمرغ بالوحل ، مرتديا ثوب الحداد ،

فقالت الشاطين لـ «انانا» الطاهرة :

« يا انانا ، انتظرى امام المدينة ودعينا نأخذه »

فتجيب «انانا» الطاهرة ، الشياطين

. . . . . .

٢ ـ « نزول عشتار الى العالم الاسفل »

الرواية الآشـــورية

توجد لهذه الاسطورةفي روايتها الآشورية نسختان، الاولى (A) ـ وهي الاقدم ـ عثر عليها في «آشور» وقدر تاريخ تدوينها في أواخـر الالف الثاني ق٠م ، والنسخة الثانية (N) وجدت في مكتبـــــــة «آشور ـ بانيبال» في «نينوى» (القرن السابع ق٠م) ٠ وقد ترجمتهـــا هنا نقلا عن الترجمة الانكليزية للنسخة (A) والتي نشرهــــا الاستاذ «سبايزر» في ANET., pp.106-9

ـ وجـــه الرقيم ـ

الى ارض اللاعودة ، مملكة «ايرش ـ كيگال» ،
وجهت «عشتار» ، ابنة «سين» وجهها ٠
اجل ! اتخذت ابنة «سين» قرارها ٠
الى البيت المظلم ، مسكن «ايركالا»
٥ ـ الى البيت الذى لا يبرحه من دخله ٠
الى الطريق الذي لا رجعة منه ،
الى البيت الذي حرم ساكنوه من النور ،
حيث التراب طعامهم ، والطين قوتهم ،
حيث لا يرون نورا ويقيمون في ظلمة ،
١٠ ـ وهم مكسوون كالطيور ، وارديتهم من الاجنحة ،
حيث يغطي الغبار الباب والمزلاج ٠

وحينما وصلت عشتار الى بوابة «ارض اللاعودة» ،
قالت هذه الكلمات للحاجب :
« ايها الحاجب ، افتح بوابتك ،
١٥ ـ افتح بوابتك فأني اريد الدخول !
واذا لم تفتح البوابة ، ومنعتني من الدخول
فسوف احطم الباب ، واكسر المزلاج ،
سأحطم عضادة الباب ، وازيلها
سأقيم الاموات ، فيأكلون الاحياء ،
٢٠ ـ وسيفوق الاموات عدد الاحياء ،
فتح الحاجب فمه وقال «لعشتار» العظيمة :
« تريثي ياسيدتي ، ولا تخلعيه !
سأذهب لابلغ اسمك الى الملكة «ايرش-كيگال» •
٢٥ ـ دخل البواب وكلم «ايرش ـ كيگال» :
« انتبهي ، فأختك «عشتار» منتظرة في البوابة ،
وهي التي أهاجت الصمق امام «ايا» ، الملك » •
حينما سمعت «ايرش ـ كيگال» هذا ،
شحب وجهها وصار بلون الطرفاء المقطوعة ،
٣٠ ـ واسودت شفتاها وصارتا مثـــل قصبة الـ (kinunu)
المرضوضة •
« مالذى حث قلبها ان تأتي اليّ ؟ مالذى حرك روحها الى هنا؟
عجبا ! هل سيكون علي ان اشرب الماء مع الانوناكي ؟
وآكل الطين بدلا من الخبز ، واشرب الماء العكر بدلا من الجعة؟
هل سأنوح على الرجال الذين تركوا ازواجهم من بعدهم ؟
٣٥ ـ هل سأنوح على العذارى اللواتي انتزعن من احضان احبائهن ؟

او انوح على الرضيع الذي ارسل قبل أوانه ؟
اذهب ، ايها الحاجب ، وافتح لها البوابة ،
وعاملها بموجب القواعد القديمة » ٠
ذهب الحاجب وفتح لها الباب وقال :
٤٠ ـ « ادخلي ، يا سيدتي وعسى ان تبتهج بك «كوثى» ،
عسى ان يسر قصر «ارض اللاعودة بحضورك» ٠
وعندما ادخلها من الباب الاول ،
انتزع التاج العظيم واخذه من على راسها ٠
« لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، التاج العظيم من على رأسي ؟ »
« ادخلي ، ياسيدتي ، بهذه هي قواعد سيدة العالم
الاسفل » ٠
٤٥ ـ وعندما ادخلها من البوابة الثانية ،
انتزع قرطيها واخذها من اذنيها ،
« لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، الاقراط من اذنيّ ؟ »
« ادخلي ، ياسيدتي ، هكذا مراسم سيدة العالم الاسفل » ٠
وعندما ادخلها من البوابة الثالثة ،
انتزع القلائد واخذها من جيدها ٠
« لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، القلائد من جيدى ؟ »
٥٠ ـ « ادخلي ، ياسيدتي ، هذه هي مراسم سيدة العالم الاسفل »
وعندما ادخلها من البوابة الرابعة .
انتزع الحلي واخذها من صدرها
« لماذا اخذت ، ايها البواب ، الحلي من صدري ؟ »
« ادخلي ، ياسيدتي ، هذه هي قوانين سيدة العالم الاسفل »
وعندما ادخلها من البوابة الخامسة

انتزع حزام احجار الولادة واخذه من خصرها ٠

٥٥ ـ « لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، حزام احجار الولادة من خصري؟ »

« ادخلي ، ياسيدتي ، هذه هي قوانين سيدة العالم الاسفل »

وعندما ادخلها من البوابة السادسة ،

انتزع الاساور واخذها من يديها ورجليها ٠

« لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، الاساور من يدي ورجلي »

« ادخلي ، ياسيدتي ، هذه هي قوانين سيدة العالم الاسفل » ٠

٦٠ ـ وعندما ادخلها من البوابة السابعة ،

انتزع المئزر واخذه من على جسدها ٠

« لماذا اخذت ، ايها الحاجب ، المئزر من على جسدي ؟ »

وحالما نزلت « عشتار » الى ارض اللا عودة ،

رأتها « ايرش ـ كيگال » وانفجرت غضبا لحضورها ،

٦٥ ـ فانقضت عليها « عشتار » بشراسة ٠

فتحت « ايرش ـ كيگال » فاها لتتكلم وقالت لوزيرها « نمتار »

«اذهب ، يا نمتار » ، واحبسها في قصري !

وسلط عليها ، على « عشتار » ، الأوبئة الستين :

٧٠ ـ وباء العيون على عينيها ،

وباء الجنبين على جنبيها ،

وباء القلب على قلبها ،

وباء القدمين على قدميها ،

وباء الرأس على رأسها ـ

٧٥ ـ على كل عضو منها ، على كل جسدها !

بعد ان نزلت السيدة « عشتار » الى العالم الاسفل ،
لم ينز الثور على البقرة ، ولم يلقح الحمار الاتان ،
وفي الحارة لم يضاجع الرجل العذراء ·
فالرجل يرقد في مخدعه ، والعذراء ، ترقد على جنبها ،
٨٠ ــ ··· يرقد ··

ــ قفا الرقيم ــ

تلاشت سكينة «بابسوكال» ، وزير الآلهة العظام ،
واكفهر وجهه ·
لبس ثياب الحداد ، وترك شعره أشعث
ذهب « بابسوكال » باكيا امام « سين » ، وابيه ،
وسالت دموعه امام « ايــا » ، الملك وناشده :
٥ ــ « لقد نزلت « عشتار » الى العالم الاسفل ولم تصعد منه
مذ ان نزلت « عشتار » الى ارض اللاعودة ،
لم ينز الثور على البقرة ، ولم يلقح الحمار الاتان ،
وفي الحارة لم يضاجع الرجل العذراء ·
١٠ ــ فالرجل يرقد في مخدعه ، والعذراء ترقد على جنبها ·
تصور « ايا » في قلبه الحكيم صورة ،
وخلق « آصوشو ــ نامر »
قم ، يا « آصوشو ــ نامر » ، توجه نحو بوابة ارض اللا عودة ،
ستفتح لك البوابات السبع ارض اللا عودة ·
١٥ ــ ستراك « ايرش ــ كيگال » وتسر بحضورك ·
وحينما يهدأ قلبها ويتلطف مزاجها ،

دعها تنطق بقسم الالهة العظام ·
ثم ارفع رأسك ، واظهر الرغبة بزق ماء الحياة وقل لها :
« ارجوك ، ايتها السيدة ، دعيهم يعطونني زق ماء الحياة ،
فأني اريد ان اشرب من ذلك الماء » ·
٢٠ ـ وحالما سمعت « ايرش ـ كيگال » هذا ، ضربت فخذها
وعضت اصبعها وقالت :
« انك تطلب مني ما لا يطلب ·
فتعال ، يا « آصوشو ـ نامر » ، اريد ان العنك لعنة قاسية !
لتكن فضلات ميازيب المدينة طعامك ،
ليكن ما في بلاليع المدينة شرابك ·
ليكن ظل الحائط مأواك ·
لتكن العتبة مسكنك ،
ليضرب المترعون سكرا والضامئون وجنتك !
فتحت « ايرش كيگال » فاها ، وتكلمت قائلة
٣٠ ـ هذه الكلمات الى « نمتار » ، وزيرها :
« قم ، «نمتار» ، هيىء«اي-گال-گينا» ،
زين العتبات بالحجر المرجاني ،
احضر الانوناكي واجلسهم على عرش من ذهب ،
ورش « عشتار » بماء الحياة وخذها من حضرتي !
ذهب « نمتار » وهيأ « اى ـ گال ـ گينا » ،
زين العتبات بالحجر المرجاني ،
احضر الانوناكي واجلسهم على عروش من ذهب ،
ورش « عشتار » بماء الحياة واخذها من حضرتها ·
حينما اخرجها من البوابة الاولى ،
اعاد لها المئزر على جسدها ·

٤٠ ــ حينما اخرجها من البوابة الثانية ،
اعاد لها الاساور على يديها ورجليها ٠
وحينما اخرجها من البوابة الثالثة ،
اعاد لها حزام احجار الولادة حول خصرها ٠
وحينما اخرجها من البوابة الرابعة ،
اعاد لها الحلي على صدرها ٠
وحينما اخرجها من البوابة الخامسة ،
اعاد لها القلائد على جيدها ٠
حينما اخرجها من البوابة السادسة ،
اعاد لها الاقراط بأذنيها ٠
حينما اخرجها من البوابة السابعة ٠
اعاد لها التاج العظيم على رأسها ٠
اذا لم تعطك ثمن خلاصها ، ارجعها ثانية ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

اما « تموز » ، حبيب صباها ،
فاغسله بالماء النقي ، وطيبه بالزيت الفاخر ،
البسه ثوبا احمر ، ودعه يعزف على ناي من اللازورد ٠
٥٠ ــ دع السرايا يبسطن اساريره ٠
حين تقلدت « بيليلي » بحليها
وامتلأ حضنها ب « احجار العين » ،
وعلى صوت اخيها ، وضعت « الجواهر على ٠٠٠
وملأ « حجر العين » ٠٠٠
« اخي الوحيد ، النقي لم يسبب الاذى !
يوم يصعد « تموز » الي ،

يوم يصعد الي ومعه ناي اللازورد ، وخاتم الاحجار الكريمة ،
حين يصعد عائدا الي ومعه الرجال الباكون والنساء الباكيات ،
عسى ان يقوم الموتى ويشمون رائحة البخور ·

٣ ـ « اسطورة نرگال وايرش ـ كيگال »

وهي اسطورة اكدية وجدت منقوشة على كسرتين يرجع تأريخهما الى القرن الرابع عشر ق · م ، وقد عثر عليهما في تل العمرنه في مصر (موضع عاصمة الفرعون اخناتون) · وان احدى الكسرتين (A) موجودة الان في المتحف البريطاني والثانية (B) في متحف برلين · وقد اعتمدت في الترجمة العربية المدرجة هنا على الترجمة الانكليزية لها والتي نشرها الاستاذ «سبايزر» في : ANET., p.103f.

وتجدر الاشارة هنا الى ان هناك نسخة اخرى للاسطورة نفسها عثر عليها في «سلطان تبه» وقد قام بنشرها الاستاذ «كريسون» في :
ANET., pp.507-12

ويعود تأريخ تدوين هذه النسخة الى العهد الأشوري الحديث (القرن السابع ق·م) ·

ـ وجه الرقيم ـ
الكسرة (A)

حينما اعدت الألهة وليمة ،

بعثوا لاختهم « ايرش ـ كيگال » (رسولا قال لها)

« لاننا لانستطيع النزول اليك ، (٢)
وانت لا تستطيعين الصعود الينا ،
ارسلي من يتسلم نصيبك من الطعام »
فارسلت « ايرش ـ كيگال » وزيرها « نمتار » ،
وصعد « نمتار » الى السماء العالية
ودخل الموضع الذي كان الالهة مجتمعين فيه
١٠ ـ ··· حيوا « نمتار » ، رسول اختهم العظيمة ·

(عدة اسطر مشوهة في النص ، الا انه من الواضح مما يرد في الاسطر التالية ان الاله « نرگال » كان الوحيد بين الالهة الذي امتنع عن اظهار الاحترام الى رسول الالهة « ايرش ـ كيگال » ، وحين بلغها ذلك بعثت برسولها مرة ثانية ···)

الكسرة (B)

٢٧ ـ قالت له : « الاله الذي لم يقم اجلالا لرسولي ، جئني به لاقتله » ·
وصعد « نمتار » ليبلغ الألهة · ونادته الآلهة لتكلمه ···
٣١ ـ « فتش ، وحين ترى الاله الذي لم يقم لك · خذه الى حضرة سيدتك » ·
وحينما عدهم « نمتار » ، كان هناك مكان خال لاحدهم في المؤخرة .
« الاله الذي ليس هنا لم يقم لي » ·

---

(٢) ترجم هذا السطر عن
CAD., Vol. I,2 ; aradu : p.216

وهي ترجمة مخالفة لترجمة الاستاذ « سبايزر » لنفس السطر اذ انه يترجمه على النحو الآتي : « لاننا نستطيع النزول اليك » وهذا ما يخالف سياق نص الاسطورة ·

ذهب « نمتار » ليبلغ تقريره ·

« ··· لقد استعرضتهم ،

فوجدت مكانا خاليا لاحدهم في المؤخرة ،

ويكون الاله الذي لم يكن هناك هو الذي لم يقف لي

(بضعة سطور مشوهة ومخرومة ، ويمكن الاستنتاج ان الاله «نرگال» قد وقع في مشكلة ثم يستمر النص) :

٤٣ ـ « خذه الى «ايرش-كيگال» ! » فذهب شاكيا

الى ابيه « ايا » : « وقال انها حين تراني ،

فان تتركني حيا ! » ، (فأجابه) لا تخف ! ساعطيك سبعا وسبعا ···

ليذهبوا معك : ··· (٣) ، « موتا بريقو »

« شارابدو » ، « رابيضو » ، « تيريد » ، « اديبتو » ،

«بينو» ، «سيدانو» ، «ميقيت» ، «بيلوري» ،

٥٠ ـ « امو » و « ليبو » ، انهم سيذهبون معك ·

وحينما وصل « نرگال » الى بوابة « ايرش ـ كيگال » نادى :

« ايها الحاجب ، افتح البوابة ،

وارفع المزلاج لانني اريد الدخول الى حضرة سيدتك ،

«ايرش-كيگال» ، وانني المطلوب منها » ، ذهب الحاجب وقال لـ « نمتار » : « ان الها مهما يقف عند البوابة ·

تعال وانظر اليه لانه يريد الدخول » ·

خرج « نمتار » وحين رآه فرح ··· ، وقال

---

(٣) ان اسماء الشياطين الثلاثة الاولى مخرومة ، ويلاحظ هنا ان معظم الاسماء الموجودة في الاسطور التالية خاصة بالشياطين التي تسبب الاوبئة المختلفة ·

لسيدته : « سيدتي : انه الاله الذي كان مختفيا لأشهر مضـــت
وهو الذي لم يقم اجلالا لي !
٦٠ ـ « ادخله ! حينما يأتي سأقتله ! »
خرج « نمتار » وقال : ادخل ، ياسيدي ،
الى بيت اختك ... لموتك » .
فاجاب « نركال » : « عسى ان يفرح قلبك بي » .

(بضعة اسطر مخرومة)

ـ قفا الرقيـــم ـ

الكســــــرة (A)

... عند الثالث . «موتا بريقو» عند الرابع ،
«شارابدو» عند الخامس . «رابيصو» عند السادس ، «تيريد»
٧٠ ـ عند السابع ، « اديبتو » عند الثامن . « بينو »
عند التاسع ، « سيدانو » عند العاشر ، « ميقيت »
عند الحادي عشر ، « بيلوري » عند الثاني عشر .
«أمو» عند الثالث عشر ، و «ليببو» رابط
عند الباب الرابع عشر . وفي القاعة قطعها ...
بلغ « نركال » جيشه هذا الامر : « لتفتح الابواب
على مصاريعها ! لاسبقكم الآن ! »
وامسك « ايرش ـ كيكال » داخل البيت من شعرها والقاها مـــن
العرش الى الارض ليحز رأسها .
٨٠ ـ « لا تقتلني ، يا اخي ! دعني اقول لك كلمة واحدة ! »
حينما سمع « نركال » ذلك ، تراخت يده . بكت وتوسلت :

« لتكن زوجي ولأكن زوجتك . سأترك قبضتك
تسيطر على العالم الاسفل الكبير . سأضع لوح
الحكمة في يدك . ستكون السيد ،
واكون السيدة ! » حين سمع «نرگال» كلامها ،
احتضنها وقبلها ، ومسح دموعها وقال لها :
« ما اردتيه مني في الاشهر الماضية ، سيتحقق لك الآن » .

٤ ـ « اسطورة ادابا »

وهي اسطورة اكدية وجدت منقوشة على اربعة الواح اقدمهـــــا واطولها يرمز اليه بالحرف (B) وقد عثر عليه في تل العمرنة في مصـر (من حدود القرن الرابع عشر ق.م) بينما اكتشفت الالواح الثلاثة الاخرى (A,C,D) في مكتبة « اشور بانيبال » (القرن السابع ق.م). والترجمة المدرجة في هذا الملحق تمت نقلا عن الترجمة الانكليزية لهـــا والمنشورة في :

E.A. Speiser, ANET., pp.101-3

الكســـرة (A)

الحكمة ....
كان امره نافذا ... كامر « ايا » ،
جعله كاملا بالفهم العميق ليعرف خطط البلاد (واسرارها) ،
لقد منح الحكمة ، ولكن لم يمنح الخاود .
٥ ـ في تلك الايام ، في تلك السنين ، خلق الاله «ايا» حكيم «اريدو»،
وجعله انموذجا للبشر .
الحكيم ـ الذي لايوجد من يستطيع رد امره ـ
القادر ، المدرك ، العظيم بين الانوناكي هو ،
الطاهر ، النظيف اليدين ، الكاهن المشافي ، المشرف على الشعائر .

١٠ ـ كان يخبز مع الخبازين ، ويصنع الخبز مع خبازي «اريدو»
كان يجهز الخبز والماء الى « اريدو » في كل يوم ،
ويعد ، بيديه النظيفتين ، مائدة القرابين ، وبدونه لا تنظف المائدة ٠
يقود السفينة ، ويضطلع بصيد الاسماك لـ «اريدو» ٠
في تلك الايام ، « ادابا » الذي من اهل « اريدو » حينما كان ٠٠
« ايا » ٠٠٠ مضطجعا على السرير ،
كان ملازما ، معبد « اريدو » يوميا ،
ارسى قاربه في الرصيف المقدس ، رصيف القمر الجديد ،
٢٠ ـ هبت الريح هناك ، فانجرف قاربه ،
قاد قاربه بالمجداف ، ٠٠٠ في البحر الواسع
(البقية مخرومة)

(B)

هبت الريح الجنوبية واغرقته ،
٠٠٠

جعلته ينزل الى بيت السمك ، (فخاطب الريح)
« ايتها الريح الجنوبية ٠٠٠ ، كل حقدك ٠٠٠
سأكسر جناحيك ! » ، وحالما نطق بهذا القول ،
انكسر جناح الريح الجنوبية ، وطوال سبعة ايام
لم تهب الريح الجنوبية على البلاد ، فنادي « آنـو »
وزيره « الابرات » وسـألـه :
« لماذا لم تهب الريح الجنوبية على البلاد في هذه الايام السبعة ؟ »
١٠ ـ فأجابه وزيره « الابرات » : « يا سيدي ،
ان «ادابا» ، ابن «ايا» قد كسر جناحي الريح الجنوبية » ،
وحين سمع «آنو» هذا الكلام ، صرخ : « الرحمة ! » ونهض

عن عرشه صائحا : « ليأتوا به الى هنا ! »
حين ذاك امسكه « ايا » ، الذي يعرف ما في السماء ،
وجعل شعره اشعث ، وكساه بثوب الحداد ، ونصحه بهذه النصيحة :
« يا ادابا ، انك ذاهب الى حضرة «انو» ، الملك ،
ستسلك طريق السماء وحين تصعد الى السماء
وتصل الى بوابة انو ، ستجد «تموز» و «گزيدا» واقفين ازاءها .
وحين يرياك سيسألانك : « ايها الرجل ،
علام تبدو هكذا ؟ يا «ادابا» لما تلبس ثوب الحداد ؟ »
(فقل لهما ان ذلك) « حزنا على الهين اختفيا من على الارض » .
« من هما هذان الالهان اللذان اختفيا من على الارض ؟ »
. انهما «تموز» و «گزيدا» وسينظر احدهما الى الاخر
ويبتسمان ، وسيتفوهان بكلام طيب (من اجلك)
امام «انو» وسيبش وجه «انو»
وحين تقف امام « آنو » وحين يقدمون لك خبز الموت ،
فلا تأكله ، وحين يقدمون لك ماء الموت
فلا تشربه ، اما اذا قدموا لك ثوبا ،
فالبسه ، واذا قدموا لك زيتا فادهن به جسمك .
لقد زودتك بهذه النصيحة فلا تهملها
وتمسك بما قلته لك ! »
وصل رسول « آنو » وقال : « ادابا الذي كسر
جناحي الريح الجنوبية ، ليحضر امامي ! »
جعله ياخذ طريق السماء ، وصعد الى السماء .
حين صعد الى السماء ووصل الى بوابة « آنو » ،

كان «تموز» و «گزيدا» واقفين عند بوابة «آنو» ،

٤٠ ـ وحين رأيا ادابا ، صرخا « الرحمة !

ايها الرجل ، علام تبدو هكذا ؟ يا ادبا ،

لم تلبس ثوب الحداد ؟ »

فاجابهما « لقد اختفى الهان من الارض ، فارتديت ثـوب الحداد (من اجلهما)

« من هما هذان الالهان اللذان اختفيا من على الارض ؟ »

فاجابهما « تموز » و « گيزيدا » · وعندئذ نظر احدهما الى الاخر

وابتسما · وحين مثل ادابا امام « آنو » ، الملك ،

تقرب ورآه « آنو » ، فنادى :

« تعال الآن ، يا « ادابا » ، لماذا كسرت جناحي الريح الجنوبية ؟ »

فاجاب « ادابا » « آنو » : يا سيدي ،

٥٠ ـ كنت يا سيدي ، في وسط البحر

اصطاد السمك لبيت سيدي ، وكان البحر مثل المرآة ·

غير ان الريح الجنوبية هبت وجرفتني ،

جعلتني انزل الى بيت السمك ، وفي غضب قلبي

لعنت الريح الجنوبية »

وعندئذ تكلم «تموز» و «گزيدا» كلمـة طيبة الى «آنـو» وتشفعا له فهدأ قلبه كما كان ··· وقال !

« علام كشف « ايا » الى بشر تافه عن اسرار السماء والارض ،

ولقنه علما وجعل له اسما ؟

٦٠ ـ فماذا عسانا ان نعمل نحن بشأنه ؟ ·· اجلبا له

خبز الحياة ليأكله » ، وحين جلبا

خبز الحياة له ، لم يأكله ، وحين جلبا ماء الحياة له ، لم يشـربه

وحين جلبا ثوبا له ، لبسه ، وحين اعطياه زيتا دهن به جسمه
فنظر اليه « آنو » ، وقال له ساخرا :
« تعال ، يا « ادابا » ! لماذا لم تأكل ولم تشرب ؟ »
انك لن تنال الحياة الابدية ! آه ، ايها البشر المعوج ! »
« ايا ، سيدي ، اوصاني ان لا اكل ، ولا اشرب »
فقال « آنو » خذوه وارجعوه الى ارضه »
(البقية اما مخرومة او غير واضحة)

٥ ـ « رؤيا الامير الآشوري كمايا عن العالم الاسفل »

وقد سطرت هذه الرؤيا على رقيم عثر عليه في مدينة «آشور» ويؤرخ الى أواسط القرن السابع ق.م. وملخص النص ان أحد الامراء الآشوريين المدعو «كمايا» او «كما» قد ملكته الجرأة فرغب برؤية العالم الاسفل وتحققت رغبته اخيرا فرأى ذلك العالم في منامه .

وفيما يلي ترجمة النص التي ادرجناها اعتمادا على الترجمة الانكليزية لها والمنشورة في :

E.A. Speiser, ANET., p.109f.

ـ وجه الرقيم ـ

رقد «كمايا» فشاهد رؤيا في منامه : « ... رأيت وانبهرت بروعته الباعثة للرعب ... «نمتار» ، وزير العالم الاسفل ، الذي يحدد الاقدار ، وشاهدت رجلا يقف امامه ، وكان يمسك شعر رأسه بيساره بينما يمسك في يمينه سيفا ...

وكان لخليلته «نمتارتو» رأس «كوريبو» ويدين ورجلين بشريتين ولاله الموت رأس التنين ، وكانت يداه مثل البشر وقدماه ...

... الشرير له رأس البشر وايديهم ، وكان لباس رأسه تاجا ، وارجله مثل ارجل طائر ... ، وهو يدوس بقدمه اليسرى على تمساح . اما «آلوخابتو» فكان له رأس أسد ، واربع ايدي واقدام بشرية .

وكان لنصير الشر رأس طير ، وكانت اجنحته مبسوطة وهو يطير ذهابا وايابا ، وله ايدي واقدام بشرية ، وكان لـ «خمط-تبال» ، ملاح العالم الاسفل ، رأس مثل رأس طائر الزو ، واربع ايدي واقدام بشرية .

(السطر : ٥)

... له رأس ثور ، واربع ايدي واقدام بشرية . وكان لـ «اوتوكو» الشرير رأس أسد ويداه وقدماه مثلما هي عند طائر الزو . أما «شلاك» فقد كان بهيئة أسد منتصب على أطرافه الخلفية .

«ماميتو» كان لها رأس عنزة ، وايدي واقدام بشرية . وكان لـ «نيدو» ، حاجب العالم الاسفل ، رأس أسد وايدي بشر وارجل طير ، و «كل ما هو شر» له رأسان احدهما لاسد والآخر ...

... كانت له ثلاثة ارجل ، الاماميتان مثل ارجل الطائر والخلفية مثل ارجل الثور ، وكان متلبسا باشراقة مروعة ، وكان هنالك الهان - لا اعرف اسميهما - لاحدهما رأس وايدي واقدام طائر الزو ، وفي يساره ... ،

أما الآخر فله رأس بشر يعلوا تاج وهو يحمل في يمينه صولجانا وفي يساره ... ، لقد كان مجموع الحاضرين خمسة عشر الها ، حينما رايتهم تضرعت لهم .

وكان هنالك ايضا رجل اسود الجسد كالقير ووجهه كوجه طائر الزو ، كان مرتديا عباءة حمراء ، ويحمل قوسا في يساره ويمسك سيفا في يمينه وهو يدوس بقدمه اليسرى على افعى .

(السطر : ١٠)

عندما حركت عيني . رأيت الاله الباسل «نركال» جالسا على عرش ملكي ، معتمرا تاج الملوكية ، وهو يمسك بكلتا يديه صولجانا الغضب اللذين ينتهيا برأسي ...

... كانت خانعة ، من ... ذراعيه كان البرق وامضا ، وقد وقف الانوناكي ، الآلهة العظيمة ، بقوس الى اليمين والى الشمال ...

كان العالم الاسفل ممتلئا بالرعب ، وامام الامير يسود الهدوء التام ... اخذني من ناصيتي وجرني اليه .

حينما تطلعت اليه ، ارتعشت رجلاي ، بينما اكتنفني غضبه الساطع، فقبلت قدم الوهيته العظيمة وعندما ركعت واستقمت نظر اليّ وهز رأسه.

زعق بي زعقة نارية غضبى كالعاصفة الهوجاء ، ووجه الصولجان اللائق بسموه والممتلىء بالرعب كالثعبان ،

(السطر : ١٥)

نحوي ليقتلني ، الا ان «ايشوم» ، مستشاره ، الشفيع الذي يحفظ الحياة ، ويحب الصدق . قال له : « لاتقتل الرجل ، وعساك يا ايها الملك الجسور للعالم الاسفل

ان تدع رعايا كل البلاد ... شهرتك على الدوام ! فسكن القلب الجبار القدير ، الذي يقهر الاشرار ، وصار كماء البئر النقي » .

نطق «نركال» قائلا : « لماذا ازدريت زوجتي الحبيبة ، ملكة العالم الاسفل ؟ ولكن بامرها المجد ، الذي لا يمكن تغييره ، سيعهد بك «ببلاو»، قصاب العالم الاسفل ، الى «لوكال-سلا» ، البواب ، ليقودك خارجا عبر بوابة «عشتار-آيه» .

لا تنسني ولا تتخل عني ، . . . لن احكم عليك بحكم الموت ، ولكن بأمر الاله «شمش» ستعاني من الضيق والاضطراب .

(السطر : ٢٠)

٠٠٠ باجمعها ستطيح بك ، . . . لن يغمرك النوم بسبب ضجيجهم الحاد ، ان روح الميت التي رأيتها في العالم الاسفل ، هي للراعي العظيم الذي منحه ابي ٠٠٠ ملك الآلهة ، كل ما يجيش في قلبه ،

انها لذلك الذي كانت جميع البلدان من الشرق الى الغرب تسمن مثل ٠٠٠ ، عندما سيطر على الجميع ،

لقد امر الاله «آشور» ، نظرا لمكانته ٠٠٠ احتفال عيد راس السنة المقدس في السهل ، في بستان الخير والوفرة ، دمية (Lebanon) العطوف يحمي جسده الآلهة «يابرو» ، «خمبا» ونابروشو ، ويحفظون ذريته ، وينصرون جيشه ، ولا يجعلون باستطاعة اي محارب يقرب من عربته في المعركة

(السطر : ٢٥)

وهو والدك ، الرفيع الشأن ، صاحب الخبرة في كل الامور ، الواسع الفهم ، الواسع الصدر ، الحكيم الروح ، وهو المتمعن في خطط الارض

أما الذي لم يصغ لكلام الاله واقترف الخطيئة فانت واياه ستكتنفكما الاشراقة المخيفة لجلالته في كل مكان

فعسى أن تكون هذه الكلمة قد ثبتت كالشوك في قلبيكما ! عد الى العالم العلوي ، حتى اذكر نفسي بك ! « هكذا قال لي

ثم استيقظت » ٠

ومثل رجل كان قد سفك دما ، هام وحيدا في الادغال تاركا نائبه يحكم بدلا منه لهلع قلبه(٤)

ومثل خنزير ذكر في نزوته انتفخت جوانبه واصبح يقذف الاوساخ من فمه ومن دبره

(السطر : ٣٠)

---

(٤) المقصود هنا الامير « كمايا »

واخذ بالصراخ ملء فمه : « آه ، يا قلبي ! » وهو يمرق في الشوارع كالسهم ويغترف بفمه من وحل الازقة وصراخه مستمر : « يا ويلتي ! لماذا حكم علي بكل هذا ؟ » ، واخذ يلهج بالدعاء ، امام رعايا «آشور» بسالة الالهين «نركال» و «ايرش ـ كيكال» الذين وقفا بجانبه

أما ذلك الكاتب الذي كان قد قبل الرشوة من قبل حينما شغل مركز ابيه ، فنتيجة للوعي الكاشف الذي وهبه الاله «ايا» له

حفظ في قلبه كلمات الثناء ، واصبح يردد دائما : « لكي لا تقترب مني مواثيق الشر ولا تضايقني ،

فانني سوف اقوم بالاعمال التي امرني بها الاله «نركال» ، ثم ذهب الى القصر وكررها هناك مضيفا : « هذا ما سيكون كفارتي » .

(السطر : ٣٥)

٦ ـ اللوح الثاني عشر من « ملحمة كلكامش »

وقد قمت بترجمته من المصدر الاتي : GE., p.93-101

١ ـ آه من ذلك اليوم الذي لم اترك فيه البكو في بيت النجار !

٢ ـ يا ويلي لو تركته مع زوجة النجار ، التي كانت لي مثل امي التي ولدتني !

٣ ـ ياليتني تركته مع ابنة النجار ، التي كانت لي مثل اختي الصغرى ،

٤ ـ والان ، من سيجلب البكو لي من العالم الاسفل ؟

٥ ـ ومن سيجلب المكو من العالم الاسفل ؟

٦ ـ فقال له خادمه « انكيدو » :

٧ ـ « سيدي ، لماذا تبكي ؟ لماذا يمتلي قلبك ألما ؟

٨ ـ اليوم سأجلب البكو من العالم الاسفل ،

٩ ـ سأجلب المكو من العالم الاسفل ! »

١٠ ـ فقال « كلكامش » ، لانكيدو :

١١ ـ « اذا كنت ستنزل اليوم الى العالم الاسفل ،

١٢ ـ اريد ان اقول لك كلمة ، فاتبع كلمتي ،

١٣ ـ اريد ان اقدم لك نصيحة ، فاتبع نصيحتي

١٤ ـ لاتلبس ثيابا نظيفة ،

١٥ ـ (والا) فانهم سيصرخون بوجهك لانك غريب عنهم ،

١٦ ـ لا تتطيب بالزيت الفاخر من صندوق الطلاء ،

١٧ ـ (والا) بشذاه سيجتمعون حولك ،

١٨ ـ لاتقذف رمحا (؟) في العالم الاسفل ،

١٩ ـ (والا) فان الذين ضربوا بالرمح سيحيطون بك ،

٢٠ ـ لاتأخذ عصا في يديك ،

٢١ ـ (والا) فأن الارواح سترتجف امامك ،

٢٢ ـ لاتضع قدميك بصندل

٢٣ ـ لاتحدث صوتا في العالم الاسفل ،

٢٤ ـ لاتقبل زوجتك التي تحب ،

٢٥ ـ لاتضرب زوجتك التي تكره ،

٢٦ ـ لاتقبل ابنك الذي تحب ،

٢٧ ـ لاتضرب ابنك الذي تكره ،

٢٨ ـ (والا) فان عويل العالم الاسفل سيمسك بك ،

٢٩ ـ التي ترقد ،

٣٠ ـ التي ترقد ،

ام « ننازو » ،

٣٠ ـ كتفاها المقدسين

غير مغطيين بثياب ،

٣١ ـ ثدياها ، مثل ٠٠٠٠ الاقداح ،

غير ملبسين بالكتان ٠

٣٢ ـ لم يعر « انكيدو » سمعا لكلمة سيده ،

٣٣ ـ ارتدى ثوبا نظيفا

٣٤ ـ وكما لو كان غريبا صرخوا ضده ،

٣٥ ـ تطيب بالزيت الفاخر من صندوق الطلاء ،

٣٦ ـ وعلى شذاه تجمعوا ،

٣٧ ـ قذف رمحا في العالم الاسفل ،

٣٨ ـ فاحاط به اولئك الذين اصيبوا بالرمح ،

٣٩ ـ اخذ عصا في يده ،

٣٧ ـ ب ـ فأرتجفت الارواح امامه ،

٤٠ ـ وضع صندلا على قدميه ،

٤١ ـ احدث صوتا في العالم الاسفل ،

٤٢ ـ قبل زوجته التي يحب ،

٤٣ ـ ضرب زوجته التي يكره ،

٤٤ ـ قبل الابن الذي يحب ،

٤٥ ـ ضرب الابن الذي يكره ،

٤٦ ـ فامسك به عويل العالم الاسفل ٠

٤٧ ـ التي ترقد ،

التي ترقد ،

ام « ننازو » ،

التي ترقد

٤٨ ـ كتفاها المقدسين

غير مغطيين بالثياب ،

٤٩ ـ ثدياها ، مثل ... الاقــداح ،

غير ملبسين بالكتان

٥٠ ـ لم تسمح لا نكيدو بالصعود من العالم الاسفل .

٥١ ـ لم يمسكه المبعوث القاسي لـ « نركال » ، امسكه العالم الاسفل .

٥٣ ـ لم يسقط في ميدان معركة البشر ، امسكه العالم الاسفل .

٥٤ ـ ... سيدي ، ابن « ننسون » ، يندب خادمه « انكيدو » .

٥٥ ـ الى «اي-كر» بيت «انليل» ، ذهب وحيدا :

٥٦ ـ « ايها الاب « انليل » ، في اليوم الذي سقط فيه بكي الى العــالم الاسفل

٥٧ ـ وسقط بكي الى العالم الاسفل ،

٥٨ ـ « انكيدو » ، الذي ارسلته ليحضرهما ، امسكه العالم الاسفل .

٥٩ ـ لم يمسكه « نمتار » ، لم تمسكه الحمى ، امسكه العالم الاسفل .

٦٠ ـ لم يمسكه المبعوث القاسي لـ « نركال » ، امسكه العالم الاسفل .

٦١ ـ في ميدان معركة البشر لم يسقط ، امسكه العالم الاسفل .

٦٢ ـ لم يجبه الاله « انليل » بكلمة . فذهب الى « اى - كشركال »

بيت « سين » وحيدا :

٦٣ ـ « ايها الاب « سين » في ذلك اليوم سقط بكي الى العالم الاسفل .

٦٤ ـ وسقط مكي الى العالم الاسفل

٦٥ ـ « انكيدو » ، الذي ارسلته ليحضرهما ، امسكه العالم الاسفل

٦٦ ـ لم يمسكه نمتار ، لم تمسكه الحمى ، امسكه العالم الاسفل .

٦٧ ـ لم يمسكه المبعوث القاسي لـ « نركال » ، امسكه العالم الاسفل .

٦٨ ـ في ميدان معركة البشر لم يسقط ، امسكه العالم الاسفل »

٦٩ ـ لم يجبه الاب «سين» بكلمة ، فذهب الى «اي آبزو» بيت «ايا» وحيدا :

٧٠ ـ « ايها الاب « ايا » ، في ذلك اليوم ، حين سقط بكي الى العالم الاسفل

٧١ ـ وسقط مكي الى العالم الاسفل ،

٧٢ ـ « انكيدو » ، الذي ارسلته ليحضرهما ، امسكه العالم الاسفل .

٧٣ ـ لم يمسكه نمتار ، لم تمسكه الحمى ، امسكه العالم الاسفل .

٧٤ ـ لم يمسكه المبعوث القاسي لـ « نركال » ، امسكه العالم الاسفل

٧٥ ـ في ميدان معركة البشر لم يسقط ، امسكه العالم الاسفل » .

٧٦ ـ حين سمع الاب « ايـا » هذا ،

٧٧ ـ قال لـ « نركال » ، ايها البطل الشجاع :

٧٨ ـ « نركال » ، ايها البطل ، انت ابن بعله ـ ايلي

٧٩ ـ افتح الآن ثغرة في العالم الاسفل ،

٨٠ ـ لكي يمكن لروح « انكيدو » الخروج من العالم الاسفل ،

٨١ ـ لكي يمكن ان يوضح حالات العالم الاسفل لاخيه » .

٨٢ ـ نركال ، البطل الشجاع ، اصغِ لـ «ايا» ،

٨٣ ـ فتح ثغرة في العالم الاسفل ،

٨٤ ـ فخرجت روح « انكيدو » من العالم الاسفل بهيئة شبح .

٨٥ ـ تعانقا وقبل احدهما الآخر .

٨٦ ـ تشاورا فيما بينهما ، كأنهما يتحدثان معا .

٨٧ ـ « اخبرني ، صديقي ، اخبرني صديقي ؛

٨٨ ـ اخبرني بحالات العالم الاسفل ، الذي رأيت » .

٨٩ ـ لن اخبرك ، صديقي ، لن اخبرك .

٩٠ ـ (لكن) اذا كان يجب ان اخبرك بحالات العالم الاسفل ، الـذي رأيته ،

٩١ ـ فاجلس وانتحب »

٩٢ ـ « .... سأجلس وانتحب » .

٩٣ ـ « جسدي ... الذي لمسته ، ففرح قلبك ،

٩٤ ـ التهمته الديدان كأنه ثوب عتيق .

٩٥ ـ جسدي ... الذي لمسته ، ففرح قلبك ،

٩٦ ـ ... امتلأ بالتراب » .

٩٧ ـ صرخ ـ « ياويلي » ! ورمى بنفسه في التراب ،

٩٨ ـ كلكامش صرخ ، «يا ويلي» ورمى بنفسه في التراب (قائلا) :

٩٩ ـ « الذي ليس له ابن هل رأيته ؟ » لقد رأيته » .

١٠٠ ـ ١٠١ ـ (السطرين مخرومين تماما)

١٠٢ ـ « الذي له ابن واحد ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١٠٣ ـ يتمدد منهكا عند قاعدة السور ويبكي بحرقة عليه » .

١٠٤ ـ « الذي له ابنين ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١٠٥ ـ يسكن في بناء من الآجر ويأكل الخبز »

١٠٦ ـ « الذي له ثلاثة ابناء ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١٠٧ ـ يشرب الماء من قرب العمق »

١٠٨ ـ « الذي له اربعة ابناء ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١٠٩ ـ مثل ... قلبه فرح » .

١١٠ ـ « الذي له خمسه ابناء ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١١١ ـ مثل الكاتب الجيد ، يده مشمرة ،

١١٢ ـ و ... بطريق سهل يدخل القصر » .

١١٣ ـ « الذي له ستة ابناء ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١١٤ ـ ..... » .

١١٥ ـ « الذي له سبعة ابناء هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١١٦ ـ ....

١١٧ ـ الذي ... ، هل رايته ؟ » « لقد رأيته .

١١٨ ـ مثل راية جميلة ... »

(كســـر)

١١٤ ـ « الذي سقط من الصارية ، هل رأيته » ؟ « لقد رأيته .

١٤٥ ـ طريق مستقيم الى ... عند قلع الشموع » .

١٤٦ ـ « الذي مات موتا ... ، هل رأيته ؟ »

١٤٧ ـ في النوم على سرير ـ الليل ويشرب الماء النقي .

١٤٨ ـــ « الذي ذبح في المعركة ، هل رأيته ؟ » « لقد رأيته .

١٤٩ ـ ابوه وامـه يسندان رأسه وزوجته تبكي عليه »

١٥٠ ـ « الذي تمدد جسده (بدون دفن) على السهل ، هل رأيته ؟ »

« لقد رايته .

١٥١ ـ روحـه لا تستقر في العالم الاسفل » .

١٥٢ ـ « الذي ليس لروحه من يعتني بها ، هل رأيته ؟ »« لقد رأيته .

١٥٣ ـ يأكل فضلات القدور من كسر الخبز التي ترمى في الشارع » .

١٥٤ ـ اللوح الثاني عشر من « هو الذي رأى كل شيء » .



خلاصـــة البحث

يبتدئ هذا البحث « عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة » بمقدمة استعرضت فيها موقف الانسان والفكر الانســاني عموما من الموت واهمية عقائد ما بعــد المــوت في المجتمعات والديانات المختلفة وتطرقت الى اهمية المكانة التي تحتلها ديانة بلاد وادي الرافــدين القديمة في تطور الفكر الانساني ، ثم تحدثت عن اسباب اختياري لموضوع عقائد ما بعد الموت في تلك الديانــة لدراســتي ، وفصلت في الحــديث عن مصادر الموضوع مع نبذة مركزة عن اهمية البحوث التي كتبت عــن الموضوع من قبل وما توصل اليه كاتبوها مــن آراء واستنتاجات وانهيت المقدمة باستعراض ملخص لمحتويات الرسالة .

وقد اتبعت المقدمة بمدخل يتناول عقائد ما بعد المــوت منذ اول نشوئها عند الانسان القديم حتى بداية الحضارات الناضجة في الشرق الادنى القديم .

وبعد المدخل تأتي فصول البحث الاربعة وهي على النحو الاتي/

الفصل الاول :

« الموت والخلود »

« الموت والخلود » ، ويشتمل على قسمين رئيسيين الاول « الالهة والموت » ويدور موضوعه عن خلود الالهة وعلاقتهم بالموت وشــرح مقتل بعضهم في اساطير الخليقة واصل الالهة ثم افردت موضوعا خاصا عــن نزول الالهة « انانا » (عشتار) الى العالم الاسفل وعلاقته بموت الالــه « دموزي » (تموز) الذي شرحت قصة اخذه الى العالم الاسفل ومــا يخص

عبادته في بلاد وادي الرافدين القديمة ، وكذلك ما ذكر عن مقتل بعض الالهة او نزولهم الى العالم الاسفل في مناسبات خاصة بهم اضـــافة الى الاعتقاد بالموت السنوي للالهة الرئيسة في مدن وادي الرافدين ·

اما القسم الثاني من هذا الفصل فموضوعه هو « حتمية الموت عـلى البشر وتعذر الخلود » وتحـدثت فيه عن تقـدير الالهة للموت مصـيرا لاخلاص منه للبشر وايمان سكان العراق القدماء بتعذر الحصــــول على الخلود الذي اختصت به الالهة ثم عن نظرتهم الى الخلود نفسه والمفهوم الذي تناولوه به في نصوصهم الكتابية المختلفة المواضيع واخيرا تسليمهم بحتمية الموت ومفاهيمهم وقيمهم بالحياة في ضوء ذلك التسليم ·

الفصل الثاني :

« الروح والعقاب والثواب »

« الروح والعقاب الثواب » ، وقد شرحت في مستهله تصــــورات السكان القدماء عن الروح وعلاقتها بالجسد والحالـة التي تكـون عليها عندما لايدفن جسد صاحبها المتوفي وكيفية انتقالها الى العالم الاســـفل والحالة التي تكون عليها فيه وعلاقتها بالاحياء وعالمهم والكيفية التـــي تحصل فيها على الطعام والشراب وعلاقة ذلك بالقرابين المقدمة في الطقوس الجنائزية ، ثم انتقلت في الحديث عن فكرة القيامة وبعث الاموات فـــي حضارة العراق القديم وعدم وجود هذه الفكرة التي اعتقدت بها بعض الديانات المهمة في الشرق الادنى القديم ، وتناولت بعد ذلك فكرة الحساب ودار العقاب والثواب في عقائد سكان العراق القدماء وشرحت نظـــرة اولئك القوم عن انتفاء كون العالم الاسفل دارا للعقاب والثواب ونظرتهم اليه على انه مجرد موضع لاقامة ارواح الموتى وكيف ان العقاب والثـــواب

لا يكونا الا اثناء حياة الشخص الذي تمحى علاقة روحه بذنوبه بعـــد موته ،كما اشرت الى العوامل التي تساهم في تحديد حالة ارواح الموتى في العالم الاسفل واختلاف مكاناتهم هناك . واختتمت هذا الفصل بالحديث عن اثر هذا الاعتقاد بعدم وجود حساب بعد الموت في حياة ســـكان العراق القدماء وفي نظرتهم الى الخطيئة والعمل الخير .

الفصل الثالث :

« العالم الاسفل : اسماؤه ، وصفه وآلهته »

« العالم الاسفل : اسماؤه ، وصفه وآلهته » وفي هذا الفصل شرحت الاغراض التي استخدم العالم الاسفل لاجلها وفق عقائد سكان العراق القدماء عن مابعد الموت والحياة الاخرى ، ومن ثم تحدثت عـــن اسماء ونعوت العالم الاسفل التي ترددت في النصوص المسمارية القديمة، وكذلك موقع العالم الاسفل ومداخله ، ووصفه والحالة فيه كما تصورتها عقائد ما بعد الموت في العراق القديم ، ثم خصصت موضوعا ضمن هـــذا الفصل عن آلهة العالم الاسفل الرئيسة « نركال » و « ايرش ـ كيكال » واتباعهما من آلهة ثانوية وشياطين متعددة الاصناف ، وقد شـــرحت عبادة تلك الآلهة في عالم الاحياء ومكانتها بين سائر الآلهة السماوية .

الفصل الرابع :

« طرق الدفن والشعائر الجنائزية »

« طرق الدفن والشعائر الجنائزية » ، وقد تحدثت فيه عن المواضع التي اتخذت لدفن الاموات في العراق القديم والقبور التي كشفت عنهـــا

التنقيبات التي جرت في العديد من المواقع الاثرية ، وقسمت هذه القبور الى قسمين اولهما « قبور العامة » وقد قدمت عنها استعراضا شـــاملا واصفا اشكالها وطرق الدفن المتبعة فيها وانـــواع التوابيت التي كانت توضع الجثث في داخلها والوضعية التي تكون عليها الجثث في تلك القبور كما تطرقت في الحديث الى الاثاث الجنائزي المرفق للمـوتى في القبـــور واهميته بعقائد ما بعد الموت عند سكان العراق القدماء ، وبعد هـــذا الموضوع يأتي الموضوع الثاني وهو « القبور الملكية » وقد تحدثت عمـا كشفت عنه التنقيبات منها ومن ضمنها اضرحة ملوك سلالة « اور » الثالثة واضرحة الملوك الآشوريين في « آشور » والمقبرة الملكية في « اور » التـي فصلت الحديث عنها وشرحت المراسم التي اتبعت بها وعلاقتها بالتضحية البشرية ، وبعد ذلك تحدثت عن شواهد القبور واستشهدت بما وصلنا منها من نماذج ، ثم انتقلت في الحديث الى موضوع الدفن والشـــعائر الجنائزية التي تحدثت عن اهميتها واهدافها وانواعها وطرق اقامتهـــا ومواعيدها ، وكان الموضوع الاخير في هذا الفصل يدور على الحـــداد والاثر الاجتماعي للموت ، وتحدثت فيه عن اهمية الحداد وطرق الاعلان عنه والكهنة المتخصصين به وتطرقت الى اشتراك بعض الكاهنات فيشعائره كما استشهدت بمرثيتين سومريتين تلقيان لنا ضوءا عما كان يجـري عند الحداد الملكي الذي كان يحدث عند موت احد الملوك او الشخصـــيات المهمة في الاسرة المالكة .

وقد الحقت بالرسالة ترجمة كاملة لعدة نصوص سومرية واكدية خاصة بالموضوع وهي نصـــوص وردت الاشارة اليها مرارا متعددة في صفحات الرســـــالة .

مصـادر البحث

١ ـ المصادر العربيـة

ـ الكتب :

ـ باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، (بغداد ، ١٩٧١)

ـ ــــ ، مقدمة تاريخ الحضارة القديمة ج١ ، (بغداد ، ١٩٧٣)

ـ برستد ، جيمس هنرى ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، (القاهرة ، ١٩٦١) ، ترجمة زكي سوس

ـ بونيرو ، جان ، الديانة عند البابليين ، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ترجمة وليـد الجادر

ـ روز ، هـ ، جـ ، الديانة اليونانية القديمة ، (القاهرة،١٩٦٥) ترجمة رمزي عبده جرجس

ـ علي ، فاضل عبدالواحد،عشتار ومأساة تموز ، (بغداد ،١٩٧٣)

ـ فخري ، احمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، (القاهرة ، ١٩٥٨)

ـ كريمر صموئيل نوح ، من الواح سومر ، (القاهرة ١٩٥٨) ، ترجمة طه باقر ·

ـ جورج هاوك وهارر ، معجم الاعلام في الاســاطير اليونانيــة والرومانية ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ترجمة امين سلامة

ب ـ المقالات :

ـ ابو الصوف ، بهنام ، « التنقيب في تل الصوان ، الموسم الرابع» سومر ٢٤ ، (بغداد ، ١٩٦٨)

- ـــــــ ، « التنقيب في تل الصوان ، الموسم الخامس » ، سومر ٢٧ ، ١٩٧١)

- ـــــــ ، « التنقيب في تل قاليج اغا في اربيل » سـومر ٢٥ ، (بغـداد ، ١٩٦٩)

- الصيواني ، شاه ، « مجموعة قبور تل اغا في اربيل » سومر ٢٧ (بغداد ، ١٩٧١)

- سفر ، فؤاد ، « حفريات مديرية الآثار القديمة في اريدو » ، سومر ٣ ، (بغداد ، ١٩٤٧)

- د . نيسن ، « المقبرة الملكية في اور » ، سومر ٢٢ ، (١٩٦٦) ترجمة فوزي رشيد



٢ ـ المصادر الانكليزية :

أ ـ الكتب :

— Barton, George A.. The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, (New Haven. 1929)

— Bottéro, Jean, et. el., The Near East : The Early Civilizations, (London, 1967)

— Brandon, Samuel G.F., Creation Legends of the Ancient Near East, (London, 1963)

— ———, History, Time and Deity, (New York, 1965)

— ———, Religion in Ancient History, (New York, 1969)

— Brinkman, J.A., A Political History of Post-Kassite Babylonia, 1158-722BC., (Roma, 1968)

— Budge, Sir E.A. Wallis, Babylonia Life and History . (London, 1925)

— Buren, E. Dougles Van, Symbols of the Gods in Mesopotamian Art, (Roma, 1945)

— Geram, C.W., Gods, Graves and Scolars, (London, 1960)

— Childe, V. Gordon, Man Makes Himself, (London, 1966)

— ———, New Light on the Most Ancient East, (London, 1952)

— ———, The Bronze Age, (New York, 1963)

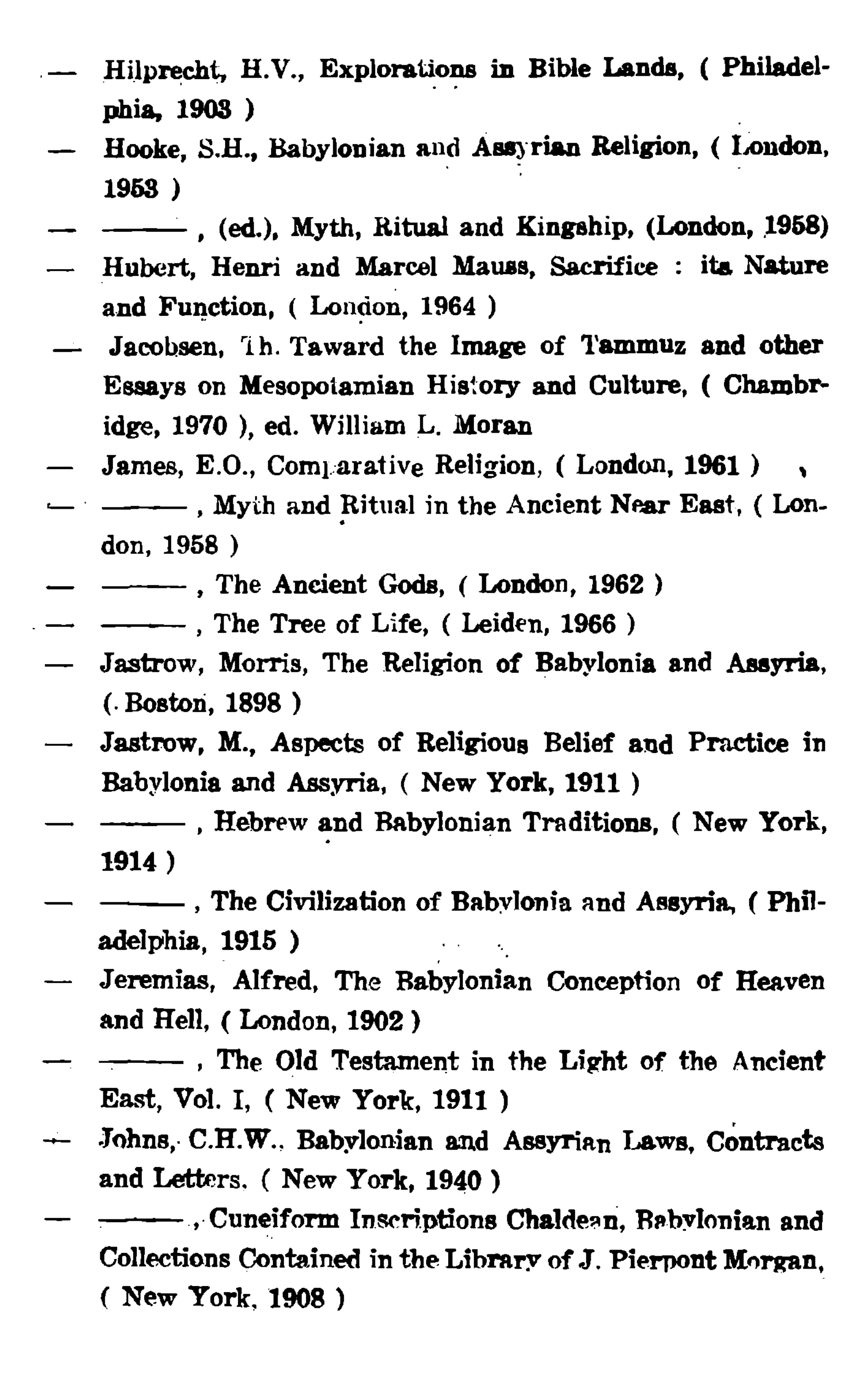
— Clark, Graham and Stuart Piggott, Prehistoric Societies. (London, 1965)

— Clark, Graham, World Prehistory, an Outline, (London. 1961)

— Contenau, Georges, Everyday Life in Babylon and Assyria (New York, 1966)

— Delaport, Louis J., Mesopotamia, The Babylonian and Assyrian Civilization, (London, 1970)

— Delougaz, Pinhas, et. el., Private Houses and Graves in the Diyala Region, (Chicago, 1967)
— Driel, G. Van, The Cult of Assur, (Leiden, 1969)
— Drioton, Etienne, et. el., Religions of the Ancient East, (New York, 1959)
— Edward, I.E.S. (ed.), The Cambridge Ancient History, 3rd. ed. Vol. I,2, (Cambridge, 1971)
— Eisen, Gustavus A., Ancient Oriental Cylinder and other Seals with a Description of MRS. William H. Moore, (Chicago, 1940)
— Ellis, Richard S., Foundation Deposits in Ancient Mesopotamia, (New Haven, 1968)
— Frankfort, H.A., et. el., The Intellectual Adventure of Ancient Man, (Chicago, 1957)
— Frankfort, H., Cylinder Seals, (London, 1939)
— ———, Kingship and the Gods, (Chicago, 1958)
— ———, The Birth of Civilization in the Near East, (London, 1951)
— ———, et. el., The Gimilsin Temple and the Palace of the Rulers at Tell Asmar, (Chicago, 1940)
— Friess, Horace L. and Herbert W. Schneider, Religion in Various Cultures, (New York, 1965)
— Goff, Beatrice L., Symbols Prehistoric Mesopotamia, (New Haven, 1963)
— Handcock, Percy S.P., Mesopotamia Archaeology, (London, 1912)
— Hawkes, Jacquetta and Sir Leonard Woolley, Prehistory and the Beginning of Civilization, Vol. I, (London, 1963)
— Heidel, Alexander, The Babylonian Genesis, (Chicago, 1967)
— ———, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, (Chicago, 1967)



— Hilprecht, H.V., Explorations in Bible Lands, (Philadelphia, 1903)
— Hooke, S.H., Babylonian and Assyrian Religion, (London, 1953)
— ———, (ed.), Myth, Ritual and Kingship, (London, 1958)
— Hubert, Henri and Marcel Mauss, Sacrifice : its Nature and Function, (London, 1964)
— Jacobsen, Th. Taward the Image of Tammuz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, (Chambridge, 1970), ed. William L. Moran
— James, E.O., Comparative Religion, (London, 1961)
— ———, Myth and Ritual in the Ancient Near East, (London, 1958)
— ———, The Ancient Gods, (London, 1962)
— ———, The Tree of Life, (Leiden, 1966)
— Jastrow, Morris, The Religion of Babylonia and Assyria, (Boston, 1898)
— Jastrow, M., Aspects of Religious Belief and Practice in Babylonia and Assyria, (New York, 1911)
— ———, Hebrew and Babylonian Traditions, (New York, 1914)
— ———, The Civilization of Babylonia and Assyria, (Philadelphia, 1915)
— Jeremias, Alfred, The Babylonian Conception of Heaven and Hell, (London, 1902)
— ———, The Old Testament in the Light of the Ancient East, Vol. I, (New York, 1911)
— Johns, C.H.W., Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters, (New York, 1940)
— ———, Cuneiform Inscriptions Chaldean, Babylonian and Collections Contained in the Library of J. Pierpont Morgan, (New York, 1908)

— King, L.W., Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, Vol. I ; II, (London, 1907)
— ———, (ed.), Babylonian Boundary-Stones and Memorial-Tablets in the British-Museum, (London, 1912)
— Kramer, Samuel Noah, The Sumerians, (Chicago, 1964)
— ———, The Sacred Marriage Rite, (London, 1969)
— Laessoe, Jorgen, People of Ancient Assyria, (London, 1963)
— Lambert, W.G., Babylonian Wisdon Literature, (Oxford, 1960)
— Langdon, S., Sumerian and Babylonian Psalms, (Paris, 1909)
— Langdon, S., Sumerian Liturgies and Psalms, (Philadelphia, 1919)
— ———, The Babylonian Epic of Creation, (Oxford, 1923)
— ———, Babylonian Menologies and the Semitic Calendars, (London, 1935)
— Legrain, Leon, Terra-Cottas from Nippur, (Philalelphia, 1930)
— Levy, Gertrude R., The Gate of Horn, (London, 1935)
— Lloyd, Seton, Twin Rivers. (London, 1943)
— Lusty, Margaret, The Foundations of our Society, (London, 1966)
— Mackenzi, Donald A., Myths of Babylonia and Assyria, London
— Macqueen, James, Babylon, (London, 1964)
— Mallawan, M.E.L., Twenty-five Years of Mesopotamian Discovery, (London, 1956)
— McCown, Donald E. and Richard C. Haines, Nippur, Vol. I, (Chicago, 1967)
— Mellart, James, Earliest Civilizations of the Near East, (London, 1965)

— ———, The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia, (Beirut, 1966)
— Moscati, Sabatino, Ancient Semitic Civilization, (London, 1957)
— ———, The Face of the Ancient Oreint, (London, 1963)
— Norbeck, Edward, Religion in Primitive Society, (New York, 1961)
— Olmstead, A.T., History of Assyria, (New York, 1923)
— Oppenheim, A. Leo, Ancient Mesopotamia, (Chicago, 1964)
— Pallis, Svend Aage, The Antiquity of Iraq, (Copenhagen, 1956)
— Pritchard, James B., The Ancient Near East in Pictures, (New Jersey, 1969)
— ———, (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, (New Jersey, 1969)
— Rogers, Robert William, The Religion of Babylonia and Assyria, (New York, 1908)
— Saggs, H.W.F., Everyday Life in Babylonia and Assyria, (London, 1967)
— ———, The Greatness that was Babylon, (New York,1968)
— Sayce, A.H. Social Life Among the Assyrians and Babylonians, (London, 1893)
— ———, The Religions of Ancient Babylonia, (Edinburgh, 1902)
— ———, Assyria, its Princes, Priests, and People, (London, 1926)
— Tobler, Arthur J., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, (Philadelphia, 1950)
— Watelin, L. Ch. and S. Langdon, Excavations at Kish, Vol. IV, (Paris, 1934)
— Woolley, C. Leonard, The Sumerians, (New York, 1965)
— ———, Ur of the Chaldees, (New York, 1965)

— ———, Abraham, (London, 1935)
— Zehren, Erich, The Cresent and the Bull, (London, 1962)

ب ـ المقالات :

— Bayliss, Miranda, "The Cult of Dead Kin in Assyria and Babylonia", IRAQ, XXXV, 2, (London, 1973)
— El-Waily, F. and B.Abu es-soof, "The Excavation at Tell Es-sawan, First Paeliminary Roport", SUMER, XX, (Baghdad, 1964)
— Gadd, C.J., "The Spirit of Living Sacrifices in Tombs", IRAQ, XXII, (London, 1960)
— Kramer, Samuel Noah, "Death and Nether World According to the Sumerian Literary Text", IRAQ, XXII, (London, 1960)
— Langdon, S.H., "Death and Disposal of the Dead", ERE., IV, (New York, 1959)
— Oppenheim, A. Leo, "Mesopotamia Methology", ORIENTALIA, XVI, (Roma, 1947)
— Thompson, R.C., "Demons and Spirits", ERE., IV, (New Yory, 1959)

المصادر الالمانية :

— Zimmern, Heinrich, Zum Babylonischen Neujahrsfesh, (Leipzig, 1918)

ب ـ المقـــالات :

— Tallqviest, Knut, "Sumerische-Akkadische Namen der Totenwelt", STUDIA ORIENTALIA, V, 4, (Leipzig,1934)
— ——— , "Akkadische Götterepitheta", STUDIA ORIENTALIA, VII, (Leipzig, 1938)

المحتويات

الموضوع	الصفحة
فكرة القيامة وبعث الاموات في حضارة العراق القديم .	١٢٩ ـ ١٣٢
فكرة الحساب ودار العقاب والثواب	١٣٢ ـ ١٤٥
الخطيئة وعواقبها	١٤٥ ـ ١٥٦
الثـــــواب	١٥٦ ـ ١٥٨
الحياة الفاضلة والتمرد	١٥٨ ـ ١٦٦
الفصل الثالث : « العالم الاسفل ، اسماؤه ، وصفه وآلهته »	**١٦٨ ـ ٢٢٠**
اسماء وصفات العالم الاسفل	١٧٠ ـ ١٨١
موقع العالم الاسفل ومداخله	١٨١ ـ ١٨٤
وصف العالم الاسفل	١٨٥ ـ ١٨٤
آلهة العالم الاسفل	١٨٨ ـ ٢٢٠
الآلهة « ايرش ـ كيكال »	١٨٨ ـ ١٩٢
الاله « نركال »	١٩٢ ـ ٢٠٦
عبادة الاله « نركال »	٢٠٢ ـ ٢٠٦
اتباع آلهة العالم الاسفل	٢٠٦ ـ ٢١٤
شياطين العالم الاسفل	٢١٤ ـ ٢٢٠
الفصل الرابع : « طرق الدفن والشعائر الجنائزية »	**٢٢١ ـ ٣٠٤**
مواضع الدفن	٢٢٣ ـ ٢٣٣

الموضوع	الصفحة